أحمد حسين المروني

الخروج من النفق المظلم
معالم سيرة ذاتية

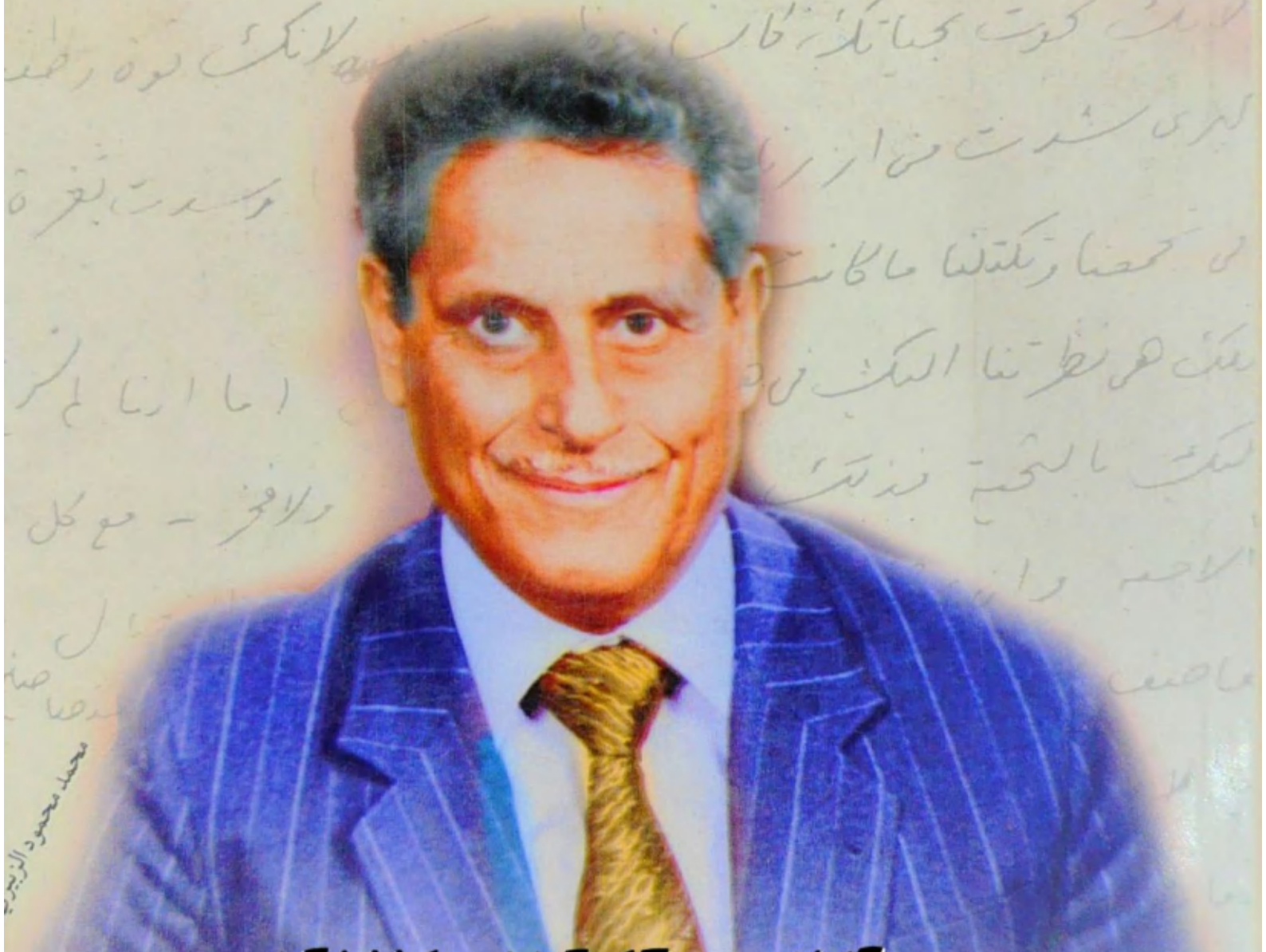

المكتبة التاريخية اليمنية
2001

أحمد حسين المروني

المكتبة التاريخية اليمنية
www.yemenhistory.org
رفع وتصوير
مختار محمد الضبيبي

الخروج من النفق المظلم

معالم سيرة ذاتية

مكتبة
القاضي/قاسم أحمد السياغي
2001 م بجامعة صنعاء

المكتبة المركزية
المكتبات الخاصة

مؤسسة العفيف الثقافية
البريد الالكتروني: alafif@y.net.ye
http: www.y.net.ye/alafif
ص.ب: ١٢٤٨٤ صنعاء- الجمهورية اليمنية

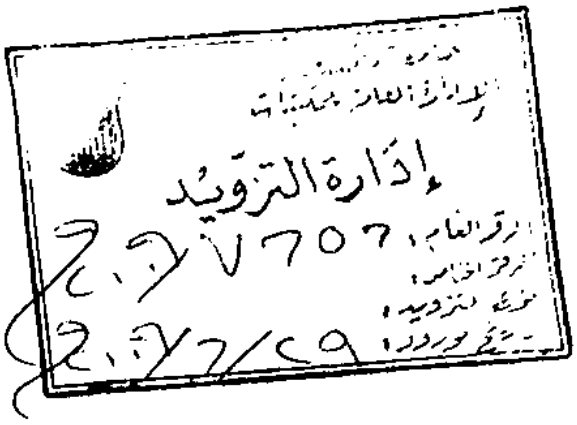

هذا الكتاب :

العنوان : الخروج من النفق المظلم - معالم سيرة ذاتية

المؤلـف : (المروني) أحمد حسين

الناشـر : مؤسسة العفيف الثقافية

الطبعـة : الأولى مايو ٢٠٠١ م

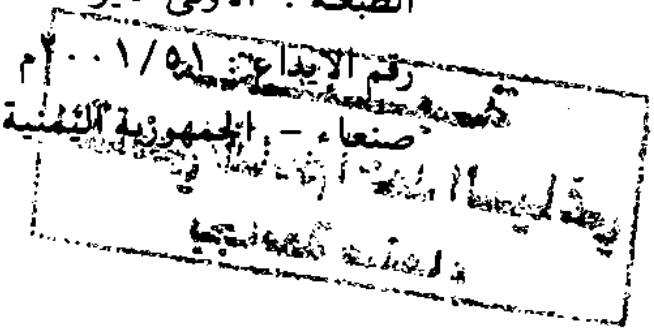

المكتبة التاريخية اليمنية

www.yemenhistory.org

رفع وتصوير

مختار محمد الضبيبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء:

إلى الأصدقاء

الذين ألحوا علي في كتابة

هذه الذكريات

أهديها إليهم

بسم الله الرحمن الرحيم

(المروني الجوهرة المضيئة)

شعلة النفس لا تصير رمـــاداً ضوؤهـــا خـــالد علـــى الأزمـــان

كل شـــيء يفـــنى وكـــل زمـــان ينقضـــي غـــير جوهـــــر الإنســـــان ليس هناك ما يمكن أن يوصف به الأخ الزميل المناضل العظيم الأستاذ/ احمد حســـين المروني، الذي شق طريقه في الحياة بوصفه واحداً من المشاعل الوطنية الوضاءة الـتي لم ينطفئ نورها المشع بالعطاءات الخيرة والمثمرة والمستمرة الإشعاع في أحلك وأشـــد المراحل، وفي كل الأحوال المظلمة التي عاشها الشـــعب اليمـــني مـــن الصراعـــات والمواجهات والمعاناة فقد بقي وفياً ومخلصاً وصادقاً وزاهداً ومتجرداً عن كل الأهـــواء والرزايا.

متمسكاً بالمثل العليا والمبادئ السامية والأخـــلاق الحميـــدة ولم يـــتراجع أو يتزعزع عن ارتباطه الوثيق بالقضايا الوطنية والهم العام وظل إيمانه من أجل ذلك.

لا يطلب لنفسه مالاً ولا جاهاً ولا منصباً اللهم إلا شعوره بالسعادة كلمـــا رأى الحق وقد انتصر على الباطل وإيمانه بأن حركة الحياة تسير إلى الأمـــام وإلى الأفضـــل، ولهذا فإن أحسن وصف يتفق مع هذا الإنسان الكبير بعقله وقلبه ووجدانـــه وليـــس كبيراً عليه بأن يوصف (بالجوهرة المضيئة) لرجل نادر يعتز به كل فرد من أبنـــاء هـــذا الشعب ورمز كبير يمثل قمة عظيمة تحتل أكبر مكانة في تاريخ الحركة الوطنيـــة ومـــع

رجالاتها الأبرار، وقد ساهم أعظم مساهمة بما بذل من الجهود الصادقة والمخلصة في صنع أجيال متلاحقة من المناضلين والثوار والمثقفين الوطنيين الذين أقاموا بناء اليمن الجديد وما يزالون يواصلون بناءه حتى اليوم.

كان الأستاذ احمد يتمنى أن يوفق الله الإمام يحيى حميد الدين إلى أن يترفع بنفسه عن ذلك الجشع الفظيع الذي كان يحكمه وعن آفة البخل الشديد الذي كان يسيطر على قلبه وعقله، كما كان الأستاذ احمد مع غيره من المناضلين الأحرار الذين أشرقت في نفوسهم فضيلة حب الخير لبلدهم ولأبناء بلدهم، كان يرجوا الله مخلصا أن يلهم الإمام يحيى ويلهم ابنه احمد من بعده وأن يحبب إليهما الخير الذي يجب أن يقدماه لبلدهما ولمواطنيهما وذلك فيما يتعلق بكل ما في الحياة الصحية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعقائدية والسياسية، كان الأحرار هكذا يدعون الله أن يجعل من الإمام يحيى ومن الإمام احمد مسؤولين صالحين ومصلحين يربطان مصيرهما وسعادتهما بسعادة ومصير أبناء شعبهما ولكن وللأسف الشديد فقد أبت أطماع وأنانية هؤلاء الحكام إلا أن يضيقوا من دعوة الإصلاح والتجديد ويحاربوها بكل وسائل القمع والعنف واستمروا كذلك حتى يئس الناس ووصلوا إلى القناعة التامة بضرورة التخلص من هؤلاء الحكام، فقد كان نتيجة ذلك العناء والتحجر واستمرار القمع والتنكيل بدعاة الخير والإصلاح أن وصل الناس إلى الاتفاق والاقتناع بضرورة التخلص منهم بالثورة التي تريح الشعب من كابوسهم الرهيب ومن عذابهم الأليم قال تعالى: (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز) صدق الله العظيم.

لقد عاش الأخ الأستاذ احمد حسين المروني أيامه الأولى مع زملائه الطلبة الذين أكملوا تعليمهم في العراق وهو يتفاعل ويتألم مما يعانيه الشعب المحروم والمظلوم وكان يردد الأنات ويتابع الزفرات حتى كتب الله لهذا الشعب أن يتخلص من ذلك الليل

الكئيب القاتم والحالك السواد على أيدي أبنائه الأبطال الذين هان عليهم أن يضحـــوا بأغلى ما لديهم وحتى بدمائهم.

وأنه ليسعدني كتابة هذه السطور في مقدمة هذا الكتاب الذي يـــروي للأجيـــال صفحات موجزة عن حياة هذا المناضل الكبير وعن دوره في تربية الأجيـــال ومنازلـــة الطغيان، وأستطيع الجزم بأن الكتاب كفيل بأن يسد ثغرة في المكتبة الوطنية وفي تـــاريخ حركة النضال اليمني ضد الطغاة والظالمين.

أسأل الله لأستاذنا المناضل الكبير احمد حسين المروني المزيد من الصحـــة وطـــول العمر وأن يجزيه سبحانه أفضل ما يجزي به عباده الصالحين.

سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

عبدالسلام محمد صبره

سبتمبر 2000م

تقـــديم

د. عبدالعزيز المقالح

في البداية اعترف أنني لفرط إحساسي بقرب هذه المذكرات أو الذكريـــات من نفسي أشعر بأنها جزء مني أو أنني جزء منها، وكأنني عشتها مـــع صاحبـــها أستاذي الكبير الجليل أحمد حسين المروني يوما يوما ودقيقة دقيقة، وأعترف أيضـاً أنني كلما قرأت صفحة منها رجعت إليها مرات ومرات لأستجلي مـــا انطـــوت عليه من وقفات وإشارات إلى زمن قاس لا ندري كيف عبرناه ولا كيف خـــرج من تبقى ممن عايشوه على قيد الحياة ســـالمين لا يشـــتكون الجنـــون أو فقـــدان الذاكرة.

ويزيد من أهمية هذه الذكريات أو المذكرات بالنسبة لي وســـيكون ذلـــك بالنسبة للقارئ أيضاً، إنها مكتوبة بكلمات تصل ببساطتها وعفويتـــها إلى قلـــب القارئ وتجعله يشعر بأنه أمام التاريخ الحي مباشرة وهو يتكلم بلســـان الحقيقـــة عـــن المئات من الذين قتلوا ظلماً في ميادين الشـــهادة وعـــن الملايـــين الذيـــن هاجـــروا والذين ماتوا في المجاعات، والذين شابت رؤوسهم وقلوبهم في السجون لا لشيء إلا لأنهم أحبوا وطنهم وناضلوا من أجل كل المظلومين والمقهوريـــــن فوق ترابه الطهور. ولم يبخلوا بشبابهم ودمائهم وبأموالهم حين تكون لهم أموال.

سيلاحظ القارئ أن هذه الذكريات تختزل الحديث على مرحلة الطفولة وسنوات الدراسة وأنها تمر بهما مرور الكرام لكي تتوقف طويلا في العراق حيث كان أستاذنا الجليل مبعوثا إلى بغداد مع عدد من زملائه لا يزيدون عن أصابع اليدين وفي أول بعثة يمانية ساعدت الظروف الاستثنائية على خروجها من الكهف الإمامي وأتاحت لأفرادها فرصة الاصطدام الإيجابي بالعصر الحديث بكل نشاطه وتجلياته التي كانت قد انعكست في ثلاثينات القرن العشرين على حياة ذلك القطر العربي الشقيق. وما زلت اختزن في ذاكرتي جملة من حديث طويل لزميل الأستاذ المروني ورفيقه في البعثة المشير عبدالله السلال، والجملة توجز الشعور البهيج والفياض الذي استقبل به اليمنيون في شمال البلاد وجنوبها خروج هذه البعثة، فقد قال أنهم كانوا وهم يمرون من مدينة إلى مدينة في طريقهم إلى ميناء عدن يقرؤن في عيون اليمنيين ما يشبه الاستغاثة بأن يعودوا لكي يشاركوا في صنع حد لمعاناة الوطن وعذابه. والحق أن غالبية أفراد هذه البعثة المباركة لم يخيبوا رجاء الوطن فقد كانوا مصابيح الوعي الأولى كما كانوا وقود المعارك الطاحنة والثورات المغدورة والناجحة التي شهدتها البلاد ابتداء من الثورة الدستورية في 48 إلى انقلاب 1955 وانتهاء بثورة السادس والعشرين من سبتمبر 1962. وفي هذه الذكريات إشارات تمنيت لو طالت واتسعت لرصد بعض التفاصيل التي تكشف عن نماذج من المعاناة التي لا نظير لها ولا سابق مما تعرض له بعض أفراد هذه البعثة التي أسهمت في تحديد معالم لأبجدية الوطنية وفي مقدمتهم صاحب هذه الذكريات نفسه.

في المدرسة الابتدائية في صنعاء ثم في المتوسطة سمعت باسمه لأول مرة مقرونا بالإجلال والمحبة، فقد كنا نحن التلاميذ نردد أنشودة وطنية من تأليفه وكان مدرس الأناشيد وهو من طلائع الثوار يجري تغييرا طفيفا في اسمه ليتناسب مع لقبه

الشهير وهو شاعر الجيش اليماني، فكان المدرس يقول الأنشودة لشاعر الجيش اليماني السيد احمد المرواني. وهذا مطلعها:

وطني حياتي، وروحي فداكا لم أحي إلا لأحمي حماكا

وفي عام 54 فوجئت بأول رسالة منه، بعث بها من سجنه في قاهرة حجه يطلب فيها بعض التفاصيل عن الخلاف الواقع- يومئذ- بين محمد نجيب وجمال عبدالناصر فقد كان السجناء يجلون نجيبا ويكبرون دوره ويرون فيه منقذاً للأمة العربية وقد كتبوا فيه قصائد ومطولات شعرية اعتقادا منهم بأن ثورة يوليو بقيادته ستضع الوطن العربي بكامل أقطاره على حافة تطور جارف وعاصف لن يبقي على الأنظمة التقليدية الظالمة. وكنا في ذلك العام قد امتلكنا جهاز راديو ببطارية جافة وكنت أتابع الأخبار والبرامج بشغف واهتمام لكنني كنت في سن لا يساعدني ولا تساعدني فيه ثقافتي أو فهمي على إدراك أبعاد الخلاف بين القائدين نجيب وعبدالناصر لذلك فقد اكتفيت بنقل الأخبار كما كانت تأتي من إذاعة القاهرة أو إذاعة لندن وإرسالها إلى أستاذي يوميا عن طريق السقاء الذي ينقل المياه على ظهر حمار عجوز إلى السجن. وقد استمر التواصل بين التلميذ والأستاذ شهورا ووجدت فيه- عن بعد- معلما وموجها ودفعني غرور بداية الشباب إلى أن أعرض عليه محاولاتي الشعرية الأولى وكانت تحت عنوان (دموع في الظلام) ومعظمها إن لم تكن كلها قصائد رومانسية مفعمة بالتشاؤم والشكوى والرغبة في الانتحار. وقد تفضل وبعث إلي بقصيدة يحيي فيها ذلك الطموح إلى الكتابة الشعرية ويتحدث عن المستقبل والوطن والصمود ومواجهة الحياة بشجاعة وقد ظننت أنني سأجعلها مقدمة للديوان إياه الذي سرعان ما اكتشفت أنه عبث طفولي وتجارب أولية لا تستحق النشر حتى لو كانت هناك وسائل للنشر.

ومن المعروف أن أستاذنا- حفظه الله-

بعد عودته وزملائه من بغداد عن طريق سوريا وفلسطين ولبنان ومصـــر، لم يقتنع بأن يكون وقته قاصراً على العمل في الجيش لذلك فقد كان يقضي جـــزءاً منه متطوعاً في تدريس طلاب أول مدرسة ثانوية في صنعاء ليملأ أذهانهم بحـــب الوطن والاستزادة في المعرفة وإيماناً منه باهمية التعليم ودوره في تحرير الشـــعوب وتأسيس الوعي بالحقوق. وقد أسعدني الحظ أن أكون واحداً مـــن تلاميـــذه في أواخر الخمسينات وبعد خروجه من سجن حجه الذي أمضى فيه سبع ســـنوات شداد. فقد اتخذ من إحدى زوايا المدرسة الثانوية مكاناً يدرس فيه الشـعر والأدب ومبادئ الفلسفة وكانت دراسة حرة خارج المناهج الميتة الـــتي تقـــوم الدولـــة بتدريسها وكانت تقوم أي تلك الدراسة الحرة على احترام عقل الطالب وعلـــى الحوار الحر المنسق. وعندما اضطرته الظروف الصعبة الحرجة إلى الهـــروب مـــن موت محقق إلى عدن قبل عودة الإمام احمد من رحلته الوحيدة إلى خارج البـــلاد نذر الأستاذ المروني نفسه للتدريس وظل في عدن إلى مـــا قبل الثـــورة يـــدرس الأدب والوطنية.

ولا شك في أن قارئ هذه المذكرات سوف يستمتع بالأفكار والذكريـــات التي اختزنها أستاذنا الجليل خلال عمله وزيرا بعد قيام الجمهورية ودبلوماســـيا في أكثر من بلد عربي ورصده بوعي الثائر والمواطن العربي والمثقف ما كان يجري من أحداث وما تدل عليه وقائع التاريخ المعاصر من تطور في حركة الوعي القومـــي العربي متعدد الآفاق والمستويات.

وبما أن هذه المذكرات أو الذكريات تمتد إلى الثمانينات فقـــد أكـــدت أن الشعب الذي عاش الليـــل الطويل بأكمله وشهد مولد الفجر المنتظر واســـتمتع

ببعض الاشراقات التي تمناها لم تكتمل سعادته ولم يهنأ بما قدمه من تضحيات غالية وعالية فقد استحوذت على بعض أبنائه أفكار الخوف من الماضي واستحوذت على البعض الآخر أفكار الخوف من المستقبل فوقفوا حائرين ثم متصارعين وصدرت عن هذا الموقف ردود أفعال وتصرفات لم تكن في الحسبان، لعبت دورا سلبيا في سياق الأحداث الطويلة وعملت على استمرار التعثر وعدم الاستفادة من التضحيات التي رافقت الإقبال الشعبي المنقطع النظير لتأييد كل ما من شأنه أن يحرك الأوضاع الراكدة ويضمن للإنسان قدرا من الحياة العادلة المستقرة. كما أن عمله وزيراً بعد قيام الثورة منحه فرصة اختبار الأفكار وهي على محك التطبيق من خلال العمل الحكومي وفي إطار الوزارات التي كانت تنتظرها بعد الثورة تركة ثقيلة.

أخيراً،

إنني أتفهم وأعي بوضوح أسباب السعادة الغامرة التي ملأت القلوب وارتسمت على وجوه تلاميذ أستاذ الأجيال الأستاذ احمد حسين المروني عندما علموا بقرب صدور الجزء الأول من مذكراته أو ذكرياته كما يحب أن يسميها فالأجيال المتعاقبة في ظمأ إلى قراءة فصول مكتوبة بمداد الصدق والأمانة من تاريخ وطنهم في العقود الثلاثة التي سبقت قيام الثورة وكانت بأيامها وشهورها وسنواتها بمثابة الليل الذي سبق مطلع الفجر الذي طال انتظاره.

إشـارات

أحمد جابر عفيف

أشعر بسعادة غامرة وأنا أقدم بين يدي القارئ هذا السفر المهم الذي كتبه واحد من رواد النهضة والتنوير في اليمن. لأنه كتاب مهم لأكثر من سبب. فـــهو يوســع معرفتنا ويسد النقص الذي نحس به فيما يخص البدايـــات الأولى لمحـــاولات التنويـــر والتحرر من ليل الاستبداد والتخلف، وهو في الوقت نفسه شهادة حية من أحد المعـلم الحية للتغيير. فإذا كنا نهتم بالحفاظ على معالم التاريخ المادي لنحفظ لذاكرتنا حرمتـــها وحقها في التمرد على الاندثار، فإن المعالم الحية للتغيير التاريخي في فترات الانعطـــاف المهمة إذا لم تسجل وتدون وتخرج من تلافيف أدمغة صانعيها اندثرت قبل اندثار المعـلم الحضارية المادية الثابتة. وهكذا على الرغم من حق الرواد علينـــا أن نكـــون أوفيـــاء لتضحياتهم من أجل الأجيال الجديدة وحريتها وفرص تطوير حياتها، فإن اهتمامنا بهـــم وبتاريخهم وتضحياتهم ليس من أجلهم بل من أجل الحاضر والمستقبل، ومـــــن أجـــل التطوير والخروج من غياهب الفقر والجهل والتخلف، ومن أجل مستقبل هذا البلـــد الذي يطمح لمواصلة الرسالة التي حملوها وضحوا من أجلها، آملين أن يأتي يوم يبنى فيه كيان وطني متحرر من الاستبداد والخوف والظلم والفاقة، سيد على أرضه، متفـــاعل مع عالمه، مشارك في صنع الحضارة الإنسانية.

وإذا كنا نحن الذين عشنا جانبا من تلك الفترة المظلمة العصيبـــة الـــتي عاشها الصديق الأديب المناضل أحمد حسين المروني نشـــــعر بحاجتنـــا إلى هـــذا

الكتـــاب لتوسيع دائرة معرفتنا بالبدايات الأولى لمحاولات التغيـــير، وبغوامـــض تلك الفترة وألغازها ومآسيها التي ما تزال في حاجة إلى حـــل طلاسمـــها وفـــك رموزها، وتقويم سير الأمور خلالها، فإن الأجيال الجديدة أشد حاجة منا لمعرفـــة كل ذلك والتعرف على الكيفية التي كانت بها البلاد غارقـــة في غيـــاهب ليـــل الاستبداد والجهل والفقر والتخلف. وهم في حاجة أيضا لمعرفة البدايات الحقيقيـة من مصادرها الأصلية، ومن صناعها الحقيقيين الذين تجرعوا غصصها، وواجـهوها بشجاعة وإقدام على التضحية، وبروح مغامرة وثابة تتحدى الصعاب، فصنعـــوا بذلك بدايات مشرقة ينبغي أن تبني الأجيال الجديدة عليـــها لتطـــور حاضرهـــا وترسم ملامح مستقبلها.

وإني لأتذكر تلك اللحظات التي عرفت فيها الأســـتاذ المـــروني، قبـــل حـــوالي ستين سنة، حين كنت طالبا أدرس في صنعاء عقب تخرجه من العـــراق في النصف الثاني من ثلاثينيات القرن العشرين، وأتذكر معه رفاقه أستاذي الشـــهيد المربي أحمد الحورش، والشهيد محيي الدين العنسي رئيس بعثة المـــروني والمشـــير عبدالله السلال والأستاذ/ زيد عنان ممن خرجوا فيما بعد للدراســـة في بغـــداد، وآخرون. عادوا كلهم من العراق بأفكار جديدة، وطموحات محلقـــة، وأحـــلام كبيرة تحقق بعضها وما يزال بعضها ينتظر من الأجيال الجديدة أن تحققها.

كان أستاذنا المروني حينذاك يلفت أنظارنا بأناقته، ووسامته، ونظافتـــه، وبأشعاره، وبالطريقة الجديدة الجذابة والمؤثرة التي يلقي بها الشـــعر، وبخاصـــة في المناسبات التي يُلقي فيها القصائد حين كان في المناسبات يلقي القصائد. وكـــان يجتذبنا بسلوكه المتميّز، وبخلقه القويم، وتواضعه الجم. وكنـــا نـــزوره في بيتـــه ونلاحظ أن هذا البيت يختلف عن بيوت الآخرين من زملائه من حيث النظافـــة والترتيب. وفي أواخر الخمسينات توثقت صداقتنا، لكنه ســـرعان مـــا اضطـــر

للهرب إلى عدن ليتجنب بطش الطاغية أحمد حميد الدين به، وليشارك في حركة المعارضة من خارج مملكة الظلام. وبقيت أتابع أخباره ونشاط حركة الأحرار في الخارج باهتمام. وعلى الرغم من أن الظروف قد قذفت بكل منا في مناحيها، ظل الحب والاحترام المتبادل والإعجاب يحيط بعلاقتنا.

ومنذ عام خطر في بالي أن هذا الرجل المربي والمناضل والأديب، بما بث في اليمن من أحلام وطموحات، وبما قدم من أفكار جديدة، وبما سطر من كتابات وما بذل من تضحيات في سبيل التغيير، لم يلق ما يستحق من التكريم وهو يلج العقد التاسع من عمره، ولم تسمح له ظروفه بعد أن يكتب رحلة حياته الغنية بالدلالات التاريخية، من حيث ارتبط اسمه بأول دفعة من الطلبة خرجت من يمن العصور الغابرة وبذرت بذرة المستقبل التي ما برحت تنشر وعود الحرية، وتحاول نسج علاقة جديدة متطورة ومتفاعلة بين هذا البلد وعالمه المعاصر. لذلك التقيت به وعرضت عليه أن نجمع ما كتبه في الصحف والمجلات، وأن يكتب هو سيرته ويصف رحلة عمره بحلوها ومرها. وبدأنا نلتقي بين وقت وآخر. ونضجت الفكرة لديه، وبعث لي رسالة موافقا على مقترحي في وقت بدأ فيه بكتابة ذكرياته عن الأحداث الوطنية التي مر بها. وسلمني جميع ما لديه وأعطاني حق التصرف لإخراج ذلك بالطريقة التي أرى. ولكنني حرصت على أن يأتي هذا الكتاب الذي أقدمه للقراء نابعا من ضميره، ومن خلجات أفكاره، فلم أتدخل قط فيما كتب فيما عدا ترتيب الكتاب وطريقة الإخراج وترتيب الرسائل المتبادلة بينه وبين أصدقائه ومحبيه، وكذلك ترتيب الصور الفوتوغرافية. بمعنى آخر قمت بالوظيفة التي عادة ما يقوم بها الناشر. وقد عهدت بالتدقيق والترتيب إلى الباحث اليمني د. عبد اللطيف الأدهم بعد أن ناقشت معه طريقة الترتيب

والتبويب، فتولى ذلك وانجزه على نحو يبعث على الرضى، فلـــه كـــل الشـــكر والتقدير على ما بذل من جهد.

وقد أعدت النص إلى الأديب الأستاذ المروني أكثر من مـــرة للمراجعـــة والتصرف، وأعاده إلي مصححا للمرة الأولى والثانية والثالثـــة حـــتى خـــرج في الأخير كما يريد كاتبه، وباسلوبه الممتع الشائق في الكتابة، وهو أسلوب وصفـــه العرب قديما بأنه "سهل ممتنع". فسيدرك قارئ الكتاب، وبخاصة ممـــن عرفـــوا الأستاذ المروني، أنه يكتب كما يروي بأسلوب ممتع وجـــذاب، قـــوي العبـــارة، واضح التعبير، على نحو يعكس شخصيته الآسرة على ما يكتب.

ولقد سمحت له خبرته الطويلة بالحياة والناس أن يسمو فوق الصغـــائر، فلا يتتبع العثرات، وإذا رواها صاغها بعبارة مرحة باعتبارها من نـــوادر الحيـــاة وطرفها التي تواجه الإنسان وتستحق أن تروى للتفكه والعبرة، وكأنه يتمثل قـــول الله تعالى [وأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض].

وكل ما يهمني في هذه الإشارات أن أقدم هذا المناضل العمـــلاق لهـــذا الجيل وللأجيال القادمة ليكون قدوة ومثلا أعلى من حيـــث الفكـــر والثقافـــة والسلوك والموقف الوطني والتمسك بالمبدأ، ورفض الظلم والاستبداد والتخلـف، والصدق مع النفس ومع الآخرين، والإيمان بحتمية التغيير.

والله من وراء القصد.

المقدمة

لم أتحمس بادئ ذي بدء لاقتراح كثير من الأصدقاء الذين كانوا يستمعون إلى ما أقص عليهم من رحلتي في الحياة، أقول لم أتحمس لاقتراح أولئك الذين منحوني حبهم وصفاءهم، بأن أسجل ذكرياتي كشهادة للتاريخ قد يستفيد منها من يأتي بعدي من الأجيال القادمة، حتى وجدتهم- أولئك الأصدقاء الأعزاء- يلحون علي بل أتهمني بعضهم بأنني أخشى ما ستثيره قصة حياتي من تساؤلات وقد تعرضني للنقد والتجريح، وهنا لم أعد قادرا على التسويف والمماطلة فقررت أن أبدأ بالكتابة دون تردد، وها أناذا استعيد ما بقي في الذاكرة من مشاهد وصور للأحداث وأكتبها كما هي علها تكون معينة لمن سيكتب حول تاريخ اليمن المعاصر وقد آليت على نفسي بأن لا أثير فيها ما يجرح أو يتسبب في إيذاء أحدْ.. لكنني لن أترفق بمن أزهقوا الأرواح، ونكلوا بصفوة المفكرين وعلقوهم على أعواد المشانق، ولن أتسامح مع من نغصوا حياتي وحياة أهلي وأخوتي، وقدموا شرف المروني رحمه الله كبش فداء في أحداث 1959م عندما قتل الجيش أولاد الجبري: احمد وعلي..

كذلك أرجو أن يعلم شبابنا والأجيال القادمة من أبناء اليمن، الذين لم يعيشوا في ظل الإرهاب المتوكلي ولم يعانوا ما عانينا من قسوة الحاكم المتأله الطاغية المتوحش، وليعرفوا بأن ثورة السادس والعشرين من سبتمبر لم توجد من فراغ ولكنها جاءت عبر نضال دام، ومعاناة قاسية وصراع رهيب.. فعليهم أن يحرصوا على تثبيت هذه الثورة، والتأكيد على أهدافها كي يتحرر الشعب من رواسب الماضي، ومخلفات الحكم البائد، ويتخلص الإنسان اليمني من الخوف وليفكر ويعمل ويبدع، ويحيي آثار الحضارة التي أقامها أجداده فصارت حديث التاريخ. فقد مضت مئات السنين والإنسان في اليمن لا يعرف لماذا وجد على الأرض، بل بقي أسير الخرافات عندما أوهمه الدجالون من الحكام بأنها هي الدين، وقيدوه بعقيدة تجعلهم في نظره قديسين وملائكة وهم الشياطين والأبالسة وروضوه بالسيف والعصا حتى حولوه إلى ما يشبه القردة، وصبوا جام غضبهم على من فكر أو عارض أو انتقد وجعلوا مصيره السجن أو الموت.. وكانوا يخادعون الله وهو خادعهم.. لقد استجاب الشعب اليمني لدعوتهم ووثق بهم كما لم يثق بآبائه وأجداده ولكنهم جعلوا من استجابته وسيلة لظلمه وقهره، وفسروا طاعته بأنها زلفى وخشية.. ولم يفسروها بأنها الثقة والحب، ولنقرأ ما جاء في مقدمة سيرة المرحوم العزي صالح السنيدار وهو يشير إلى أول لقاء له مع شيخ الأحرار الحاج محمد عبدالله المحلوى، قال رحمه الله: وقد جمعتني الصدفة بفيلسوف الأحرار المحلوي في بيت الحاج محمد عبدالله السنيدار سنة 1930م حيث تعرف علي بعد أن صافحني وقبلني بين عيني لخدمة قدمتها لأحد أقربائه ونحن في مكة.. وكنت يومئذ متحفظا بالنسبة للمحلوي لما سمعت من الدعاية ضده بأنه ناصبي لا يحب الإمام يحيى، بل سمعت أناسا يكفرونه ويلعنونه لأنه يبغض الإمام ويصفه بالظلم والاستبداد.. وكان العزي صالح السنيدار من أشد الناس حبا للإمام لأنه- أي الإمام- من آل النبي محمد صلى الله عليه وسلم.. فلما سمع من أحرار

الفكر أمثال الحلوي والسكري والمطاع وعصده واليدومي.. من أولئك المبكرين بالمعرفة والذين اكتشفوا الإمام يحيى وسوء نيته.. تنبه وآفاق من غشيته وتعصبه، والتحق بالطلائع المفكرين الأحرار، وبذل من ماله وجهده ووقته ما بذله أصحاب الرسول (ص) بعد أن تيقن من أن الإمام يحيى دجال ما كر وعدو للشعب ولمبادئ الإسلام.. وتعرض العزي صالح السنيدار للسجن والتعذيب والتنكيل بسبب رفضه لحكم الإمام يحيى ونجله احمد وأخوته، لأنهم كانوا يحتقرون الشعب وينظرون إليه بازدراء وسخرية.. حتى جاءهم الطوفان والتهمهم البركان وعصفت بهم رياح التغيير إلى مقبرة النسيان وهكذا عرفت العزي صالح السنيدار والشهيد احمد بن احمد المطاع، حيث جمعتنا فكرة الثورة ضد الظلم والقهر والإذلال، وتشابكنا أيادي، والتحمنا مشاعر وأفكارا ومضينا نحاول إضاءة الطريق لأولئك الذين عاشوا في ظلام الجهالة واستكانوا للخرافة المضللة وانتهى بنا الأمر إلى المشانق، وبعضنا إلى ظلام السجون الموبوءة، وصبرنا وصابرنا وتحملنا قسوة الانتقام ممن حاولوا فك الحصار الفكري والأدبي والاجتماعي..

هذا هو الفرق بين الطاغية البخيل المتأله وبين ابن الشعب المتواضع الكريم حيث أذكر أنني ألقيت قصيدة في مقام الإمام يحيى الذي احتفل بولديه العباس والمحسن حينما ختما قراءة القرآن ودعوت في القصيدة إلى نشر العلم وإرسال البعثات، وقد أعجب الحاضرون بالقصيدة وحسن إلقائها، وبعد ذلك صعدت درجات المقام حيث يجلس الإمام وسلمت عليه فقال بلؤم: هذه القصيدة (طنانه) وكرر الكلمة، وعندما كان يصف القصيدة كان يدق بأصابع يده على صدري ويكرر الكلمة وكاد يلقي بي إلى ساحة القصر لولا أن حرسه تلقفوني وحالوا دون سقوطي إلى حيث كانت تنتظرني الإصابة بالشلل أو الرضوض

التي قد تخلف في جسمي أوجاعاً مستديمة. وكتب الله لنا البقاء بعـــد أن فقدنـــا الصفوة من المناضلين الأحرار والذين سقطوا في ساحات الاستشهاد، وخرجنـــا مـــن السجون أكثر إصراراً على مقاومة الحكم الفـــردي أو إســـقاطه حـــتى تم للأحرار ما أرادوه وقامت ثورة الـــ26 من سبتمبر 1962م وأهيل التراب علـــى من ساموا الشعب سوء العذاب.

قصتي مع الوسام

إنه في صبيحة يوم 20/ 3/ 1985م رن تلفون بيتي وعندما رفعت السماعة سمعت صوتا يقول لي: معك رئيس الجمهورية، وبعد لحظة سمعت صوت ذلك الرجل الكريم يقول لي في محبة وعطف: كيف حالك؟ قلت في خير فقال: أريدك تحضر إلى دار الرئاسة، فقلت بكل سرور أنا إليكم وقمت من ساعتي فلبست ملابس الخروج وأنا في حالة من الاستبشار وركبت السيارة إذ كنت أسوقها بنفسي وكنت قبل ذلك قد اتصلت بالصديق الكريم الدكتور عبدالعزيز المقالح وأخبرته الخبر فقال لي في مودة وشعور نبيل: أنا معك وهكذا التقيت به واتجهنا إلى دار الرئاسة، وعندما دخلنا إلى ساحة القصر وجدنا أحد الضباط يرحب بنا ويرافقنا إلى الخيمة الخضراء حيث كان الرئيس يستقبل ضيوفه وزواره،ووجدناه باسم الوجه يرحب بنا في مودة وعطف وبعد أن سلمنا عليه وجلسنا ننتظر ماذا سيفاجئنا به وإذا به يقوم ويأخذ بيدي ويتجه إلى القاعة التي يستقبل فيها من يدعوهم للقائه وهنا رأيت الأخ احمد الرضي أمين عام رئاسة الجمهورية وفي يديه علبة مغشاة بقطيفة حمراء حيث قدمها إلى الرئيس الذي فتحها وأخرج منها الوسام حيث قلدني إياه في مودة ولطف ثم أخذ بيدي إلى جانبه لتلتقط لنا صورة تذكارية، وقبل أن نغادر القاعة عانقته في إجلال وتقدير وكادت دموعي تنهمر في هذا المشهد التاريخي، وتذكرت في ذلك الموقف العظيم ما لاقيته من فضاضة

وقسوة آل حميدالدين وكيف كانوا يحتقرون الأدباء والعلماء والمخلصين، وكيف كانوا يستهترون بكل الناس،ذكرت ذلك وأنا يغمرني السرور والابتهاج بمبادرة الرئيس علي عبدالله صالح لتكريم المناضلين والصادقين في حبهم للوطن وللشعب.. وقد عزز الوسام ببراءة الاستحقاق كما نشرتها صحيفة الثورة.

الرئيس علي عبدالله صالح يقلد الاستاذ المروني الوسام

الفصل الأول

الميلاد والنشأة والابتعاث للدراسة في العراق

الميلاد والطفولة الأولى

في حارة الجامع الكبير في صنعاء كانت ولادتي سنة 1920م، وفي بيت متواضع ورثته والدتي عن والدها نشأت وترعرعت، ولم اعد اذكر مراحل الطفولة حتى بلغت السادسة من العمر حيث كنت الازم والدي الذي كان يمارس تجارة بسيطة في دكان صغير بسوق البز، ويقيم الصلوات الخمس في مسجد الرضوان بباب اليمن، كما يقوم بالعناية به وصيانته مقابل مرتب بسيط[1]. وكنت معتل الصحة شديد الخوف من الناس ومن الليل حين يخيم بظلامه وسكونه، وتنشط فيه الكلاب الضالة ويطول نباحها. وكانت حارة الجامع الكبير أقل صخبا ومشاكسة بخلاف الحارات الأخرى التي كانت أشبه بالمعسكرات المتعادية والتي يكثر فيها الصدام والشغب.. ومع ذلك لم تخل حارتنا مما يحصل عادة بين الجيران من صفاء ووئام وأحيانا من جفاء وخصام بسبب الخلاف بين الأطفال والأولاد الكبار. كما كنت أشارك أبناء الحارة، وبخاصة الجيران الأقربين، من ألعاب عابثة وتسلية ممرغة وتجاوزات حمقاء.. حتى إذا بلغت السادسة من عمري بدأت أضيق بحياة الحارة وما فيها من سخف وعبث، وهنا

(1)- لم يكن ناظر الأوقاف يصرف لسدنة المساجد، نقودا مقابل اعمالهم في المساجد بل يحول لهم حبوبا من مخازن الإمام شعيرا أو ذرة.

التحق أخي علي رحمه الله بمكتب الأيتام[1] وكان يكبرني ببضع سنوات.. فكان يعود كل يوم وقت الظهر ومعه أربعة أرغفة من خبز يسمى (الكدم)[2]، ثم فاجأنا ذات يوم وهو عائد من المكتب وقد أرتدى ملابس غريبة: قميصا طويلا (زنة) مصبوغة بلون أخضر، وسترة (كوت) بلون أصفر ذات نسيج غليظ، وطاقية (كوفية) مصبوغة بلون أخضر وضع في وسط القحف قطعة حمراء مدورة قطرها ثلاثة سنتيمترات تقريبا، وكان شكله بتلك البدلة يلفت النظر استغرابا وإعجابا.. وكان يواظب على المكتب مما جعلني اشتاق إلى اللحاق به، ففاتحت والدي يرحمه الله برغبتي في الالتحاق بمكتب الأيتام فوعدني خيرا .

الالتحاق بمكتب الأيتام

مرت الأيام وأنا أتشوق للحاق بأخي ووالدي يبذل جهدا في مراجعة مدير المكتب حتى تمكن من الحصول على الموافقة بدخولي المكتب، وكانت فرحتي غامرة مع إحساس بالقلق، ولكن الفرحة كانت طاغية على بقية الأحاسيس. وكان المدير المسئول عن المكتب هو رئيس الشرطة، ويدعى حسين افندي حنش، بل كان المسئول عن الأمن في صنعاء وضواحيها.. وذات صباح أمسك والدي بيدي يرحمه الله وقال لي: اليوم سيكون دخولك المكتب أسأل الله أن يعينك ويلطف بك.. ذلك لأنه كان يوليني رعاية خاصة.. فقد أحس بعد ولادتي بالانفراج عن ضائقته المعيشية، وهذا ما كانت تقوله لي والدتي يرحمها الله. لقد

---

(1) التسمية بـ(مكتب) بدلا عن المدرسة تسمية تركية، فكان يقال المكتب الحربي، ومكتب المعلمين الخ. وأضيف إليه الأيتام لأن أكثر الشعب كانوا كالأيتام.. إن اليتيم يتيم العلم والأدب

(2)- هو خبز. يصنع في فرن القلعة الذي أسسه الأتراك مع طاحون يشتغل بالديزل، وهذا الخبز يصنع من عدة أنواع من الحبوب: الشعير، والعدس، والذرة، والفول، ولعل الكلمة تركية، حتى كانت الأربعة أرغفة تسمى "شفت"، فيقال: أعطوه شفت كدم، أي أربع كدم.

الإدارة العامة للمكتبات
المكتبة المركزية
٢٠٧٥٦٧

كانت ولادتي سببا في أن ما كان يعانيه والدي من ضيق المعيشة قد تحول إلى حالة حسنة بل كانت تقول لي بأنني ولدت وجسمي مغطى بزغب أصفر كقط صغير مما دعاها ووالدي إلى التفاؤل. وهكذا قمت من النوم في ذلك الصباح ولبست (زنتي) المخصصة للنوم وللخروج إلى المسجد والشارع والسوق، مع طاقية بسيطة. ولا أذكر بأنني لبست سراويل في ذلك الوقت وكذلك الحذاء لم أعرف بأنني ملكتها إلا في مكتب الأيتام، وفي السنة السادسة كنا نتقاضى ما يقرب من (بقشتين) [1] في الأسبوع كمرتب ثابت، وكنت أوفرها مما جعلني أفكر في شراء حذاء. وكان في سوق الملح[2] تجار صنعاء يبيعون لطلبة الأيتام ما يحتاجونه من أقلام وأوراق ودفاتر وأحذية بالتقسيط. وفي الصف الأول ويسمى (الصنف) التحقت به حيث وجدت ما يقرب من ثلاثين طالبا كانوا قد سبقوني.. بعضهم من صنعاء والأكثرية من الريف[3]، وكنا نجلس على الأرض إذ لم تكن المقاعد قد وجدت إلا للصفوف المتقدمة، وكانت السبورة هي المرجع لتلقي الدروس، وكان المعلم يخط بالطباشير الحروف الأبجدية ثم يتلوها علينا مرة والمرة الثانية نردد بعده ما يملى علينا، والمرة الثالثة يشير بالعصا إلى الحروف ونحن نقرؤها وبأصوات عالية كانت تسبب لي صداعا.. ولكنني تعودت، وما هي إلا أشهر حتى بدأنا نقرأ كلمات أهمها الأسماء. وكانت الكلمات قسمين: قسم يبدأ بحرف قمري مثل: الباء والجيم والعين، وهذه الأحرف إذا سبقتها (ال) تظهر فيها اللام، وقسم يبدأ بحرف شمسي مثل: التاء والثاء والشين والصاد، الخ، وهذه الأحرف إذا سبقتها (ال) التعريف لا تنطق اللام مثل: الشمس، الصبر، الطعام، الخ، بخلاف

---

(1)- البقشة تساوي 15 فلسا بالنسبة لعملة اليوم وكانت قيمتها الشرائية عالية.

(2)- سوق الملح من الأسواق المشهورة في صنعاء وهو موصول بالأسواق التي يباع فيها الملح.

(3)- لم يتحمس أهل صنعاء لإلحاق أولادهم بمكتب الأيتام وكانوا يفضلون القراءة في المساجد أو الكتاتيب.

الحروف القمرية مثل: القمر، الحوت، الغطاء، الكتاب، الخ، فهنا تنطق (ال). وكان أسلوب التعليم بدائيا جدا ولكن بالعصا. وتكرار التهجي والمعلم يرهبنا، ويحثنا على أن نتهجى الكلمات أو الحروف بأصوات عالية صاخبة، مما يلهب حلوقنا فلا تنتهي حصة الدرس إلا ونحن نتخافت بالكلام بعد أن أجهدتنا القراءة بالصوت العالي... ولا أذكر أنني تعرفت على أصدقاء في هذه المرحلة، حتى أنهيت السنة الأولى ونجحت إلى الصف الثاني وقضيت سنة تشابه السنة الأولى ما عدا زيادة حصص الخط والحساب ونقلت إلى السنة الثالثة، وهنا بدأت أعي الحياة وأشعر بأن لي زملاء يعانون مثلما أعاني، وأول زميل تعرفت عليه واستأنست به هو الشيخ محمد عبدالله البهلولي رحمه الله. وكان معلم هذا الصف هو سيدنا عبدالله شريم رحمه الله، وكان ذا صوت جميل وله شغف بالأدب والشعر، كما أنه منشد لطيف، بل قيل بأنه أيضا مغن ويعزف على العود[1] في المجالس الخاصة، وبتكتم شديد. وهكذا تدرجت في الدراسة حتى أنهيت السنة السادسة ونقلت إلى الصف السابع أو الصف الممتاز، إذ لم يكن في نية الإمام يومئذ فتح مدرسة إعدادية، بالرغم من أن مناهج الصف الممتاز كانت كمناهج الإعدادية، ففيها الرياضيات والهندسة والجغرافيا واللغة الفرنسية ومبادئ العلوم والصحة[2]. ولا بأس بأن أشير هنا إلى ما كان يقدم للطلبة الليليين من طعام:

---

(1)- كان العزف على العود يعاقب من يمارسه بالسجن، كما يحطم العود ويعلق بباب مقام الإمام يحيى. وكان الفنانون الهواة يتكتمون ويبالغون في منع تسرب صوت العزف إلى خارج المكان الذي يتم فيه العزف على العود.

(2)- من بين الطرائف التي ما زلت أتذكرها، والتي تعود إلى السنوات الأخيرة من دراستنا بمكتب الأيتام، أننا عندما كنا في الصف السادس كان معلم الجغرافيا يأتي في حصته بآلة تشبه مكينة الخياطة وتشتمل على مرآة تمثل الشمس، وكرة تشبه إحدى الأكر التي تستعمل في لعبة (البلياردو) معلقة في سنارة تقابل الشمس، وكرة صغيرة من الطباشير على سنارة متحركة تمثل القمر، وكان المعلم يأتي بهذه الآلة ليشرح لنا عملية الكسوف والخسوف، وكان عندما يحرك هذه الآلة تدور الأرض حول نفسها ومعها القمر يدور حولها وتدور حول الشمس، وعندما يحرك هذه الآلة وهو يشرح لنا عملية الكسوف والخسوف تسقط أحيانا كرة الطباشير فيأخذها المعلم ويردها إلى مكانها، وذات مرة كان يشرح لنا

فالغداء يقدم في صينية من النحاس لكل ستة طلبة ويحتوي على البطاطس مع اللحم البقري والتوابل، و بعد ذلك تطرح (الحلبة) على بقايا مرق اللحم والبطاطس، وتؤكل بخبز الكدم التي أشرت إليها في صفحة سابقة. وكان الطلبة الكبار يتسلطون على الطلبة الصغار ويتحكمون في أكلهم وشربهم ونومهم ويقظتهم، ولا سيما الطلبة الذين يفدون من الأرياف. وقد يتبدل الطعام في أيام الأعياد ويصنع للطلبة الليليين طعام لذيذ يتفق مع المناسبة.. وكان الطالب يتعرض للضرب الشديد، وقد يلبس القيد ويحبس أو يبقى مقيدا مع الطلبة الليليين. وكان الإمام يزور المكتب بين أسبوع وآخر أو عندما يمر موكبه من أمام المكتب، لأن اليمن في ذلك الوقت ليس فيها أي مؤسسة صناعية أو اقتصادية أو زراعية.. أي ليس فيها ما يجعل الإمام يحي يهتم به ويحرص على زيارته، ولهذا كان مكتب الأيتام محط اهتمامه.. ولم يكن اهتمامه بالتعليم وتثقيف الطلبة.. بل كان يصب اهتمامه على ما يلقن للطلبة من سيرة الإمام وفضله على اليمن بل لقد أمر بتدريس تاريخ الأئمة وتجاهل التاريخ الحضاري لليمن. وكان قد عين مديرا للمكتب عبدا يسمى (عنبر اغا)، وكان مملوكا لوالي صنعاء التركي ثم أعتق، وأدار المكتب بحزم وقسوة، ولكنه ذو قلب رقيق في غير أوقات العمل. وكان ملبسه الأنيق المشكل من بنطلون وجاكت وصدرية يلفت أنظار الطلبة

=الدرس فسقطت الكرة التي تمثل القمر فالتقطها أحد الزملاء ووضعها في فمه مما جعلنا نرفع أصواتنا في استنكار قائلين: يا أستاذ إن فلانا بلع القمر، وهنا ابتسم المعلم وضج الصف بالضحك.= وفي يوم من الأيام ونحن في الصف السابع كان معلم اللغة العربية يملي الدرس على واحد من الطلبة وهو يكتب على السبورة ما نملي عليه، وكنا نتسابق في كتابة الدرس فكانت السبورة قد ملئت بالكلمات بحيث لم يعد فيها مساحة لكتابة اخرى، وكنا نسأل زميلنا الكاتب وبس)؟ أي خلاص لم= يعد هناك كلام، فيرد علينا (وبس) ثم يسأل زميل آخر بعدما يكتب كل ما في السبورة قائلا وبس، وهنا قام الزميل الكاتب وأخذ قطعة الطباشير وكتب في السطر الأخير وبس، وعندما جاء الأستاذ يسمع لنا غيبا ذلك الدرس كان الكل ينهي أسماع الدرس بكلمة وبس وكان هذه الكلمة من صلب الموضوع.

ويكسبه هيبة، وكان يمسك بالكرباج المصنوع من سيور جلدية ويستعمله لضرب المتأخرين عن الحضور في الوقت الرسمي أو المخالفين للنظام، وقد يجلد به المنحرفين أخلاقيا. ولم يكن يحسن القراءة والكتابة ولكنه قد تدرب على التوقيع واعتمد على مستشاريه من المعلمين الذين حذقوا اللغة التركية ودرسوا في مكاتب الأتراك أمثال المعلم محمد احمد تقي ومحمد زيدان والأستاذ رفعت، واللواء غالب سري وغيرهم. وكان محط احترام الجميع لنزاهته، وسيره على منهج واحد وهو أداء العمل بصدق وإخلاص. وكان يعاني من مرض مزمن أودى بحياته أخيرا.

البعثة التعليمية الأولى إلى العراق

كان من عين مديرا للمكتب بعد ذلك هو الأستاذ محمد موسى[1]، الذي كان أحد أساتذة الصف الممتاز، والذي تم أثناء توليه لإدارة المكتب اختيار أول بعثة تعليمية إلى العراق كانت مؤلفة من طلبة الصف الممتاز وهم: محمد عبدالخالق حجر، وعبدالله يحيى السلال، واحمد علي إسحاق، ومحمد صالح العلفي، ومحمد مصلح الريدي، وحسن بن حسين العمري، واحمد محمد طاهر، ومحمد بن محمد عامر، واحمد بن علي الأنسي، واحمد حسين المروني، وعين على رأسهم الأستاذ محي الدين العنسي. وكان سبب إرسال هذه البعثة إلى العراق هو أن الوجيه الفاضل حسين بن صالح الحبشي، الذي كان مغتربا في جاوا

---

(1) الأستاذ محمد موسى كان شاعرا وأديبا وفقيها تخرج من المدرسة العلمية التي كان يتخرج منها القضاة الشرعيون، وكان السيف عبدالله يراعيه وقد تحصل بينهما مداعبة بالشعر، فمثلا كان السيف عبدالله يأمر بتوقيف بعض الطلبة فيسأله الأستاذ محمد موسى (علا سب مه؟) يعني بأي سبب التوقيف فيرد عليه السيف عبدالله قائلا: ما اعتنوش، فصاغها الأستاذ موسى قائلا:

لست أنسى ذكر العلا سب يوما ... لا ولا ما اعتنوش ما دمت حيا

(إندونيسيا) مع كثير من اليمنيين وأغلبهم من الحضارم، ترك جاوا وجاء بأهلـــه وأولاده إلى صنعاء ليقيم كما قال في ظل دولة مســـتقلة، ولأنـــه كـــان يكـــره الاستعمار الهولندي بالذات الذي حكم إندونيسيا. وألحق أولاده الصغار بمكتـــب الأيتام. وكانوا قد نالوا قسطا من التعليم في جاوا ووزعوا على صفوف مكتـــب الأيتام كل واحد بحسب معلوماته، وعندما انهوا منهج مكتب الأيتـــام، احتـــار والدهم وفكر في إلحاقهم بأية مدرسة ذات منهج أرقى من الابتدائية، فتحدث مع اللواء محمد سري شايع[1]، الذي كان يتردد على بيت الحبشي يطالع في بيتـــهم الصحف المصرية، ويتحدث معهم في شئون الحياة. وكان اللواء شايع ممن تخرجوا في المدرسة الحربية في اسطانبول، وتعرف على زملاء له مـــن العـــراق وســـوريا ولبنان، وظلت صداقته بزملائه العراقيين مستمرة بالمراسلات. وحينئـــذ وعـــد الوجيه حسين الحبشي بأنه سيكتب لأحد أصدقائه في بغداد يســـأله إن كـــان في إمكانه أن يتوسط لدى الحكومة العراقية لقبول عشرة طلاب من اليمن ليلتحقـــوا بالمدارس في بغداد، على نفقة الحكومة العراقية. وكتب بالفعل إلى صديقه المرحوم السيد داوود الوتري وكان يومئذ وكيل رئيس مجلس الأعيان. ولم يطل انتظـــار الرد. فقد جاء بالإيجاب وأن حكومة العراق ترحب بأي عدد من أبنـــاء اليمـــن للدراسة في المدارس العراقية على نفقة الحكومة العراقية. وسر الوجيه الحبشـــي بهذا النبأ، وتوجه من فوره إلى السيف عبدالله بن يحيى حميد الدين نجل الإمام يحيى، وكان وزيرا للمعارف، وله حظوة عند والده الإمام، وفاتحه بخصـــوص إرســـال أولاد الوجيه حسين الحبشي للدراسة في العراق على نفقته وطلب الأذن بذلـــك، فوعده السيف عبدالله خيرا وقال له لا بد مـــن مفاتحـــة الإمـــام بهـــذا الشـــأن

(1)- اللواء محمد سري شايع أعدم بسيف الطاغية الإمام احمد لاشتراكه في ثورة سنة 1948م مع أن الإمام قد كان امر بحبسه المؤبد وقد كان عمر الشهيد 65 عاما.

والاستئذان من جلالته[1]. وبعد فترة من الزمن، التقى الحبشي بالسيف عبدالله يستطلعه الخبر فقال له: إن الإمام وافق على أن نبدأ بإرسال أبنائنا ثم بعد ذلك نرسل أولادكم، فرد عليه الحبشي في سرور وارتياح قائلا: إن أولادكم هم أولادنا، وعلى بركة الله فلتبدأوا بإرسال من ترونه من أبنائكم. هكذا تم اختيار عشرة من طلبة الصف الممتاز (السابع)، وصدر أمر الإمام إلى إدارة القصر السعيد لتفصيل ملابس مناسبة لأفراد البعثة. وكان قصر غمدان هو المؤسسة العسكرية وفيه السجن الغليظ الذي يسمى القلعة. وفيه مخازن الحبوب التي يتم جبايتها عينا من المواطنين، كما يضم الطاحون الذي يمد الفرن بالدقيق لصنع الخبز الذي يوزع على طلبة مكتب الأيتام وأفراد الجيش. وتم استلام الملابس المناسبة التي عينت وفصلت لأفراد البعثة، وكانت عبارة عن قميص مصبوغ باللون الأخضر، وسروال طويل، وجاكت من القماش الكاكي، وكوفية ومعها قطعة من القماش الرقيق لتكون بمثابة العمامة.

مغادرة البعثة وامتعاض الإمام

تحدد يوم السفر للبعثة وأقيم حفل استعراضي في الميدان شرقي صنعاء، وقد ألقيت فيه خطابا أنشأه معلم اللغة العربية، وكان كلاما ساذجا مسجوعا. وأذكر أنني ما كدت أصعد على درجة المنصة في الميدان أمام بناية مدرسة الصناعة[2]، والتي أطل من إحدى شرفاتها السيف عبدالله ليتلقى التحية وكلمة الوداع، حتى

(1)- الغريب أن الإمام يحيى كان ينظر إلى الوجيه حسين الحبشي كأجنبي، لأنه من حضرموت. وكانت بريطانيا تحتل جنوب اليمن، ومثله شخص يسمى احمد عجلان من دوعن حضرموت عندما أراد أن يبني بيتا، طلب منه أن يحصل على وثيقة من حكومة عدن بأنها لا تمانع في ذلك، علما بأن الإمام يحيى وولده الإمام احمد كانا متمسكين بالجنوب على أنه جزء من اليمن الطبيعية.

(2)- هذا المبنى أصبح اليوم مدرسة القيادة والأركان.

ارتجفت وشعرت بأن الأرض تهتز من تحتي، لأنني لم يسبق لي أن وقفت متكلمـــا أمام المئات من الناس، وعندما بدأت بالبسملة كان صوتي حادا قويا، ولهذا فقـــد أصبت بما يشبه الاختناق، فخفت صوتي وتضاءل وسالت الدموع، ولم أعد أتبـين كلمات الخطاب إلا بصعوبة، وكان موقفا يدعو إلى الشفقة، ولكنني بعد ذلـــك أصبحت خطيب البعثة. وقد توجهنا إلى القاعة التي وقف فيها الســـيف عبـــدالله للسلام عليه والاستئذان بالسفر، فودعنا بعد أن ألقى علينا النصـــائح المناســـبة، ومن جملتها بأنه لا يجب أن نغير زينا إلا بعد الاستئذان منه. وكانت هناك ســـيارة مكشوفة من السيارات المخصصة لنقل البضائع والحبوب تنتظرنا في الميدان لتقلنا إلى تعز باتجاه ميناء عدن. وقبل أن نركب على تلك الشاحنة قمنا بتوديـــع مـــن حضر إلى الميدان من أهلنا وجيراننا وأصدقائنا. ولا أنسى والدتي وهـــي تقبلـــني ودموعها تسيل على وجهها وتدعو لي بسلامة العودة وتمـــلأ جيـــوبي بـــالكعك والزبيب، كما لا أنسى والدي وقد اصطحب معه علبة فارغة من الصفيح قـــد هيأها لي لكي استعملها عندما نلاقي ساقية للماء أو حوضا، ولأنه كان يعـــرف اهتمامي بالماء. وقبل مغادرتنا لصنعاء، كان قد أقترح السيف عبدالله على رئيســنا محي الدين بضرورة توديع الإمام يحيى والسلام عليه والاستماع لنصائحه. وفعـــلا توجهنا إلى الروضة[1]، وهناك وجدنا الإمام يحيى وهو يواجه المتظلمين والشـــاكين بالعمال حكام النواحي وطلاب المعونة والصدقة. وعندما رآنـــا تـــرك مكـــان المواجهة وكانت تقام خارج قصره ودخل إلى فناء القصر. وقد ثقل عليه ســـفرنا

---

(1)- تسمى روضة احمد نسبة إلى أحد المشائخ الذي التهز في إحدى الفترات فرصة عدم وجود إمـــام أو ملك يصرف الأمور فنصب نفسه أميرا، واتخذ من الروضة مقرا لحكمه، ومن هنالك سميت بروضـــة أحمد، وهي تبعد عن صنعاء مسافة حوالي خمسة كيلو مترات شمالا. وكان أهل صنعاء قـــد اتخذوهـــا متنـــزها لهم، يخرجون إليها في منتصف شهور الصيف، وفيها مزارع العنـــب الروضـــي المشـــهور، ويقضون فيها أكثر من شهرين، دون الانقطاع عن زيارة صنعاء بين الفينة والفينة، لا سيما التجـــار والموظفين. وقد اتصلت صنعاء بها بعد الثورة، كما اتصلت المباني بالمزارع.

وظهر الامتعاض على وجهه المحتقن بالغضب وبدأ يتحدث مع رئيس البعثة الملازم المدفعي محي الدين العنسي[1]. ومما قال له متوعدا في غضب: إنكم ستذهبون إلى بلاد فيها الخمر كالسيول، وفيها أبناء الحرام كالغنم. واسترسل قائلا: والله لو يبلغني عن أحدكم ما يسيء ما معه إلا الموت، وتمتم بكلام كله سخط وغضب. ثم تقدمنا إلى ركبتيه لنقبلهما واحدا بعد الآخر، وما كدنا نغادر مقام ذلك الكاهن اللئيم حتى تنفسنا الصعداء، واسترخت أعصابنا وكانت متوترة توترا شديدا. وركبنا على مركبة لحمل البضائع، وتوجهنا صوب باب اليمن جنوبي صنعاء في طريقنا إلى عدن عبر مدن وقرى أكبرها: ذمار وريم وإب وتعز. وقد خرج عدد كبير من أهل صنعاء لتوديعنا. ولم نحس بما يعتلج في صدور الأهل والأقارب والأصدقاء من مشاعر القلق والخوف علينا، إذ كنا مشغولين بهموم السفر وما بحوزتنا من زاد وما يعطى لمسافر في مثل أعمارنا من أشياء للتسلية، وكلها في صرر وأكياس من القماش. وكان البعض منا يصرخ محتجا على زميل له جلس فوق كيس مملوء بالكعك والمواد المسلية الأخرى خشية أن يفسدها أو يكسرها. واستوينا على ظهر مركبة البضائع التي تتحرك بوقود البنزين والتي تعد من معجزات العصر، إذ لم تعرف اليمن في هذا الوقت غير عدد من العربات تعد على أصابع اليدين أكثرها تابعة للإمام وأولاده، وثلاث أو أربع لبعض المواطنين الكبار. وكانت الجماهير تصاب بلوثة من الدهشة والفرح عندما تسمع حنين سيارة وتتجنبها في ذعر فتلجأ إلى أبواب الدكاكين أو تفسح المجال إلى مسافات بعيدة فرارا من خطرها. ولهذا فقد كان ركوبنا على سيارة نقل أمرا

---

(1)- الأستاذ محي الدين العنسي من أبناء اليمن الذين كانوا يتطلعون إلى علوم العصر والتمرد على الجمود. وقد نال حظا من المعرفة والثقافة، والتحق بالأحرار اليمنيين الذين كانوا يعارضون-= أسلوب الإمام في الحكم، وقد قبض عليه رحمه الله في صنعاء بعد سقوط ثورة 48م وأعدم في نفس العام مع كوكبة من أقرانه.

يدعو إلى الاعتزاز، ودليلا على اهتمام الإمام بنا. وهكذا مضت بنا تلك السيارة نحو المستقبل المجهول، وكانت تواجه في الطريق حفرا عميقة ومرتفعات تعوق سيرها، ولكن السائق كان متمرسا وذا خبرة بطبيعة الطريق، فكان يتجاوز تلك العراقيل على حساب أعصابنا وعظامنا الطرية، فقد كنا نقاسي من مرورها على صخرة أو حفرة إذ كانت تقفز بنا وتطرحنا مما يتسبب في إيذائنا حتى إذا وصلت بنا إلى مدينة صغيرة تسمى معبر. رأى رئيس البعثة أن ننزل من على السيارة كي يستريح الجميع ولتناول طعام الغداء على مائدة عامل[1] معبر، الذي تلقى توجيها من نجل الإمام السيف عبدالله بوجوب استقبال البعثة وتقديم الخدمات الضرورية لها. وبعد الغداء، واصلنا السفر على نفس سيارة النقل حتى وصلنا إلى مدينة ذمار، وهي أكبر من معبر، وكان الوقت عند المساء وهناك استقبلنا العامل وهيأ لنا منزلا للمبيت والطعام. وبتنا تلك الليلة إلى الصباح حيث تناولنا طعام الإفطار. وجاء العامل لتوديعنا والاطمئنان على ما تحتاجه السيارة من بترول وغيره. وتوجهت بنا السيارة نحو يريم وهي مدينة صغيرة، فتغدينا فيها وودعنا السيارة لنركب بدلا عنها الحمير حيث لم تكن الطريق صالحة لمرور السيارات. وبعد تناول الغداء، توجهنا إلى مدينة أصغر من يريم تسمى المخادر، حيث بتنا فيها ليلة واحدة.. وفي الصباح، ركبنا على الحمير متجهين إلى مدينة إب، وهي من مدن اليمن الكبيرة نسبيا، ولم نصل إليها إلا بعد عناء شديد من عوائق الطريق وركوب الحمير الذي كسر أضلاعنا. وفي إب التقينا النائب يحيى بن محمد عباس في ملبسه المهيب وقد كان ذا جاه وصيت- تعين فيما بعد رئيسا للاستئناف وهو منصب لا يبلغه إلا الشخص العالم بالسنة والشريعة- وتناولنا طعام الغداء على مائدة حافلة بأطعمة منوعة تتناسب والمدينة وحاكمها ومن فيها،

(1)- العامل على المدينة هو بمثابة الحاكم الإداري وممثل الإمام، ويكون إلى جانبه الحاكم الشرعي الذي يعينه الإمام في الأمور الشرعية ويسمى الحاكم.

وقضينا فيها يومين حتى جاءت إشارة من تعز بالبرق بأن سيارة من سيارات الحمول ستلاقي البعثة في منطقة تسمى السياني، وتبعد عن إب مسافة عشرة كيلو مترات، إذ لم تكن الطريق ممهدة إليها، كما أنها في واد عميق. وهكذا ركبنا البغال مرة أخرى، واجتزنا تلك العقبة حتى وصلنا إلى الوادي حيث وجدنا سيارة الحمول في انتظارنا، وكان سائقها شخصا لطيفا ذا مظهر أنيق واسمه العسيري. وقد تركنا البغال وتوجهنا إلى السيارة، وامتطينا مكان الحمول ومعنا صرر الثياب وما تحتوي عليه من زاد تزودنا به من بيوتنا، وأهم ما فيها حبة البركة (القحطة) والزعتر والزبيب ومعه الدخش[1] وبعض الكعك الذي تعرض للضغط وتفتت معظمه. واستوينا على ظهر السيارة، وركب رئيس البعثة الأستاذ محي الدين العنسي بجانب السائق. وهكذا تحركت السيارة في الطريق تصعد بنا تارة وتهوي بنا أخرى، إذ كانت الطريق غير مستوية، وكنا نتضاحك، فإذا صعدت السيارة أمام عائق استعذنا بالله من هبوطها. ولم نكن في هذه الحال نتذكر أهلنا وجيراننا ومن تركناهم في صنعاء، إذ كنا في شغل عن ذلك. وكان همنا محصورا في الآتي وما ينتظرنا في تعز وعدن وبغداد من مفاجآت ومفارقات.

الانتظار في تعز لأمر الإمام بالسفر إلى عدن

وصلنا تعز قبل غروب الشمس بدقائق، وكان عامل تعز ومعه بعض موظفي الدولة من بيت شيبان وبيت المجاهد وجنود وضباط، كانوا جميعا في انتظارنا. وبعد أن ترجل رئيسنا محي الدين، من السيارة أشار إلينا بأن ننزل من فوق السيارة فتقافزنا في نشاط واندفاع، إذ كنا قد تعبنا من السفر وما كانت تحدثه السيارة من خلخلة أجسامنا واصطكاك عظامنا. وبعد أن صافح رئيسنا

(1)- الدخش على وزن الدمث حبوب من فصيلة البقليات تنقع في الماء ثم تجفف بواسطة الشمس وتقلى على النار وقد يضاف إليها الملح.

مستقبلينا، تقدمنا لنصافحهم وكانوا يبدون نحونا عطفا وترحيبا، وأدخلونا دار الحكومة وهي بناية ربما كانت من آثار من حكم اليمن من الأتراك. وجلسنا على أرضية القاعة المفروشة بالسجاد والمنسوجات الصوفية المحلية كأي مكان من أماكن بيوت صنعاء المملوكة للموسرين. وكان عامل تعز قد أعد لنا وجبة غداء تحولت بعد ذلك إلى وجبة عشاء. وبعد ساعة من الملاطفة والترحيب والأحاديث التي دارت بين رئيسنا ووجهاء تعز، قمنا لنتعرف على القاعة التي ستأوينا مدة إقامتنا في تعز، ولم تكن بالمكان الوثير ولكنها بالنسبة لنا كانت مناسبة، ولم يكن فيها سرر غير فرش القطن. وبتنا تلك الليلة ولم نستمتع بالنوم كما نعتاد، بل ظللنا نتجاذب أطراف الحديث فيما بيننا، ونتكهن بما سنلاقي في المستقبل. وقد غفونا بضع ساعات، هي أقل من الأربع، وكانت كافية لراحة أجسامنا، واستيقظنا لنؤدي صلاة الصبح ولم ننتظر بعدها طويلا لنتناول طعام الإفطار. فقد أقبل المسئول يحمل الخبز ومعه جفنة الفول بالسمن وإبريق الشاي، وقد أكلنا بشهية ونفس مفتوحة. ولم يكن أمير تعز[1] موجودا بل كان ولده المرحوم عبدالله بن علي الوزير. أما والده فكان يؤدي فريضة الحج. ولقينا من رعايته ولطفه ما أنسانا وحشة فراق الأهل في صنعاء، وكنا ندعى إلى مائدته في قصره المتواضع[2]، وكان كثيرا ما يحاول إدخال السرور إلى نفوسنا، وقضينا ما يقرب من شهر في تعز انتظارا لأوامر الإمام يحيى إلى أمير تعز بتسهيل سفرنا إلى عدن،

---

(1)- هو الأمير علي بن عبدالله الوزير الذي قتل صبرا بسيف الطاغية الإمام احمد حميد الدين بعد سقوط ثورة 48م، والذي كان الأمير احمد أقطاها وسيأتي الحديث عنها.

(2)- كان يرافقنا ضابط برتبة ملازم ويتناول معنا الغداء، على مائدة الأمير عبدالله، وذات يوم كانت قطة تحت المائدة مختبئة، وعندما حاول احدنا إلتقام قطعة لحم مدت القطة يدها في سرعة وخطفت اللحمة وانزعج صاحبنا، وهنا قال الأمير مداعبا: ما جا بالقطة وهي ليست من البعثة، وضحكنا، وظن الضابط المرافق بأنه المعني بالنكتة فتخلف عن مرافقتنا إلى دار الضيافة، وكان هذا الضابط هو من اعتقلني سنة 1948م. في تعز بعد سقوط الثورة.

وقد استبد بنا الضجر والملل من المكث في تعز. وعندما جاء أمر الإمام بالسماح للبعثة بالتوجه إلى عدن في طريقنا إلى العراق شعرنا بفرح غامر بعد الضيق الذي طرأ علينا مدة إقامتنا في تعز. وقد احتفى بنا أمير تعز بالنيابة، وأقام لنا حفل توديع ألقيت فيه الكلمات المعبرة عن مشاعر العطف والمودة. وبعد ذلك ركبنا سيارة النقل التي وصلنا بها إلى عدن عبر مدينة لحج. وكانت الطريق أقل وعورة مما لقينا عند مجيئنا إلى تعز من صنعاء. ووصلنا إلى لحج بعد الظهر ولم نتناول من الطعام إلا الشيء اليسير. وبعد أن صلينا الظهر والعصر جمعا وقصرا، دعينا إلى المقيل في ديوان سلطان لحج فضل بن علي الملقب بالقمندان، ولم نكن في حالة ارتياح عندما توجهنا إلى الديوان لأن الجوع كان يعتصرنا، ومع ذلك فقد أجبرنا على قبول الدعوة. وكنا نتصور السلطان أكثر ابهة من الإمام وافخم مظهرا، ولكننا فوجئنا به شخصا متواضعا يلبس ملابس شعبية تمتاز بأنها ثمينة، فالعمامة حرير مزركشة، والقميص من نوع غالي الثمن، والمئزر (الفوطة) من النوع الفاخر، ولم نكن نظن بأنه هو السلطان حتى صاح فينا المرافق[1] قائلا: هيا سلموا على السلطان، وكان مادا يده للمصافحة وكنا نصافحه بلا تهيب ولا إكبار. وبعد أن جلسنا كل في مكانه، واستوى السلطان في صدر الديوان وبجانبه رئيسنا محي الدين وبجانبه الشخص الذي رافقنا من تعز بأمر من نائب الأمير- وكان شخصا مرحا صاحب نكتة وله ضحكة تدعونا إلى الضحك عندما يقهقه بصورة تدعو إلى العجب والذي فتح الحديث وقطع جو الصمت قائلا: إن السلطان وهو يرحب بالبعثة قد أراد أن يبالغ في تكريمها، ولهذا سيسمعنا قصيدة لعلها من نظمه موقعا على العود لحنا من إنشائه. ولم نكن قد رأينا أي آلة للطرب، وكان العود الذي سيوقع عليه لحن القصيدة مطروحا أمام السلطان مقلوبا، ولم نكن نعلم بأن ذلك العود المقلوب هو آلة الطرب المحرمة في شريعة الإمام الذي كان يأمر

(1)- هو الحاج صالح حراب

بتحطيمها لو وجدت مع أي مواطن، كما يأمر بحبس صاحبها. وهنا أخذ السلطان العود وشرع يشد الأوتار ويوقع عليها بالريشة التي في يده ليجرب تماسكها وانسجامها، وكدنا نصعق من فرط المفاجأة، ولاسيما وصوت الإمام وغضبه لا يزالان يسيطران على قلوبنا وأفكارنا عندما ودعناه وكان يحذرنا وينذرنا لو بلغه عنا ما يسيء أو يشين. وبدأ السلطان يلاعب الأوتار وبدأت قلوبنا تنبض بالخوف والقلق، وصار كل واحد منا ينظر تحت ذقنه لا يكاد ينظر إلى صاحبه خشية أن يظن بأنه يطرب لما يسمع، وخوفا من أن يبلغ الإمام ممن يراسلونه بأننا قد خرجنا عن تعاليم الدين. ومضت ساعة على الموقف كأنها دهر، وتوقف السلطان عن العزف ولم نصفق لأننا لم نعتد ذلك ولا قد سمعنا قبل ذلك. ولكن رئيسنا محي الدين العنسي أظهر إعجابه وأطرى السلطان بكلام جميل. واستمرت الجلسة إلى ما قبل المغرب بنصف ساعة، واستأذن رئيسنا السلطان بالانصراف، وخرجنا من ديوان السلطان ونحن في حالة يرثى لها مما ساورنا من القلق، وقد كنا نظن بأن الإمام يلاحقنا بتهديده الفظ وتحذيره الشديد بأن لا نقع في طريق الفساد. وهكذا توجهنا إلى المأوى الذي اختاره لنا الأستاذ عبد النافع الجندي[1] يرحمه الله لنقضي به ليلتنا. وبعد أن صلينا العشائين قصرا وجمعا بصفتنا مسافرين، مدت المائدة لوجبة العشاء، وكانت تحتوي على أطباق من الأرز باللحم والبهارات الحارقة فأكلنا بشهية بالغة، ثم جئ بالشاهي، كما جئ لنا بآلة الحاكي ولم نكن نعرفه، وركبت عليه اسطوانات الغناء ولم نعد نشعر أو نحفل بتهديدات الإمام، فقد بدأنا نحس بأننا في مكان يجب أن نتفاعل مع مقتضياته.

(1)- معلم استقدم من سوريا ليسهم في تدريس الصف الأول من المرحلة الثانوية مع زملائه اليمنيين الذين عادوا من بغداد وهم: الأستاذ احمد حسن الحورش، والأستاذ محي الدين العنسي، والأستاذ احمد مصلح البراق. وكان عبدالنافع شخصية مؤثرة، وكانت له مكانة في نفوس اليمنيين، كما كان كريما جعل من بيته ناديا للمثقفين، وطلب منه مغادرة صنعاء فوصل إلى لحج وهناك استبقاه السلطان مديرا لمدرسة لحج الإعدادية.

وبتنا ليلتنا أكثر انفتاحا على الحياة الجديدة، وانتصف الليل ولم نشعر بخدر النوم. فتخزين القات في ديوان سلطان لحج، ثم شرب الشاهي بعد وجبة العشاء، وانبهارنا بما نحس ونشاهد ونسمع، كل ذلك صرفنا عن النوم، ولكننا أوينا إلى السُرر المعدة للنوم، والمصنوعة من الحبال المشدودة إلى أخشاب تشكل قوائم السرير وعليها فرش وثيرة، ولم نحتج إلى أغطية لأن الجو حار. وكان البعوض يحوم حول المصابيح بكثرة، وقد تعرضنا للسعه مما آثر في أجسامنا. ومر معظم الليل ونحن في وساوس وأفكار متضاربة، وربما أخذتنا نومة غير عميقة حتى إذا ظهر نور الصباح الباكر استيقظنا ونحن نشعر بشيء من الخمول، ولكننا لم نستسلم له. وهنا بدأنا نسمع وجيف المدافع، ولم نعرف السبب كما لم نهتم، ولكن رئيسنا محي الدين سأل مرافقينا من لحج عن تلك الانفجارات، فكان جوابهم بأن الحرب قائمة بين الإنكليز والطليان، فأظهر محي الدين قلقه لا سيما عندما قال له الأستاذ عبد النافع الجندي أن سفركم متعذر الآن. وهنا كرر محي الدين السؤال بشيء من الجد والاهتمام: هل صحيح بأننا لن نتمكن من مواصلة السفر إلى عدن ثم إلى العراق؟ فجاء الجواب متفائلا: أن الدنيا بخير وأن البعثة ستسافر في أمان.

وصولنا عدن والعودة للانتظار مجددا

لقد كان ما سمعنا من طلقات للمدافع إنما هي من البوارج الحربية التي تصل إلى ميناء عدن فتطلق عدة طلقات في الجو تحية للحاكم والحكومة، ويرد على التحية مدفع منصوب فوق الجبل المطل على الميناء. وهنا استقرت خواطر البعثة، وبدأنا نلملم شتات حاجاتنا استعدادا للتحرك نحو عدن، وودعنا الأستاذ عبدالنافع ومن معه ممن أرسلهم السلطان لوداعنا. وركبنا على سيارة النقل التي جاءت بنا من تعز، ووصلنا عدن بعد ساعتين أو أقل، ودخلت بنا سيارة النقل إلى أحد أحياء عدن، ووقفت بنا أمام مكتب وكيل الإمام يحيى الذي استقبلنا

ودعانا إلى زيارة مكتبه. وشربنا الشاهي حتى أعد لنا المنـــزل الذي سنأوي إليـــه مدة انتظارنا لأمر الإمام بالسفر نحو العراق. وكان المنـــزل يحتوي على ثـــلاث غرف وحمام وساحة صغيرة شمسية أي ليس لها سقف، وكنا نبيت عليها في المسلء طلبا لنسمات الهواء الباردة. وقد دام انتظارنا لأمر الإمام ما يقرب مـــن شـــهر. وقد شعرنا بالملل والضجر ولاسيما والحياة تتكرر كل يوم علـــى نمـــط واحـــد: فالأكل لم يختلف عما كنا نأكله في تعز، والغرف فراشها من الصـــوف الأســـود والخشن. وقد كان التجار الذين يأتون من صنعاء إلى عدن للتجـــارة ويقيمـــون الأسابيع وأحيانا الأشهر، كانوا يزورونا ويدعوننا لزيارة بعض الأمـــاكن ذات الشهرة في عدن مثل الصهاريج التي بنيت أيام بني الصليحـــي[1] لخجـــز ميـــاه الأمطار التي تنـــزل من الجبال المحيطة بعدن وينتفع بها الأهالي للشرب ولـــتزويد المساجد ببعض تلك المياه من أجل وضوء المصلين. كما اقترحوا على رئيسنا محـــي الدين بأن يحجز لنا كراسي في إحدى دور السينما. وقد تردد محي الدين أمام هذا الاقتراح، ولكنه وافق في الأخير إذ نصحه بعض الأصدقاء بضرورة تعرفنا علـــى هذا المرفق العصري لكي لا نصل إلى بغداد ونفاجأ به فنصاب بدهشة وانبهار قـــد يلفت نظر العراقيين إلى ذلك. وهكذا حدد لنا موعد في إحدى الليالي لدخـــول سينما يملكها أحد الهنود، وفي إحدى صالات هذه السينما كان هنالك مكتـــب خصص لأعضاء النادي العدني، الذي كان يرأسه المحامي علي محمد لقمان ومعـــه الأستاذ احمد الأصنج والأستاذ احمد محيرز وآخرون من أعضاء النادي. وكـــان في المكتب راديو كبير الحجم، وكان رئيس النادي يشغله ويفتش عن موجة ليتـــابع منها الأخبار، وكان صوت الراديو والمؤثرات الجوية تحدث خشخشة غير مريحـــة لأننا لم نكن قد سمعنا شيئا عن الراديو، ولم نكن قد عرفناه. وظننـــا بأننـــا أمـــام السينما التي جئنا لنعيش معها بعض الوقت. ولم يمتد بنا الوقت لنعرف شيئا عـــن

(1)- كان أول رؤساء هذه الدولة ومؤسسها علي بن محمد الصليحي عام 439 هجرية

الراديو فقد دعينا لدخول صالة العرض الكبيرة والتي تتسع لعدة مئات من المتفرجين. ولم تكن في الصالة كراسي للأفراد، ولكن كانت هنالك مصاطب تتسع الواحدة منها لعشرة أشخاص حجزت لنا واحدة منها. ولم تكن لدينا أي فكرة عن السينما ولا أي تصور، ولهذا فقد اتجه كل واحد منا إلى جهة من الصالة، وركزنا أنظارنا على الملصقات الدعائية وفيها صور ممثلين. وكنا نظن بأنها هي السينما التي سنشاهدها. وما هي إلا دقائق معدودة بعد جلوسنا على المصطبة حتى دق جرس متواصل، وبدأت بعض الأنوار تنطفئ، وبدأ الحضور بالتصفيق والصفير. ولم نكن ندري بأن هذه الضجة إيذانا ببدء عرض فيلم السهرة. بل اعتقدنا بأن هنالك أشرارا قد عرفوا بوجودنا ويريدون أن يستغلوا الظلام ليلقوا علينا بأشياء قد تؤذينا كما كنا نعتاد ذلك في حمامات صنعاء في ليالي الأعياد، حيث يقوم بعض الأشخاص الأشرار فيطفئون مصباح الزيت في وسط الحمام ثم يبدأون في رمي الحجارة[1] على من في الحمام، وقد يحدثون في أجسام المتحممين جراحات مؤلمة. وهكذا فكرنا بتلقائية عجيبة فنزلنا إلى تحت المصاطب اتقاء لما قد يحدث، ولكننا فوجئنا بالسكون والهدوء من قبل الحاضرين. وسكتت الضجة، وبدأنا نخرج من تحت المصاطب لنرى شعاعا أزرق يتجه نحو الشاشة التي لم ننتبه لها عند دخولنا الصالة ولم يرشدنا أحد إليها. وهنا استقرت نفوسنا بعد قلق وخشية، وبدأت صور أبطال الفيلم الهندي تعرض، ثم استمر العرض الذي حبس أنفاسنا من فرط الدهشة والانبهار. وقد أثرنا ضحك الذين شاهدونا ننزل إلى تحت المصطبة ثم نخرج منها رويدا رويدا لأنهم لم يعرفوا سبب تصرفنا هذا، وشعرنا بعد العرض الذي أذهلنا وأمتعنا براحة وسرور، وقمنا نقلد حركات وأصوات الممثلين وبتنا ليلة هانئة.

---

(1)- الحجارة في الحمامات يجلبها الناس من النوع الخشن ليدلكوا بها أجسامهم وتسمى (المدلكة) على وزن المملكة.

وفي يوم آخر جاءنا بعض أهل صنعاء ودعونا للخروج من المنـــزل لرؤيـــة أسواق عدن، ولشراء بعض ما نحتاج إليه من أداة وملابس وشنط تليـــق ببعثـــة ستتوجه إلى العراق الذي قد شاهد بعض مظاهر الحياة الغربية. إذ لم نكن نملـــك غير ملابس فصلت وخاطها يمنيون في قصر غمدان بدون قياس مما جعلنا مجلبـــة للتندر والسخرية. واستجاب رئيسنا للفكرة، وغادرنا المنـــزل وبدأنا بـــالتجوال في تلك الأسواق المنسقة والمملوءة دكاكينها بأجمل الملابس وأثمن المعروضات مـــن عطورات وأدوات تجميل ومكتبات فيها العديد من الكتـــب المطبوعـــة. وبعـــد ساعات تعبنا خلالها من المشي، دعينا لنستريح في قهوة الميدان، وكانت تســـمى (مقهى زكو) ويقدم فيها الشاهي والقهوة والمشروبات الغازية. وكان معنا عـــدد من تجار صنعاء منهم الحاج علي الوتاري، والحاج محمد عبدالله الحنبصي، وفـــلان الجنداري، وفلان السنيدار. وقد طلبوا لنا شرابا باردا لنطفئ حرارة الجو والمشـــي وجاء الطلب كؤوسا كبيرة ذات ألوان فيها الأحمر والأخضر والأصفر، ويتصاعد إلى سطوحها حبب الغازات. ولما دعينا ليأخذ كل منا كأســـه تحفظنـــا، وقلنـــا للمضيفين: أننا لا نشرب إلا الشاهي وقهوة القشر، ولم نعتد شرب غيرهما وذلك لأننا توهمنا بأن هذا الشراب قد يكون مما حذرنا منه الإمام. وبالرغم من إلحـــاح أهل صنعاء وتأكيدهم بأن ما يقدم لنا إنما هو شراب لذيذ وحلال وليس فيـــه أي شبهة، وبالرغم من أن رئيسنا محي الدين قد أقنعنا وأفتانا بأنه حلال زلال ورأينـــاه يشرب منه، بالرغم من كل ذلك فقد أصررنا على الامتناع وطلبنا قهوة وشاهي، وظننا بأن محي الدين عندما شربه كأنه يستدرجنا أو يختبر التزامنا بعدم الوقوع في المحظور. وهكذا عدنا إلى المنـــزل ونحن نتهامس حول ما رأيناه علما بأن واحـــدا منا، وكان اجرأنا وأكثرنا اعتدادا بنفسه، قد رشف رشفة من أحد الكؤوس تقزز بعدها، وقال إنه شعر بلذعة في لسانه مما يدل على أنه شراب غير عادي. وبقيـــت صور السينما محفورة في أذهاننا ولم نكف عن الحديث حـــول هـــذا الاختـــراع

المدهش. وهكذا أنهينا زيارة الأسواق والمعارض. وكانت سيارة النقل معنا طيلة بقائنا في عدن، وكنا عندما نمر ببعض الشوارع ويشاهدنا الأطفال والشبان يصيحون وهم يشيرون إلينا قائلين: عسكر الإمام يحيى، ظنا منهم بأن الإمام أرسلنا لنحارب مع الحبشة ضد الطليان.

على ظهر الباخرة بهويات من الإدارة البريطانية

طال انتظارنا في عدن، واشتد سأمنا وضجرنا وضقنا من الحياة الرتيبة في الأكل الذي لم يتغير، والحركة المحدودة التي صارت بلا معنى. حتى جاء الفرج. فقد أنبأنا رئيسنا محي الدين بأن الإمام يحيى قد وافق على سفرنا، وأصدر أمره إلى وكيله بعدن أن يقوم بإجراءات سفرنا. ويومها أرسلونا إلى أحد المصورين ليلتقط لكل واحد منا صورة لوضعها على أوراق المرور التي تثبت هويتنا عندما نركب على الباخرة التي ستقلنا إلى العراق. وقد تولت إصدار تلك الأوراق الإدارة البريطانية الحاكمة لعدن، لأن المملكة المتوكلية لم يكن فيها وزارة للخارجية ولا تعرف ما هي الجوازات. وذهبنا إلى أستوديو التصوير، واستقبلنا المصور بحفاوة بالغة بعد أن انتشر خبر البعثة التي ستتوجه إلى العراق. وجلسنا على كراسي الانتظار حتى دعا الأول منا وأجلسه على الكرسي المخصص لمن سيلتقط له صورة، ونبهه بأن يركز نظره على عدسة آلة التصوير، وكانت مرتكزة على ثلاث قوائم وعلى الكاميرا غطاء من قماش أسود. وبعد أن ركب المصور الفيلم، وقبل أن يرفع غطاء العدسة، كان قد أدخل رأسه في الكيس الأسود وصار يقترب بالآلة من الشخص ثم يبتعد قليلا، ويحرك عجلة العدسة، وكأنه يثبت الصورة قبل أن تطبع على الفيلم. وكنا نتضاحك في هدوء لحركة المصور، إذ كان قصيرا وسريع الحركة، وكان يرجو الواحد منا أن لا يحدث حركة قد تسبب اهتزازا للصورة فتصبح غير لائقة. وأكملنا مهمة التصوير

وعدنا إلى المقر لننتظر موعد قيام الباخرة التي ستقلنا إلى موانئ العراق. هذا وقد أفادنا المقام الممل بعدن طيلة الأيام التي قضيناها في انتظار الأذن بالسفر فعرفنا السينما، ورأينا الأسواق ومعارضها الجميلة، ومشينا على الطرق المبلطة، واطلعنا على أشياء لم تكن توجد في صنعاء. وقد فاتنا أن نعرف آداب الأكل على المائدة، واستعمال أدوات الأكل كالسكين والشوكة، وإجادة المضغ. كما لم تتيسر لنا معرفة الحمامات الإفرنجية وكيف نستخدم الماء بعد قضاء الحاجة، وهذا ما واجهناه في فندق البصرة عندما وصلنا إليها. وسيأتي الحديث عما لقيناه من حرج أثناء التعامل مع الأكل على المائدة ودخول الحمام الإفرنجي.

وعندما دقت ساعة الرحيل أخيرا، وحانت لحظة فراق عدن وأهل صنعاء، توجهنا نحو ميناء التواهي حيث كانت هناك أعداد كثيرة من بواخر نقل الركاب والبضائع مع وجود البوارج الحربية بعيدة عن الميناء بمسافة محدودة. وكان سلم الباخرة طبرستان التي ستقلنا إلى شواطئ العراق مهيأ لصعود المسافرين، وكان مرافقنا صالح حراب وصاحب الضحكة التي تثير الضحك قد سبقنا إلى سطح الباخرة ليشرف على طرح ما سنحتاجه من مواد الأكل وأدوات الطبخ. وعندما صعدنا إلى ظهر الباخرة وكمل عددنا، أطللنا على الميناء لنودع أهل صنعاء الطيبين الذين حضروا لتوديعنا، ورفعنا أيدينا إلى فوق رؤوسنا محيين أولئك الذين واسونا وأشفقوا علينا وسلونا، وكانوا يردون على تحياتنا بالإشارات وتتحرك شفاههم بالدعوات. وكانت محركات الباخرة تهدر فيطغى هديرها على أصواتنا. وبدأت صفارات الباخرة تزأر معلنة تحركها، وهنا اهتاجت عواطفنا، وتنبهت مشاعرنا وإحساسنا بالفراق، لا سيما ونحن نسافر بعيدا عن صنعاء لأول مرة. ولم يكن معنا من الركاب غير عدد يسير من الهنود، وبعض العرب من البحرين، وكانوا معنا على السطح. وقد فرش لنا بالبطانيات محلات الجلوس والنوم، ولم يكن هناك غطاء يمنع عنا حرارة الشمس. وكانت مؤن المعيشة تشاركنا المكان، فصفيحة السمن، وكيس الرز، وكيس السكر، وعلبة الشاهي، وطناجر الطبخ

مختلفة الأحجام، وأدوات الشاهي، وموقد النحاس الذي يعمل بالغاز، وملاعق الأكل والسكاكين، وشوال مملوء بالخبز المقدد وعلب السردين. وكان رئيسنا الأستاذ محي الدين قد التقى بطباخ الباخرة واتفق معه على أن يزودنا بالخبز الطازج في وجبة الغداء والفطور. وكانت الباخرة كلما ابتعدت عن الميناء ازدادت أشجاننا وازداد شعورنا بألم الفراق، وقد بكى أكثرنا شجنا وحزنا. وبدأنا نحس بوحشة الاغتراب واشتد كربنا، لأننا لم نجد على سطح الباخرة من نستأنس به. وعندما اشتدت حرارة الجو توجهنا إلى غرفة قبطان الباخرة وطلبنا منه أن يدبر لنا سقفا من الطربال ليقينا حرارة الشمس. وقد فهم منا بصعوبة، لأننا لم نكن قد أكملنا الدروس الأولى في اللغة الفرنسية[1] واللغة الإنجليزية وأمر عمال الباخرة بوضع طربال على أعمدة الرافعات حيث أدنوها بحيث أصبحت سقفا قام بالمقصود.. وبدأ رئيسنا يوزع العمل: فالبعض يطبخ الأرز ويحضر مواد الطعام، والبعض الآخر يتولى غسل الملابس وهذا مما زاد في اكتئابنا. وقد صبرنا وتكيفنا مع الوضع الجديد، وبدأنا نألف حياة الباخرة والتي كانت تحمل بضائع وسيارات وأكياسا من الحنطة. ولن ننسى ما تحمل رئيسنا محي الدين من هموم ، فقد كان الأب والصديق والأخ، وكان عطوفا يتمتع بأريحية وذكاء واستعداد لمواجهة مثل هذه الظروف، وهو ما خفف عنا ما كنا نشعر به من ألم الفراق، وثقل السفر، وعناء ومشقة حياة الباخرة. وهكذا كانت بداية الرحلة المضنية نحو العراق وطلب العلم.

---

(1)- كان وزير المعارف سيف الإسلام عبدالله يحاول أن يقنع والده الإمام يحيى بإدخال المناهج التعليمية العصرية فاستقدم أستاذا من الأردن ليدرس اللغة الفرنسية للصف السابع. وعندما استقال الأستاذ الأردني جيء بالأستاذ عبد النافع الجندي الحمصي محله، ولكننا اخترنا للعراق قبل أن نلم بهذه اللغة بصورة تمكننا من التفاهم بها.

دخول مضيق هرمز وبداية المتاعب

مر اليوم الأول والباخرة تشق البحر، وقد رأينا البحر في الليل كأنه صورة من السماء، وكانت السماء صافية، والنجوم تسايرنا كأنها عيون حانية تؤانسنا، ولأول مرة ننام في مكان بدون سقف وهدير المحركات لا يهدأ، وأصوات الأمواج تختلط بهدير المحركات. ومع ذلك بدأنا نشعر بالاستقرار، ولم يسعفنا النوم إلا في الهزيع الأخير من الليل، ولأول مرة نلقى حرجا في حمامات الباخرة، إذ كنا نعتلي محل قضاء الحاجة بأحذيتنا ولا يستطيع الواحد منا أن يستقر إلا بصعوبة. وكنا نصلي الفروض الخمسة ونحن على البحر، كما كنا نتدارس ما نحفظ من القرآن، ونتبادل النوادر والنكات. وكدنا نألف وضعنا فوق الباخرة حتى جاء يوم عندما دخلت الباخرة مضيق هرمز. وكان البحر هائجا ومضطرب الأمواج، وهنا اختل توازننا ونحن نتحرك للعمل وإحضار الطعام، وبدأ أكثرنا يشعر بالدوار، وعمد إلى النوم والاسترخاء، وكان منا من لم يتأثر كثيرا بهذا الاضطراب المفاجئ فكان يقوم بخدمة إخوانه المتعبين. واستمرت الحالة نصف يوم تقريبا حتى عبرنا المضيق وهدأت الأمواج المضطربة. وتمكن رئيسنا محي الدين من النزول من الباخرة إلى أحد الشواطئ في عمان، حيث وقفت الباخرة لتفرغ بعض ما تحمله من بضاعة. وقد تجول في سوق الميناء، واشترى لنا بعض الفواكه التي حرمنا منها طيلة الرحلة، وأحسن ما تمكن من شرائه هو خبز التنور وعدد من حبات الليمون الذي صنعنا منه عصيرا للمتعبين من الزملاء. وقد كان هذا

العصير كالترياق. فقد انتعش المرهقون والمتعبون، ولم يبق طريح الفـــراش غـــير زميل واحد هو العقيد احمد محمد طاهر رحمه الله، وقد لازمه المرض حتى أدخـــل مستشفى البصرة، وبقي فيه طيلة خمسة عشر يوما قبل أن يلحق بنا بعد ذلـك إلى بغداد. وكان يثير إشفاقنا عليه فيبكينا أحيانا عندما يقول: أنني أخشى أن أمـــوت ويلقى بجثماني إلى البحر، حيث كان يقال بأن كل من يموت على ظهر البـــاخرة مصيره إلى بطون الحيتان. ولكننا كنا نهدئ من روعه ونسليه قائلين: إنك ستعيش وستتعافى وتعود إليك صحتك بصورة أحسن وأقوى، وفي أعماقنا بكـــاء عليـــه، فقد صار جسمه نحيلا مع أنه كان قوي البنية، وكان رئيسنا محي الدين أكثرنـــا تماسكا وأقدرنا على مواساة من يتعرض لمرض واكتئاب، ومن حسن حظنا أنـــه لم يصب بأي أثر يقلل من نشاطه ورعايته لنا مما جعله يواســـي ويـــهدئ ويرشـــد ويطمئن. وكان كما أشرت سابقا آية في اللطف وكرم الطبع، لم نره يغضـــب أو يكتئب، بل لم تفارق وجهه البشاشة والابتسام. وقد خطر ببالي فكـــرة القيـــام بإعداد طبخة لذيذة كنت قد ذقتها مرارا في بيت المصلح الكبير الوجيه حسين بن صالح الحبشي رحمه الله، وتتكون من الأرز والسكر والزبدة أو السمن، وأقدمـــها لزميلنا المريض، ولم أكن قد عرفت كيفية إعدادها، وظننت بأنها تقوم على الـــرز والسكر والسمن. وهكذا وضعت الطنجرة على موقد الغاز ووضعت فيها كميـــة من الرز بعد أن سكبت أكثر من ملعقة سمن حيث ذاب ثم قـــدرت كميـــة مـــن السكر، وغطيت القدر (الطنجرة) وبقيت أتلهى بالنظر إلى البحر، وبـــين لحظـــة وأخرى أرفع غطاء القدر لأرى أين وصلت الطبخة ولم أر شيئا قد تغير في حالـــة الرز والسكر، بل كان السمن يشتد احتراقا وأقلبه بالملعقة فيتطاير إلى وجـــهي. ولم أدرك الخطأ الذي وقعت فيه إذ أهملت مادة الماء الذي يجعل الرز لينا، وبـــدأ السكر يحترق ويسود، وكذلك الرز. ويمضي الوقت وأنا أشاهد فشل المحاولة، ولم يخطر ببالي بأن أسكب قدرا من الماء على التجربة، وهنا أطفـــأت موقـــد الغـــاز وأعلنت فشل المحاولة، وبقيت عرضة للتندر والضحك، وتحملت السخرية مـــن الزملاء الذين كانوا ينتظرون التجربة اللذيذة واعترفت بفشلي الذريع.

من دبي إلى ميناء السيبة العراقي

في اليوم العاشر من زمن الرحلة، وقفت الباخرة أمام ميناء دبي وكانت إمارة من الإمارات التي اتحدت فيما بعد وشكلت دولة الإمارات العربية المتحدة. واستأذن رئيسنا محي الدين من القبطان فنزل إلى الميناء ليشتري لنا بعض الخضروات والبقول والخبز الطري كما فعل في مسقط، فاتحفنا بأشياء كنا في أشد الحاجة إليها، وأعطى المريض شيئا من الفاكهة مما أنعشه قليلا. وبعد يومين، تحركت الباخرة متجهة نحو ميناء بندر شاهبور على الشواطئ الإيرانية وهناك رست. وقبل أن تفرغ البضائع المخصصة لبندر شاهبور صعدت قوات من الشرطة ومعها طبيب وضابط، وقبل صعودهم إلى سطح الباخرة كنا قد هيأنا مريضنا حيث لبس قميصا نظيفا وجاكته وظهر بمظهر الأصحاء وكنا قد قمنا بذلك بعد أن سمعنا بأن إدارة الميناء من حقها حجز أي مريض في الحجر الصحي وإجراء الفحوصات الطبية عليه. ولقد خاب ظننا فلم يعترض أحد ممن صعدوا إلى ظهر الباخرة من الإيرانيين على وجودنا وخاصة المريض، وأنه ليس من حقهم الحجر على أحد ما دام لن يدخل إلى الأراضي الإيرانية. وهكذا تنفسنا الصعداء، وهدأ المريض بعد أن أصابه القلق كما أصابنا. وبعد يومين من رسو الباخرة وتفريغها للبضائع، تحركت متجهة نحو ميناء بندر عباس وهو أكبر من ميناء بندر

شاهبور، وقد صعد إلى ظهر الباخرة عدد من ضباط الشرطة وبعض مندوبي الصحة، وقاموا بتفتيش غرف الباخرة ومخازن البضاعة، وأنهوا مهمتهم ولم يتعرضوا لنا بأي شيء. وبعد مرور يوم وليلة كنا نأمل أن نصل إلى ميناء البصرة، جاءنا شخص من قبل القبطان وأشار بأن الباخرة لن تدخل ميناء البصرة، وأن علينا النزول في أول ميناء عراقي وكان ميناء السيبة. وقد ركبنا زورقا كبيرا ومعنا أمتعتنا حتى إذا اقترب من الميناء لم يتمكن من الوصول إليه لضحالة الماء فاضطررنا إلى خلع أحذيتنا وشمرنا ملابسنا وخضنا الماء حتى وصلنا إلى البر. وهنالك بعض أفراد الشرطة العراقيين يغسلون ملابسهم. ولما رأونا نقترب منهم سألونا من نحن وأين وجهتنا، فتقدم إليهم رئيسنا محي الدين وأفهمهم بأننا بعثة من اليمن ووجهتنا بغداد للدراسة.

وعندما سمع أفراد الشرطة بأننا بعثة من اليمن رحبوا بنا ترحيبا حارا وأوعزوا إلى واحد منهم بأن يذهب إلى مقر (المعاون) وهو حاكم الميناء العسكري ليخبره بوصولنا. وقد عاد ليكرر الترحيب بنا ومعه سيارة كبيرة حملتنا مع أمتعتنا، ولم تنقطع عبارات الترحيب بنا. وقد شعرنا براحة غامرة عندما وجدنا أنفسنا بين أخوة لنا أسمعونا عبارات الترحيب المعبرة عن مشاعر الإخاء العربي الحميمة. ووصلنا إلى مقر حاكم المنطقة ويسمى المعاون، والمنطقة مديرية ملحقة بمدينة البصرة والذي يديرها (المتصرف) وهو المحافظ، وكان المعاون الذي أشرت إليه جالسا في مكتبه. فلما دخلنا عليه قام مرحبا بنا، وقد عانق الأستاذ محي الدين وصافحنا واحدا واحدا وهو يكرر عبارات الترحيب مثل يا هلا ومرحبا، أهلا وسهلا بأبناء اليمن منبع العروبة وأصولنا. وبعد أن جلسنا على الكراسي، وجه السؤال لرئيسنا محي الدين العنسي قائلا: لماذا جئتم عشرة فقط كنا ننتظر مجيئكم بالمئات؟ ولكن ما يخالف، أي لا بأس، فقد قيل: وأول الغيث

قطر ثم ينهمر، وكأنه كان يستشرف المستقبل، فقد رحب العراق بالمئات من طلاب العلم وتخرج من معاهده وجامعاته العدد الكبير ممن شكلوا الكوادر الإدارية والفنية في حكومة الثورة، وكان منهم الطبيب والمهندس والصيدلي والأستاذ والضابط. ولكم تمنيت لو لقيت ذلك الرجل النبيل الذي رحب بنا بأجمل عبارات الترحيب، وتمنى باسم العراق حكومة وشعبا لو كنا بالمئات، أي شهامة هذه التي لاقانا بها ذلك الرجل العظيم، أقول لقد تمنيت لو لقيته وأنا سفير لبلادي في بغداد من سنة 1969 إلى 1974 ، إذا لقبلت جبينه وأمطرته بكل عبارات العرفان بالجميل. ولكن ويا للأسف كان قد فات وقت طويل على لقائنا به، ولقد تحدثت وسأظل أتحدث بكل مشاعر الوفاء عن العراق وشعب العراق الذي أنجب مثل هذا العربي الغيور.

التوجه إلى البصرة

مكثنا يومين في ميناء السيبة في ضيافة المعاون الشهم الذي أكرمنا وبالغ في إكرامنا، وقد أغدق علينا من كرم الضيافة ما أنسانا وعثاء السفر وما عانينا من حرمان. وعندما تلقى أمرا من متصرف البصرة بسرعة سفرنا لئلا نتأخر عن اللحاق بالمدارس في بغداد، جاءنا ليودعنا بكل مشاعر الود والإخاء وقال في نبرة حزينة: كنت أتمنى لو بقيتم معنا مدة أطول. فرد عليه رئيسنا محي الدين شاكرا لطفه ونبله، وقال له: إننا لن ننسى ما لقيناه من كرم الضيافة وحسن الاستقبال. وودعناه بكل ما في نفوسنا من عرفان وامتنان، وركبنا على السيارات الجميلة وتوجهنا نحو البصرة حيث وصلناها وقت الظهر، وقد قرر المتصرف نزولنا في فندق البصرة، حيث انبهرنا بفخامة المبنى وجمال الأثاث، وعندما تخطينا عتبة الفندق كنا قد رأينا ماأدهشنا فأحواض الزهور منتشرة بترتيب لطيف حول الفندق، وموقف السيارات، وفي فناء الفندق أدهشنا. السجاد الثمين الممدود،

والكراسي الأنيقة ومعها الطربيزات اللماعة وعليها منافض السجائر المطروحة بأحكام ونظام. وكدنا نخلع أحذيتنا لئلا نتسبب في توسيخ السجاد الثمين، ولكن وجدنا الرئيس محي الدين يتقدمنا باتزان وثبات، وهو يتحدث مع أحد العاملين في الفندق الذي حمل مفاتيح الغرف المخصصة لنا وكانت في الدور الأول، وصعدنا السلم ذا الدرجات المعدودة وكلها مفروشة بالفراش الوثير، وكنا نظن بأن الفندق منزل المتصرف (محافظ البصرة)، ولهذا كنا نلتزم الهدوء وتجنب رفع الأصوات، فحديثنا مخافته وهمس. وكنا حيثما التفتنا وجدنا صورا معلقة بترتيب على الحيطان، والصور بعضها مرسومة باليد وبألوان مختلفة فهي إما زهور تطل على نهر، أو بيوت من الطراز القديم تطل على شوارع شعبية. وقد شد انتباهنا كثرة الغرف المقامة بنسق واحد وعلى الأبواب أرقام بالترتيب، حتى إذا جاوزنا أربع غرف وقف الندل (خادم الفندق) أمام غرفة ووضع مفتاحها في محله واداره وفتح الباب، وقال هذه غرفة الرئيس محي الدين وكانت واسعة وأنيقة ذات سرير عريض، وتوجهنا إلى الغرفة التالية ففتحها وقال هذه لثلاثة منكم، وعليكم اختيار من يسكنها، ثم فتح الثانية والثالثة وكانت الواحدة منها مخصصة لثلاثة منا.

وهكذا كنت أنا والأخ عبدالله السلال والأخ محمد الريدي رحمهما الله في غرفة، وكنا في تفاهم وانسجام. وكان الأخوة احمد محمد طاهر ومحمد صالح العلفي ومحمد محمد عامر في غرفة. وبقي الأخوة محمد عبدالخالق حجر، واحمد علي الأنسي، واحمد بن علي إسحاق، وحسن حسين العمري في غرفة. وكانت الأسرة في غاية النظافة والترتيب، وكنا في حيرة من أمرنا إذ لم نكن نعرف بأن تلك الغرف مخصصة للنوم، وأن هنالك (البهو) وفيه الكراسي والطاولات لمن يريد أن يستريح عليها. وكان مما آثار إعجابنا وضع الأسرة وتركيبها، إذ ما

كدنا نستوي عليها حتى شعرنا بأننا فوق مراجيح فهي تهتز لأقل حركة، ولم نـدر بأن الفرش موضوعة على نوابض (زنبرك). وقد صار كل منا يحرك رجليه وهـو جالس على السرير فيشعر براحة وتسلية، وحان وقت الغداء، وفرشت المـائدة وطرحت الأطعمة عليها وكانت متنوعة ولم يكن لنا عهد بها، فهناك طبق يسـمى (الشيخ محشي)، وطبق آخر (بيض الغنم)، وطبق يسمى (كفتـه)، وطبـق فيـه (تكه). واحترنا كيف نتناول تلك الأطباق؟ وبماذا نبدأ؟ وكان رئيسـنا ذواقـا وذكيا، فقد أخذ الفوطة ونشرها على حجره، ثم أخذ الشوكة وصار يلتقط بها ما يروق له ويطرحه على طبقه. وصرنا نقلد حركته ونعمل كما يعمل، وقد تعشرنـا إلى حد ما ولكننا أكلنا وشبعنا. ولما انتهينا من الغداء. جئ بأطباق الفاكهة، وهي ما كنا نتناوله في صنعاء قبل الأكل أي نصف الصبح، ومع ذلك تناولنا ما قـدم لنـا. وجاءت بعدها الحلوى وأخذنا منها نصيبنا. وهكذا بدأنا نحس بأننا أمام عـادات وتقاليد يجب أن نتكيف معها، وأننا كنا معزولين عن العالم في بلد يحكمه إنسـان يعيش في عهود ما قبل التاريخ. وقضينا يومين بالبصرة وفي اليوم الثـالث تهيأنـا للتوجه إلى بغداد.

قرار الإمام ونجله الذي سبقنا إلى بغداد

ودعنا البصرة وودعنا المتصرف (المحافظ)، وكان الوقت بعـد الغـروب. وركبنا القطار السريع الذي يصل بين بغداد والبصرة وخصصوا لنا غرفـة ذات مقاعد خشبية، وليس فيها أماكن للنوم. ولهذا أمضينا ما يقرب من عشر سـاعات ساهرين نردد بعض الأناشيد المدرسية والدينية التي ينشدها الناس في المناسـبات والأهازيج القبلية وتسمى (الزوامل)، وروينا النكات والنوادر. وتمكنا من مقاومة النوم، ولم نستطع مشاهدة الأراضي والمدن التي كان يمر القطار بمحاذاتها وذلـك لأن الظلام حجب عنا ذلك. وقد شعرنا بأن المخاوف والمحاذير التي كانت تسيطر

على مشاعرنا قد بدأت تتلاشى، وأحسسنا بأننا صرنا في أرض ليس فيها شبح الإمام الرهيب، وقد كان الركاب في غرف القطار يسمعون أهازيجنا وأناشيدنا حتى إذا وقف القطار في محطة بغداد وسمح لنا بمغادرة القطار وكان الوقت بعد الفجر، وعندما صرنا إلى رصيف المحطة، وبدأ الركاب يغادرون أماكنهم رأينا بعضهم يتأملون فينا وهم يبتسمون. فقد كانوا يسمعوننا ونحن نردد الأناشيد ونضحك عاليا عندما نسمع نكتة أو نادرة وعرفوا بأننا من اليمن. وكان في استقبالنا ثلاثة من الضباط الذين انتدبتهم الكلية الحربية التي سنأوي إليها بادئ الأمر. وبعد أن رحبوا بنا وتعرفوا علينا بواسطة الأستاذ محي الدين، أبلغونا بأن علينا أن نركب السيارات المخصصة لنقلنا من محطة بغداد إلى الكلية الحربية، وقد توزعنا كل ثلاثة منا في سيارة ومعنا ضابط مرافق، وكان رئيسنا وثلاثة من البعثة على السيارة التي كانت تسبقنا، ودار حوار بيننا وبين الضابط المرافق كما دار بين الآخرين وبين المرافقين لهم، وكان الحوار حول السفر وما لاقينا أثناءه من المتاعب. وكان الضابط المرافق يقطع كلامنا بعبارات الترحيب، ولم يصعب علينا التفاهم مع مستقبلينا ولا سيما وأننا كنا نلتزم بالعبارات الفصيحة[1]. وهكذا وصلنا إلى الكلية الحربية وكانت تبعد عن بغداد المدينة ببضعة كيلو مترات، ولم نشاهد في الكلية ما يشد انتباهنا، غير النظام والترتيب ونظافة الغرف وتجهيزاتها. وقد دعينا إلى تناول وجبة الفطور إذ كان الوقت صباحا، وكانت قد أفردت لنا مائدة على عددنا، وكانت الأطباق موضوعة ومعها السكاكين والشوك. وقد فوجئنا بأن الوجبة كانت مكونة من (المكرونة)، ويقال لها (معكرونة) باللهجة العراقية، ولم يسبق أن تناولناها لا في عدن ولا في البصرة. أما في صنعاء فلم يكن

---

(1)- كان رئيسنا محي الدين قد اقترح علينا ونحن على ظهر الباخرة من عدن إلى ميناء السيبة بأن نحاول أن لا نتحدث إلا باللغة العربية الفصحى بقدر ما نستطيع حتى لا يصعب على إخواننا العراقيين التفاهم معنا، وقد نجحنا إلى حد ما.

لها وجود. وقد ساعدنا أحد الجنود الذين كانوا يؤدون الخدمة في المطبخ، فغرف لكل واحد منا ملء طبقه. وكان طلاب الكلية معنا في المطعم، ولكنهم بعيدون عنا بحيث لم نستطع مشاهدتهم وهم يتناولون تلك الأكلة المعقدة بحيث نستطيع أن نقلدهم، كما لم يوجد بيننا أحد من المرافقين لنتأمل كيف يأكلون هذه الوجبة الغريبة، حتى رئيسنا محي الدين اختار في تناولها فلم تكن تمسك بالملعقة ولا بالشوكة ولا بالسكين،ولا بالملعقة والشوكة معا، لأن خيوطها تنزلق عندما يحاول الشخص تناولها بالملعقة أو بالشوكة، واقتصرنا على أكل الخبز مع الشلي. والذي لفت أنظارنا هو انتظام طلبة الكلية وصمتهم. إذ لم نسمع منهم أية ضحكة أو كلام بصوت عال، غير أصوات الملاعق والشوك وهي تصطدم بالصحون (المواعين) [1] أثناء الأكل. وكان هناك ضابط الخفر برتبة ملازم أول يراقب الطلبة جيئة وذهابا، حتى إذا أدرك بأنهم قد أنهوا أكلهم صاح بصوت صارم: (اثبت). فيقف الجميع في لحظة وكأنهم شخص واحد. ولم نسمع اية نبرة أو كلمة أو صوت. ثم أوعز إليهم الضابط بعد أن استداروا نحو باب الخروج بقوله: (عادة سر). فمشوا في نظام متسق وكانت خطواتهم ذات إيقاع واحد، وكأنهم لم يكونوا مائتي جندي بل كأنهم جندي واحد. واتجهوا إلى غرفهم لكي يتهيأوا لمغادرتها نحو ساحة التدريب. لقد كنا في حالة انبهار بما نشاهد، فقد اعتدنا على الصراخ والهرج والمرج عندما نتحرك كطلبة، أو عندما كنا نرى عسكر الإمام حال الاستعراض الأسبوعي[2]. ولهذا فعذرنا عندما ملكتنا الدهشة هو أننا لم نشاهد من قبل مثل هذا الانتظام والامتثال، وكان في أذهاننا أن الطلبة

---

(1)- يقال في العراق للصحن أو الطبق (ماعون) ويجمع على مواعين.

(2)- كان الجيش يقوم بالعرض كل يوم جمعة بعد الصلاة أمام الإمام وهو جالس على كرسيه ويطل من نافذة عريضة على الطريق الترابي الذي تمر منه قطعات من الجيش في قصره المسمى دار السعادة، وكان بالها يقوم على مبنى صغير يسمى المقام الشريف.

أيا كانوا لا يساقون إلا بالرهبة والعصا. وقد مشينا بعد خروج طلبة الكلية من المطعم، ومعنا مرافق برتبة ضابط وتوجهنا إلى الأماكن المخصصة للسكن قبل أن يبت في أمرنا. ولم نكن نحسب بأننا سنلتحق بالكلية الحربية، بل كان ظننا بأننا سنلتحق بالمدارس الأهلية لنكمل دراستنا الإعدادية والثانوية، ولكن الإمام ونجله وزير المعارف قد قررا التحاقنا بالكلية الحربية. واستسلمنا للأمر الواقع، إذ من يقدر على التمرد أو الرفض!! وهكذا وجدنا أنفسنا في قاعة تضم أفراد البعثة العشرة، وقد خصص لكل واحد منا سرير ودولاب لخزن الملابس، وطاولة صغيرة بين السرير والدولاب. ولم نكن نفكر في مخصصات الإعاشة والمرتبات، بحيث مضى علينا ثلاثة أشهر ونحن بملابسنا التقليدية التي جئنا بها من عدن، وهي العمامة البيضاء، والقميص الأبيض الطويل (الدشداشة)، والسراويل، وفوق الكل كوت (سترة)، وكنا نلفت أنظار إخواننا العراقيين ونحن بهذه الملابس. وقد أقترح علينا بأن نخرج لمعرفة بغداد، وكانت يومئذ مشغولة بحفل مهم في ساحة كبيرة حيث تقابل البطل العراقي في المصارعة واسمه(عباس الديك)مع بطل ألماني يسمى الهر كريمر، وكانت الساحة غاصة بالمشاهدين الذين حضروا لمشاهدة تلك المباراة الرياضية العنيفة. وقبل بدء المصارعة، كان أكثر الحاضرين يتحلقون حولنا مندهشين لرؤيتنا بملابس مخالفة وغير مألوفة وكنا نشعر بالحرج، ولكن رئيسنا محي الدين كان لطيفا ومبتسما، وكان يحيي المتجمهرين حولنا. وقد ألتقط بعض المصورين لنا بعض الصور وزعت علينا فيما بعد، وقد ظن بعض العراقيين بأننا لاجئون من الحبشة التي واجهت غزو إيطاليا، ولأن وجوهنا كانت شديدة السمرة من شدة لفح الشمس أثناء سفرنا على الباخرة المكشوفة. وكان الرئيس محي الدين يحمل رسالة من اللواء محمد سري شائع إلى زميله وصديقه الأستاذ داود الوتري نائب رئيس مجلس الأعيان الذي توسط للبعثة لدى الحكومة العراقية فقبلتها. وبعد مشاهدة المباراة التي فاز فيها البطل العراقي، أنفض الحفل

وأنطلق المواطنون وهم في نشوة وحماس يرددون هتافا مضمونه: (فليحيى عباس الديك). وقد اندهشنا عند المباراة كما أندهشنا للمظاهرة الحماسية بعد ذلك، وكان الوقت بعد العصر، وعدنا إلى الكلية الحربية. وفي اليوم التالي، دعينا لمقابلة السيد داود الوتري بمعية رئيسنا محي الدين لنسلم عليه، وليسلمه محي الدين الرسالة المرسلة من اللواء سري الشايع. ولم نطلع على مضمونها ولكنها بالتأكيد رسالة شكر وثناء على ما بذله السيد داود من مجهود لدى أصحاب الشأن في الحكومة العراقية من أجل البعثة. وقد استقبلنا في منزله ورحب بنا ترحيبا حارا. ودار بينه وبين الأستاذ محي الدين كلام لم نستوعبه ولم نحاول استيعابه، لأننا كنا مشغولين بمحتويات مكان المقابلة والتحف المرتبة والمرصوفة بذوق رفيع المستوى مما لا عهد لنا به في بيوتنا[1]. ولا شك أن الحديث كان معظمه السؤال عن اليمن والإجابة عما فيها وأكثره مجاملة. كما زرنا الدكتور الطبيب هاشم الوتري وكان قد انتدب إلى صنعاء لمعالجة الإمام يحيى الذي كان مصابا بالنقرس، كما زرنا شخصيات عراقية منها كما أذكر وزير المعارف، وكانوا يستقبلوننا بحفاوة بالغة. وقد صادف وجودنا يومئذ ببغداد موسم هطول أمطار الشتاء، وقد عانينا من البرد في الشوارع معاناة شديدة، إذ كنا ذوي أجسام نحيلة وملابسنا خفيفة صيفية، ولم يكن محي الدين يحمل أي مصاريف للطوارئ، ولتفصيل ملابس مناسبة للجو وللبيئة! وقد واجهنا الظروف الجديدة بصبر وتحمل وتأقلمنا بحسب ما مر بنا من ظروف.

---

(1)- لم يكن لأهل صنعاء اهتمام كبير بالديكور، وكانوا يضعون على ارفف غرف الاستقبال بعض الأواني كزجاجات العطر الفارغة وأحقاق البخور والشمعدان والمزاهر النحاسية.

التحاقنا بالكلية الحربية ومدرسة الإشارة

مضت ثلاثة أشهر ونحن ننتظر قرار الحكومة العراقية بخصوص وضعنا، وكيفية التحاقنا بأقسام الكلية، ومخصصات المعيشة. وقد قضينا معظم الأيام في زيارة معالم بغداد، وبعض الأماكن التاريخية. كما التقينا بوزير المعارف الشيخ محمد رضا الشبيبي الأديب الشاعر، وكان لابسا للجبة والعمامة. وقد رحب بنا ترحيبا كريما ودار بينه وبين رئيسنا محي الدين حديث طويل كان معظمه حول سياسة الإمام يحيى بعد الحرب اليمنية السعودية. وكان الأستاذ محي الدين لبقا في جوابه على أسئلة الوزير، ولم نكن نعي من حديثهما شيئا، حتى سماه العراقيون السفير بلا سفارة. كما التقينا بالشيخ الفاضل الحاج نعمان الأعظمي رحمه الله وكان يشرف على طلبة في جامع أبي حنيفة يتلقون العلوم الدينية من تفسير وفقه ولغة عربية، كما كان يقوم بالوعظ والإرشاد ويؤدي خطبة الجمعة. وكان دمث الأخلاق لطيف المعشر قابلنا بترحاب وعطف، وكنا نحضر لزيارته كل جمعة وكانت له صلة وثيقة بأكثر المسئولين العراقيين. وقد طاف بنا في مكتبة الجامع، وضريح الإمام أبي حنيفة. وقد استفدنا من فترة الانتظار قبل انتظامنا في الكلية فزرنا العديد من معارض بغداد ومكتباتها مثل مكتبة المثنى العريقة ودور الثقافة، إلى أن جاءنا ذات صباح نبأ قبولنا في الكلية الحربية كأبناء العراق، ولنا كل ما لزملائنا العراقيين من مخصصات ومعيشة وملابس لا فرق. وقد غمرتنا الفرحة

التي لا ننساها لا سيما عندما قررت الحكومة العراقية بأن تصرف لنا مرتبات الثلاثة الأشهر التي قضيناها في الانتظار، وقد كان المرتب مجزيا بحيث تمكنا من شراء ساعات وأقلام وأشياء كمالية. وفي أحد الأيام جئ إلينا بالخياط الخاص بتفصيل ملابس طلبة الكلية فأخذ مقاس كل واحد منا. وما هي إلا أيام قليلة حتى استلمنا الملابس العسكرية، وقد لبسناها في فرح وغبطة، وظهرنا بها كما لو كنا نشأنا بها، وطوينا الملابس التي جئنا بها إلى العراق، وكنا نلبس القمصان الطويلة منها عندما نقوم للصلاة. وأذكر أن الضباط في الكلية ابدوا إعجابهم بعد أن رأونا بالملابس العسكرية، وقد نسينا نصيحة سيف الإسلام عبدالله وزير المعارف وتحذيره لرئيسنا محي الدين بأن لا نتعجل بتغيير ملابسنا اليمنية قبل أن نستأذنه. ثم كيف يتسنى لنا الاستئذان وبيننا وبين اليمن آلاف الأميال والبريد لا يصل إلى يد المسئولين في صنعاء إلا بعد مرور أكثر من عشرة أسابيع؟ وهذا ما كنا نلاحظه عندما تأتينا رسائل من أهلنا. كذلك كنا قد ضقنا من ملابسنا اليمنية، إذ كانت تلفت إلينا أنظار الاستغراب من قبل العراقيين. وجئ لنا بعد ذلك بالملابس التي سنرتديها عند التدريب ومعها ملابس النوم. وقد رأى المسئولون عنا بأن نقسم فريقين: فضعاف الأجسام منا ألحقوا بمدرسة الإشارة، والذين لهم أجسام قوية تتحمل التدريب العنيف ألحقوا بالكلية الحربية، وكان الفريق الأول يضم المرحوم الفريق حسن حسين العمري، والعقيد احمد محمد طاهر والنقيب المرحوم محمد مصلح الريدي، والمشير عبدالله السلال، والعقيد احمد حسين المروني. أما الفريق الثاني فقد ضم العميد احمد بن علي الانسي رحمه الله، والعقيد محمد صالح العلفي رحمه الله، والعقيد محمد بن محمد عامر، والعقيد احمد علي اسحق، والعميد محمد عبدالخالق حجر[1]. وهكذا بدأنا أولى مراحل

(1) لقد تخرجنا من الكلية الحربية ومدرسة سلاح الإشارة برتبة ملازم أول، وقد نال كل منا الرتب العالية أثناء خدمتنا في الجيش اليمني.

الدراسة، ولم نكن نتصور بأن الإمام يحيى سيقرر مصيرنا من ناحية الدراسة، إذ كنا نتصور بأننا سنلتحق بالمدارس المدنية. كما بدأنا نتساءل: لماذا لم تكن لليمن مثل العراق نهضة وتفوق في المعرفة والتعليم؟ ولكنه تساؤل يقرب من الهمس وعدم الإفصاح، لأننا لم نكن قد استوعبنا ما نشاهد ونقرأ ونسمع. وأهم ما كان يخطر بتفكيرنا هو ضوء الكهرباء، والشوارع المعبدة، والفنادق المشيدة، والصحافة والإذاعة، والنوادي الثقافية. وكنا لا نلتقي إلا يوم الجمعة من كل أسبوع. فالأخوة الذين التحقوا بالكلية الحربية بيننا ونحن في مدرسة سلاح الإشارة وبينهم مسافة شاسعة. ويكون اللقاء في جامع الأعظمية، حيث يسكن رئيسنا محي الدين العنسي، والذي لم يكن له مكان يأويه ولم يلتحق بأي كلية أو معهد، ولكنه كان يحضر كمستمع في كلية الآداب ويدون بعض ما يسمع، ويومها لم تكن قد كملت جامعة بغداد. وكنا عندما نلتقي جميعا تبدأ المناقشة والأحاديث حول وضعنا الجديد ومشاهداتنا وملاحظاتنا على تلك المشاهد. وقد يحصل بيننا خلاف بالنسبة لمقارنتنا الوضع في العراق والوضع في اليمن، فكان منا من لا يسمح بالنقد والاعتراض على سياسة الإمام، لأنهم ملتزمون بما نشأوا عليه من تقديس الإمام وتشيع أبائهم وذويهم. وكان البعض يفصح عن امتعاضه بأسلوب هادئ بحيث لا يستفز ذوي العقيدة.

بعثتان أخريان وموفدان لاستطلاع سلوك المبعوثين

قبل أن تمضي علينا الأشهر الأولى فوجئنا بنبأ سررنا له، وهو وصول بعثة أخرى مكونة من عشرة طلاب، ستة منهم أولاد الفاضل الوجيه حسين بن صالح الحبشي صاحب فكرة إرسال البعثة الأولى إلى العراق، وهم: شيخان عبدالله الحبشي وإخوانه حسين، ومحضار، وعبد اللاه، وحمزة من أولاد السيد حسين، وهاشم القدري من الأسرة، وأربعة من أبناء صنعاء وهم: علي محمد رجاء، وعلي بن علي الأنسي، واحمد حسن الحورش، ويرأسهم الأستاذ زيد بن علي عنان. وقد نزلوا ضيوفا على الشيخ نعمان الأعظمي بمسعى من الأستاذ محي الدين العنسي الذي كانت له مكانة في نفس الشيخ الأعظمي. وقبل أن نلتقي بهم طلب منا الأستاذ محي الدين أن نتبرع لهم بما نستطيع من الملابس لأنهم كانوا بحاجة إلى ملابس تناسب البيئة العراقية، وأمضوا أكثر من شهرين وهم في وضع سيئ لأن الحكومة العراقية لم تتخذ بشأنهم قرارا يحدد مصيرهم. وقد عانوا من شظف العيش كما كنا نعانيه قبلهم. وقد جاءت بعدهم بعثة أخرى يرافقها القاضي عبدالله محمد السرحي والسيد يحيى حمود النهاري، وكانت البعثة مشكلة من: احمد بن احمد الحيمي، واحمد يحيى الثلايا، وحمود الجايفي، وسلام عبدالله الرازحي، ومحمد عبدالولي نعمان. وقد التحقوا مثل البعثة الأولى بمدرسة سلاح الإشارة

وبالكلية الحربية. وقد قيل يومئذ بأن السرحي والنهاري أوفدهما الإمام مع البعثة الأخيرة لكي يطلعا على سلوك البعثات جميعا، وهل يؤدون فروض الصلاة ويصومون شهر رمضان، ويحبون الإمام؟ وأذكر أن مدير مدرسة سلاح الإشارة العقيد يوسف العزاوي قال لهما عندما سألاه عن سلوكنا: لقد تأثر بأولادكم أبناؤنا العراقيون فصاروا يصلون معهم جماعة في أكثر الأحيان. وكان بجوار الفندق الذي نزل فيه السرحي والنهاري ملهى ليلي، وعندما تبدأ سهرته الراقصة تنطفئ أنوار غرفتهما وتفتح النافذة لكي يشاهدا السهرة بدون غرامة أو قيمة تذاكر. وعندما صارحا محي الدين بأن أجرة الفندق لمدة عشرة أيام باهظة، وأنه من الضروري مراجعة مدير الفندق لكي يتنازل عن بعض المبلغ، قال لهما محي الدين، إن ذلك سيسبب له حرجا، وربما تسوء سمعة الوفد وسمعة اليمن. وقيل حينها بأن مدير الفندق شعر بأن الوفد يحاول مراجعته في أجرة الفندق فعرض على محي الدين بأنه يتشرف أن يكونوا ضيوفا على الفندق. وهذا بعض الواجب، ولكن محي الدين شكره على شعوره النبيل وقدم له الحساب كاملا، أما كيف تم ذلك فلم نكن ندري.

ومضى علينا عام، ونحن نعاني من أجل اللحاق بالزملاء العراقيين الذين كانوا متقدمين علينا في دروس الكيمياء والفيزياء والرياضيات، وكدنا نفشل آخر العام لولا الرأفة بنا من قبل هيئة المدرسة. وفي هذا العام، جاء وفد غير رسمي مكون من محمد بن محمد زبارة[1] ومحمد بن قاسم أبو طالب الخطيب، وكأنهما جاءا بعد موسم الحج، وكانت إحدى صحف بغداد قد نشرت قصيدة لمحمد بن محمد زباره مطلعها:

---

(1)- لقد استصحب معه مداعته بتوابعها، وكان يقوم بإعداد لوازمها بنفسه.

وبتوقيع وزير القصر محمد بن محمد زباره، وظن في بغداد بأنـــه وزيـــر البـــلاط الملكي، مع أنه كان يقصد بذلك قصر غمدان. وانطلت النكتة علـــى العراقيـــين واستقبله المسئولون كما زاروه إلى جامع الأعظمية، حيث أفرد له مكـــان فيـــه الحاج نعمان الأعظمي صاحب المدرسة الدينية وقيم الجامع. كما احتفل به آمـــر مدرستنا وأقاموا له مأدبة عشاء في نفس المدرسة. وكان السيد محمد بن قاسم ابو طالب يقوم خطيبا في بعض النوادي. وفي مناسبة من المناسبات ألقى كلمة مجـــد فيها العرب وأشار إلى مكارمهم ونوه بحكومة العراق وشعب العراق ومـــا لقـــي الوفد من حفاوة وحسن استقبال، وكان سفير ايران من بين من حضروا المناسبة، ولعله كتب إلى حكومته عن الوفد اليمني، فطلبت حكومة طهران من سفيرها بأن يوجه دعوة للوفد كي يزور طهران، وهو ما تم بالفعل. وقد أمضى الوفد وقتـــا طويلا في زيارته للعراق وغادرها بعد ذلك. وقد كانت هـــذه الزيـــارة لافتـــة للصحافة العراقية التي نوهت بها وبالوفد، وتحدثت بعضها عن اليمـــن ونوهـــت الصحف الأخرى بالعلاقات الودية بين الشعبين العربيين، وأشـــارت إلى تـــاريخ الحضارة في جنوب الجزيرة وبخاصة دولة سبأ وحمير.

اندماجنا في المجتمع العراقي والأسئلة المحرجة

كان بعض زملائنا وأصدقائنا يدعوننا لحضور المناسبات السارة كحفـــلات الأعراس، وكنا نلاحظ تشابه العادات اليمنية والعراقية ولا سيما في الأوســـاط الشعبية. وهكذا أمضينا قرابة العام ونحن نتلقى أكرم العواطف الأخويـــة بحيـــث نسينا أننا غرباء، واندمجنا في المجتمع، وتحدثنا بلهجته التي لا تختلف كثيرا عن بقيـــة اللهجات العربية. ولاحظنا عددا من الكلمات يستعملها أهل صنعاء، مثل كلمـــة (القوزي) الكبش الرضيع، والخبز الذي يخبز في التنور وهو غير (الروتي) ويســـمى

في العراق (الصمون)، وكلمة (القص) وتكتب القاف كافا هكذا (الكص) وهو جزء من لحم الكبش، و (المعرقة) وهي الطاقية التي توضع على الرأس ثم تطرح عليها العمامة أو أي غطاء للرأس ويسمى في العراق (العرقجين)، و (المرقة) وفي صنعاء نسميها (المرق)، و (الصاية) وهي الجبة الخفيفة تلبس فوق القميص. ولم نجد عسرا في فهم الكلام العامي. وقد تعرف الأستاذ محي الدين على أصدقاء ذوي أفكار وثقافة عالية بينهم نقابيون أذكر منهم الأستاذ موسى علوش، ونقيب المحامين السيد مكي الاشتري، وغيرهما. وكان مكي الأشتري[1] يعطف علينا كما لو كان أبا وعما، وينتظر زيارتنا له كل يوم جمعة ويقابلنا بكل بشاشة ولطف، ويستأنس عندما يسمع أحاديثنا ومعه أصدقاؤه من محامين وأدباء. وكانت الحياة بسيطة لا تعقيد فيها، فالناس متآلفون متفاهمون ليس فيهم من يصرخ أو يشتم. حتى العوام منهم لا تصدر منهم مخالفات تستدعي تدخل الشرطة إلا ما ندر، وإذا حدث خلاف حاد تطوع أول من يعرف أو يسمع ما حدث فيبادر لفض النزاع بروح ودية. وكان بعض العراقيين يدعوننا لحضور حفلات الأفراح مثل الأعراس، وكنا نرى أن عاداتهم تلتقي مع عادات شعبنا في المدن، وكنا نخرج عندما يسألوننا عن الوضع السياسي في اليمن ونظام الحكم، هل الإمام يحيى طموح يستطيع أن يسبق المملكة السعودية في تطوير اليمن، واستخراج المعادن، وفتح المدارس العالية، وتحديث الجيش، وتنشيط حركة المعرفة؟؟؟ ولم تكن هذه الأسئلة إلا حب الوقوف على نهضة اليمن التي تخدم العرب. وكانوا قد سمعوا بأن

---

(1)- سمع مكي الأشتري يرحمه الله بوصولي إلى العراق عندما نشرت وسائل الإعلام بأنني في زيارة رسمية للعراق، وكنت يومئذ وزيرا للإعلام، وكان يسكن بالبصرة، فكتب لي رسالة يبث فيها شوقه لرؤيتي. وقد أجبت عليه بأنني ربما أزوره إلى البصرة، ولكنني فوجئت بمجيئه لزيارتي في فندق بغداد واستقبلته بكل الود والشوق. وقد فاجأه الموت وهو عندي إذ كان يعاني من الذبحة الصدرية، وقد كانت لي صدمة لا تنسى.

بعثة للطيران قد عادت من إيطاليا على متن طائرتين[1] فشعروا بشيء من الاعتزاز، وصاروا يفكرون في استباق اليمن لتحديث أجهزتها المدنية والعسكرية، بل قيل لنا بأن الحكومة فكرت في إرسال بعثة لدراسة الطيران في اليمن. ولم يدروا بأن تلك الحركة تظاهرة كاذبة، إذ أن أفراد البعثة قد قتل معظمهم في حادث سقوط الطائرتين، وأهيل على المشروع التراب عندما أهيل على قبور أولئك الشهداء الأبرار الذين أظهروا الحماس والمغامرة في مجال الطيران، ولكن الأقدار لم تمهلهم ودخلوا التاريخ في فترة مظلمة من تاريخ اليمن. وكثيرا ما كنا نستنجد بالأستاذ محي الدين ليجيب عنا، وقد نجيب بشيء من المغالطة لأننا كنا نحس بأن أي نقد يوجه للنظام في اليمن يمس كرامتنا، حتى لقد سألنا أحد ضباطنا الأساتذة: هل الإمام يحيى (زنقين)[2]؟ فاستنكرنا هذا الوصف وقلنا إن الإمام من آل الرسول، ولم يكن في يوم من الأيام (زنديقا). وهنا ضحك الضابط وتدارك الأمر قائلا: لا لا، أنا لم اسب الإمام ولكنني أسأل هل هو غني فقد قيل بأن لديه فلوس (هوايه) أي كثير،وهنا زال انزعاجنا وقلنا له ونحن نبتسم: نعم، عنده فلوس كثيرة يختزنها للمستقبل. وغيرنا مجرى الحديث، واستمرت سهرتنا بعد أن تناولنا معه طعام العشاء، وكان عطوفا معنا وكريما وكان يلتقي معنا في أوقات متعددة، ويستأنس بالتحدث معنا. وكنا نخفي عنه ما يقاسيه الشعب اليمني من

---

(1)- كانت البعثة مؤلفة من خمسة ضباط هم: عبدالرحمن الظفري، ومحمد كامل القليسي، والسراجي، والوشلي، ومرعي، وعبدالملك العلفي. وقد رأى الإمام يحيى أن يشعر الشعب اليمني بأنه لا يمانع في تطوير اليمن، ولكنه كان يبطن شيئا آخر. فقد لقي ثلاثة من الطيارين مصرعهم عندما قاموا بجولة على الطائرتين فسقطت الأولى ثم الثانية، وكانت خاتمة قصة الطيران. والمأساة تتلخص في أن الطيارين لم يطالبوا بإيجاد فريق صيانة لم تكن لديهم خبرة في الكشف على الطائرات قبل إقلاعها. ولهذا فعندما طارت الأولى لم تلبث في الجو غير دقائق ثم هوت محترقة وقتل من فيها. وبعد يومين، قامت الطائرة الثانية فحلقت بضع دقائق فوق المطار ثم هوت واحترقت وقتل من فيها. وقيل يومئذ بأن للإمام يدا في كارثة الطائرتين كي لا يفكر اليمنيون بعد ذلك في المحاولة مرة ثانية.

(2)- زنقين لفظة تركية بمعنى غني.

حرمان وفقر وجهل وأمراض لئلا ينتقص من قدرنا، ولكننا كنا نشعر بالألم ونضمر الكراهية لهذا الحاكم المتأله الذي يحكم باسم الدين وهو بعيد عن مبادئه وأهدافه، وقد يتساءل كل منا في خلوته: لماذا يبخل الإمام على شعبه ويكنز المال الذي يجبيه من عرق الشعب وكده؟ لماذا لا ينفق منه في بناء المدارس، وتشييد المستشفيات، وتعبيد الطرقات بعد شقها ليسهل على المواطنين التواصل وليخفف عنهم من عناء السفر؟ لماذا يخاف من نور العلم وضوء المعرفة؟ ولماذا يحكم الحصار على الشعب اليمني ويمنعه من طلب العلم في الأقطار المتقدمة؟ وكنا نتذكر عندما توجهنا لوداعه عند سفرنا إلى العراق كيف قابلنا بتلك الفظاظة والغلظة والغضب، وكأنه لم يسترح لخروجنا إلى العراق لطلب العلم، لأنه لا يريد أن يعرف اليمنيون بأنهم يعيشون في سجن وقهر وحرمان.

قصتنا مع البريد

عندما استقرت بنا الحال في بغداد، وتأقلمنا مع البيئة الجديدة ، سألنا الأستاذ محي الدين عن كيفية الكتابة إلى أهلنا بصنعاء، فقال ليكتب كل واحد إلى أهله أو أصدقائه كما يشاء. وفعلا قمنا بتحرير رسائل إلى أهلنا وأخبرناهم عن أوضاعنا بما يطمئنهم، وأنه لا ينقصنا شيء ولا ينغص عيشنا إلا فراقهم. ومرت أسابيع حتى تلقى بعضنا جوابا على رسالته، وفرحنا كثيرا. وقد يبقى موزع البريد أياما وهو يسأل عن أصحاب الرسائل التي جاءت من اليمن، لأن الأهل في صنعاء كانوا يبدأون بالكنية مثل صفي الإسلام، وفخر الإسلام، وعماد الإسلام، الخ، ثم يأتي الوصف مثل البار التقي، ثم يأتي الاسم بعد. مثلا جاءت رسالة للأخ محمد عبدالخالق حجر معنونة هكذا: إلى الولد البار التقي عز الإسلام محمد عبدالخالق حجر، وهنا يظل موزع البريد يسأل في حيرة عن الولد البار التقي ظنا منه بأنه اسم الشخص صاحب الرسالة. وقد اكتشفنا ذلك عندما جاء الموزع

يسألنا من منا الولد البار التقي، وعندما أطلعنا على عنوان الرسالة ضحكنا، وقلنا له هذا هو وصف صاحب الرسالة، أما اسمه فهو محمد عبدالخالق. ويومئذ تمكنا من تصحيح الالتباس في ذهن موزع البريد، وصرنا نتلقى الرسائل بدون تأخير وقد كان بعضها يأتي هكذا: إلى العراق عاصمة بغداد، وأحيانا: إلى بغداد- العراق الداخل. ومع ذلك فقد فهم موزعو البريد ماذا تعني هذه العناوين. وقد يصاب أكثرنا بعد قراءته للرسالة التي يستلمها باكتئاب وحزن، وحينا قد ينفجر باكيا لأن والدته التي ودعها وهي مريضة قد توفيت، وبعضهم عمته، والآخر والده. وهكذا كان البريد الذي يأتينا من اليمن يسبب لنا ألما وحزنا لأنه ينطوي على أخبار عائلية أكثرها محزنة. وكنا نخفي أخبارنا الحزينة عن أصدقائنا العراقيين الذين كانوا يترقبون أخبار اليمن من قبلنا، ولم يدروا بأن أكثرها أخبار عائلية وليس فيها شيء يدعو إلى الفرح أو الإعجاب.

ولم تغرنا أثناء ذلك الدراسة المنهجية ولم نعرها اهتماما كبيرا، بل شغلنا بحفلات السينما، ومطالعة القصص والصحف والمجلات، والتعرف على النوادي التي تضم الأدباء والسياسيين. وكنا نتعرض للتوبيخ من قبل آمر الكلية الذي طالما حذرنا من التأخر في المساء عن الحضور إلى غرفنا، وكان يحثنا على الاستذكار وينبهنا إلى المستقبل الذي ينتظرنا، ولكننا لم نكن نرعوي بل نزداد تعلقا بالتعرف على مجتمع بغداد. ولم نكن نطيق البقاء في الكلية عندما نسمع أذان العصر، حيث نخرج مع بعض زملائنا العراقيين إلى بغداد، ونجلس في أحد المقاهي حتى تحين ساعة العرض السينمائي. وكان زميلي ورفيق النضال الأخ عبدالله السلال ومعه محمد الريدي قلما نفترق، وكنا نشكل الثلاثي المرح، فنمرح ونضحك ونتمرد على نظام الكلية. وأذكر بأننا شاهدنا فيلم (البؤساء) باللغة الفرنسية ومترجما باللغة العربية أكثر من مرة، وكان عرضه يستغرق ثلاث

ساعات، وكنا ندمع أحيانا عندما نشاهد بعض المواقف التي تثير الشفقة وتهز المشاعر. وقد أثرت هذه المواقف في أفكارنا وفي إثارة خواطرنا مما جعلنا نقارن بين حالة شعبنا وخضوعه لحكم خرافي، وبين شعب العراق وحكومته الدستورية النيابية. وعندما مضى علينا العام الأول في بغداد كنا قد انقطعنا عن مجتمع بلادنا، وكنا نعتقد بأن قدرا من التطور قد حدث فيه وكأنها قاعدة تنسحب على كل من يغيب عن مجتمعه فترة من الزمن ويعيش في بيئة جديدة ويتأقلم معها. وهكذا ظننا عندما تلقينا أول خبر في إحدى الرسائل بأن الحكومة قد بدأت بإنشاء فندق في (شرارة)[1] واستوحينا من هذا الخبر بأن هناك تطورا في مجالات عديدة، ولكنها كانت أحلاما وأماني لا سند لها من الواقع...

وقد انقضت السنة الأولى ونحن في بغداد نشعر بالاغتراب أحيانا، والنسيان أحيانا. وكنا نعاني من ضغط الدروس النظرية، وقسوة الدروس العملية، وما كان يعتلج في صدورنا من هموم، وما يخامرنا من أفكار، ولاسيما وقد تغيرت أفكارنا، وكبرت طموحاتنا، وصرنا نفكر في أمر حكومتنا التي هي الإمام وأولاده، وعدم اهتمامهم بنا. وكان الإمام يحول عن طريق عدن مرورا بالكويت لكل منا أربعمائة فلس عراقي، أي عشر ما كنا نتقاضاه من حكومة العراق. وكانت هذه المنحة الضئيلة لا نستلمها إلا كل ثلاثة أشهر، وكان أستاذنا رئيس البعثة ينصحنا بأن لا نشعر أحدا من إخواننا العراقيين بهذه المنحة البسيطة فينقلها إلى مسامع

---

(1)- ميدان شرارة هو اليوم ميدان التحرير، وقد بنى الحاكم التركي مدرسة للصناعة حولها الإمام إلى حبس سمي بحبس (الصنائع)، ثم حولها بعد ذلك إلى دار ضيافة، وبقيت حتى قيام الثورة فكانت وزارة للداخلية، وهي اليوم المتحف الحربي، وبجانبها من الغرب أنشئ مبنى هو الذي قيل عنه بأنه فندق، وقد نزلت فيه البعثة العراقية العسكرية (سنة 1940) ومكثت فيه حتى تفرق ضباطها وأفرادها في بيوت خصوصية وقد تزوج منهم من تزوج. وعندما تم استدعاؤهم رافق بعضهم عوائلهم وأولادهم، وتحول مبنى الفندق إلى مدرسة ثانوية، ثم صار وزارة للتربية والتعليم حتى اليوم. وقد اتسع المبنى كثيرا.

أحد من رجال الحكومة فيمتعضون، لأنهم تكفلوا بكل ما نحتاج إليه من طعام وملابس ومصاريف جيب، إذ تبقى هذه الفلسات التي نستلمها كل ثلاثة أشهر لا معنى لها، بل قد تسئ إلى حكومة العراق. والتزمنا بالصمت، ولم نشر إلى هذه المنحة الضئيلة لأي من زملائنا العراقيين، وهكذا كان يتعاظم حقدنا على حكومة الإمام يحيى وتشتد كراهيتنا له. ويومئذ جاءت بعثة من عدن وكان من أعضائها الأساتذة احمد زين السقاف[1]، وحسين بيومي، وحسن فدعق، وآخرون كانوا خميرة النهضة الوطنية في عدن، ورسل القومية العربية التي تنامت واتسعت دائرتها.

وكان العراقيون والمثقفون منهم على الأخص يتعاطفون معنا، ويظهرون لنا أصدق مشاعر الود والإخاء، ويصارحوننا أحيانا بأنهم أصلا من اليمن، وأن أكثر قبائل العراق تنتسب إلى قبائل قحطان اليمانية. وكان بعض العراقيين يعتقدون بأننا (شيعة)، ولكنهم يستغربون ترددنا على مساجد السنة التي لايؤمها الشيعة لمخالفتها عقيدة الشيعة. وقد كاشفناهم بأننا على مذهب الإمام زيد بن علي، ولم يناقشونا في ذلك، بل كنا محط رعايتهم وحبهم.

الذاكرة ومنغصات أيام الدراسة

عندما أتذكر ما حدث لي من منغصات أثناء الدراسة، فإن من بين ما يحضرني ما حدث لي أثناء التدريب لأول مرة على استعمال البندقية، وكيفية حملها أثناء التدريب، والرمي بها في الميدان المخصص للرمي. فعندما صدر الأمر من آمر الفصيل المكلف بتدريبنا على الرماية قائلا: صوب. وهنا نضع أخمص

---

(1)- الأستاذ احمد زين السقاف الشاعر الأديب. تخرج من دار المعلمين ببغداد، وشارك في ثورة العراق بقيادة المناضل رشيد عالي الكيلاني. ولما حوصرت الثورة شعر بعض الثوار بتأزم الحالة وتدخل الإنكليز لإعادة الوصي على العرش عبد الإله بن الشريف علي، ففر معظمهم إلى الأقطار العربية المجاورة. وكان الأستاذ السقاف ممن لجأوا إلى الكويت، وعمل فيها بعد أن أعطي الهوية الكويتية.

البندقية على أعلى الصدر بين الجنب والصدر من جهة اليمين، وكنا منبطحين على الأرض في حالة تأهب لإطلاق الرصاص على الأهداف المنصوبة أمامنا والتي تبعد عنا أكثر من مائة متر، وكنت في حالة من التوتر والخوف. فأنا وكل زملائي لم يسبق لنا أن أمسكنا ببندقية، ولم نسمع حتى إطلاق الرصاص فكيف بي وفي يدي البندقية مملوءة بالرصاص، وأصبعي السبابة على الزناد. وهنا صدر الأمر من عريف الفصيل: إرم.. وارتجفت وكاد يغمى علي. وفي اللحظة التي كنت اضغط فيها على زناد البندقية رمى زميلي الذي بجانبي واعتقدت أنني قد رميت ونفذت الأمر وتنفست الصعداء، ولكني ويا للخزي سمعت العريف يقول بصوت عال: رقم واحد لم يرم، وصرخ في غضب: إرم. وهنا كدت أشاهد الموت، وشجعني زميلي الذي بجانبي، وقال لي: إرم فالأمر بسيط، وصوبت البندقية نحو الهدف رقم واحد وكنت زائغ البصر لا أدري كيف أسدد الرصاصة ومع ذلك فقد ضغطت على الزناد وانطلقت الرصاصة في الهواء. وتلقيت ارتداد البندقية على صدري وطاشت الرمية في الهواء، وتلقيت توبيخا قاسيا من العريف. وتمت التمارين الأولى على الرماية للأهداف القريبة وقد زال الخوف من الرمي بالبندقية وبدأت مع الزملاء نتشاق للتمرين على الرماية لأن التوقع كان سبب الخوف. وقد قيل في الأمثال أن التوقع أشد من الوقوع، وقد عبر أبو الطيب المتنبي عن هذه الحالة النفسية بقوله:

كل ما لم يكن من الصعب في الأنفس سهل فيها إذا هو كانا

وجاء وقت التدريب على ركوب الخيل، وهي مرحلة أثناء دراسة التلاميذ الذين سيتخرجون ضباطا، ولم نكن قد عرفنا ركوب الخيل فأصابنا شئ من القلق والخوف، ولكن الضباط الموكلين بتدريبنا وتدريسنا طمأنونا وقالوا لنا لا تخافوا بل أشعروا الخيل بالشجاعة لأنها تحس وتشعر بمن يجبن أو يظهر خوفا من ركوبها

ثم إنها مدربة على كل الحركات المطلوبة منها ومن صاحبها، فهي تقف عندما تسمع الأمر بالوقوف، وتمشي عندما يطلب منها ومن راكبها المشي، وتسرع عندما يطلب منها أن تسرع وكانت الأوامر بالتدرب عليها هي الأمر بالمشي، إذ يقول قائد الفصيل: عادة سر فتتحرك الخيل سائرة سيرا عاديا، ثم يقول: خببا[1]، والخبب هو السير الذي بين المشي العادي وبين الهذب، ثم يقول: هذبا. وهو العدو السريع[2]. وقد تدربنا على الركوب والنزول من على ظهورها مدة أسبوع وهي في حالة الوقوف حتى مللنا الرتابة واشتقنا للخروج من الميدان الصغير داخل الثكنة إلى خارجها، والتدرب في الميادين الواسعة. حتى إذا أكملنا التدريب على الركوب والنزول والوقوف بجانب الخيل تعين علينا الخروج إلى الميدان الواسع، ويسمى المضمار. وقد سمح لنا بأن يختار كل واحد منا حصانه. وأخذ كل منا بلجام حصانه حتى إذا وقفنا في نسق واحد صاح فينا العريف: استعد. ثم أمرنا بالركوب، وامتطينا ظهور تلك الخيل المدربة. وكرر العريف النصح بأن نسيطر على الخيل ولا نجعل أقدامنا تصطدم ببطونها. ولا سيما ونحن نلبس أحذية غليظة تغطي نصف الساق، وعليها لفائف من القماش الخشن لضبط الأحذية ولراحة الفارس، علما بأن الأحذية مزودة بمهامز مسننة لأجل لكز الحصان عندما يطلب منه التحرك، واللكزة يجب أن تكون خفيفة. وهكذا كانت تجربتنا مع ركوب الخيل يعتريها القلق والحذر والخوف. ومشينا نحو المضمار والعريف يسايرنا من أحد الجوانب، ويراقب سيطرتنا على الخيل. وقد انتهى اليوم الأول بسلام، إذ لم تعد الخيل عدوا سريعا ولكنه المشي العادي. وهكذا مضى علينا أكثر من أربعة أيام تقريبا ونحن نتمرن على مشي الخيل مشيا عاديا. وجاء اليوم الذي يجب أن نبدأ بالخبب، وهو مشي الخيل الذي لا هو بالعادي

---

(1)- الخبب في اللهجة الصنعانية يسمى الهندفة على وزن الزندقة، وفي الفصحى مشي الخيل

(2)- بدأ العراق بترجمة المصطلحات العسكرية والفنية إلى اللغة العربية الفصحاء.

ولا بالهذب. واستمتعنا بركوب الخيل ذلك اليوم وزالت مخاوفنا. ولكننا بعد أيلم جاء الوقت الذي يجب علينا أن نحث الخيل على العدو السريع وهو الهذب، إذ ما كادت الخيل تسمع العريف يصيح: هذبا، وكانت تمشي الخبب حتى انطلقت تعدو بسرعة جعلتنا نمسك بالسروج. حتى إذا سخنت بدأت ترغى وتزيد وتضبح بشكل أصابنا بالذعر. ولولا أن المضمار مسورا بسور مرتفع لانطلقت إلى الأرض الفضاء لتسبح كما شاء لها النشاط. وكدنا نألف هذا العدو المريح لولا أن الخيل لا تقنع بالحركة المحدودة. وأذكر أن أحد الزملاء وقع من على ظهر الحصان الذي كان راكبا عليه، وتعرض هذا الزميل للتندر من قبلنا واللوم من قبل العريف، حتى إذا ركب شده العريف على السرج بسيور جلدية خشية سقوطه مرة ثانية. وقد جاء دوري حيث انطلق بي الحصان إلى مسافة بعيدة عن المضمار. وقد تذكرت وأنا في تلك الحال النصح الذي كان ينصحنا به العريف عندما يحس الفارس بأن حصانه قد جمح ورغب في العدو السريع، تذكرت أنه يجب أن أتهيأ للقفز فاقفز باتجاه الحصان حتى لا أتعرض لإصابة خطيرة. ولكن ما جاءني التذكر إلا وأنا والحصان على أكمة بجانبها ترعة يجري فيها الماء. وهنا قفزت ولكن إلى الترعة حيث ابتلت ملابسي بخليط من الماء العكر والطين، وكان منظري يدعو إلى الإشفاق. ويومها قال لي زميلي عبدالله السلال المشهور بنكته العفوية: كنا نظن بأنك قد توجهت بالحصان إلى تركيا! ويومها صرت أفكر في اختيار حصان هادئ، ولهذا صرت أتودد إلى حارس الإسطبل وأبدى له رغبتي في أن يختار لي حصانا ليس بالنشط الذي لا يستجيب لمجاراة بقية الخيل أثناء التدريب. وبالفعل اختار لي حصانا هادئا لكنه كبير السن ورضيت به على كبوه. وعندما توجهنا إلى ميدان التدريب كان العريف يحثنا على العدو عندما يجد الطريق خالية من العوائق. وكان زملائي يسبقونني لأن خيولهم نشطة وصغيرة السن ولكنني كنت أتمكن من اللحاق بهم بجهد ومشقة. وتمكنت من حث حصاني

أثناء التدريب. وعندما جاء وقت العودة إلى المدرسة كان حصاني قد أجهد وكنت أنا قد تعبت في حثه على العدو. وهكذا سبقني الزملاء بمن فيهم العريف الذي كان يبعد مع الزملاء عني بمسافة كبيرة، فكان يوقفهم حتى ألحق بهم ولكنه في آخر الأمر لم يصبر على تأخري فصرخ في وجهي واستعمل معي كلمات جرحت شعوري واتهمني بالكسل والتأخر وهددني بأنه سيضربني بسعف النخل فأجبت عليه بامتعاض، وقلت له: ماذا أفعل بحصاني الذي يشبه الخيول الخشبية؟ ثم ليس لك حق أن توبخني وتهددني بالضرب. وشتمته بعبارات تعد في النظام العسكري خروجا على اللياقة والانضباط وأدب السلوك. وكنت قاسيا في الرد عليه فأسرها في نفسه حتى وصلنا إلى ساحة المدرسة شعرت وزملائي بأنني أفرطت في الغضب وأنه لا بد من تدارك الموقف والاعتذار للعريف. وبالفعل تقدم إليه أكبرنا رتبة وهو الفقيد احمد محمد طاهر رحمه الله وأبدى له الأسف، واعتذر له وقال له عني بأنني في حالة عصبية من جراء ما وصلني من أخبار مزعجة عن حالة والدتي، ودعاه إلى غرفتنا وقدمنا له الشاهي وما لدينا من أشياء كنا ندخرها لوقت شرب الشاهي بعد العصر. وقبلت رأسه واعتذرت له وأبدى شيئا من الرضا وكدنا ننسى ما حدث ولكن العريف شكا لبعض زملائه بما حدث فدفعوه لكي يرفع تقريرا إلى ضابط الخفر، والضابط بدوره يرفع تقريرا إلى آمر المدرسة، وكان آمر المدرسة شخصا متقدما في السن ومهابا عند الآخرين كما كان شديدا ضد من يخطئ أو يرتكب مخالفة غير مألوفة تتعارض والانضباط العسكري. ولهذا أمر بمعاقبتي وتوقيفي في سجن الأفراد ثلاثة أيام. وعندما سمعني وأنا احتج وقد صرت بين المساجين وأنادي أهلي وقومي وأقول ليتكم تعلمون بأننا في العراق نتعرض للهوان والسجن والتوبيخ، وليتكم ترونني وأنا في السجن بين مرتكبي المخالفات الجسيمة لرثيتم لحالي، وهكذا كررت في الاحتجاج والصراخ وكان آمر المدرسة يسمعني فأمر بأن انقل حيث مكان زملائي وأبقى

تحت الحراسة محروما من الخروج للتدريب وإجازة الأسبوع. كذلك تعرض لما تعرضت له الأخ عبدالله السلال وكان مثلي حساسا معتزا بكرامته. فقد صادف أن تشاجر مع صاحب البوفية وكانوا يسمونها الكانتينه، إذ كنا عندما نحتاج إلى بعض المأكولات أو السجائر نستدين من المسئول عن البوفية وهو شخص غير عسكري يظهر أنه متعهد لإيجاد حاجات المدرسة وبيعها للتلاميذ دينا إلى خروج المعاش. و كان الأخ عبدالله السلال[1] قد استدان أكثر مما ينبغي فطلب من صاحب البوفية أشياء فوق ما لديه من دين فرده معتذرا وقال له: إنك قد استدنت أكثر مما يلزم وحدث شجار بينهما حيث توجه صاحب البوفية إلى ضابط الخفر وشكا له ما حدث. وهنا دعى الأخ عبدالله السلال لمقابلة ضابط الخفر الذي سأله لماذا تتشاجر مع صاحب الكنتينة فرد عليه الأخ عبدالله بصورة فيها شيء من عدم الانضباط بالنسبة لمخاطبة ضابط الخفر، فزجره الضابط وكلن كلما حاول الأخ عبدالله أن يفهم الضابط بالحادثة ويشير بيديه عندما يخاطب الضابط، وتحريك يدي الجندي أمام الأمر أثناء الاستجواب يعد خروجا على النظام. ولهذا كان الضابط يقول للأخ عبدالله عندما يحرك يديه أثناء الكلام في لهجة غاضبة: لا تتحرك. فيتوقف الأخ عبدالله عن الإشارة بيديه ولكنه سرعان ما ينسى فيتكلم مع الضابط ويشير بيديه أما نفيا أو توضيحا، ولكن الضابط يصرخ في وجهه قائلا: لا تتحرك. وهنا لم يتمالك الأخ عبدالله السلال من الانفعال فرد عليه في غضب: لماذا تتعمد إهانتي وأنا سأصبح غدا ضابطا مثلك؟ وهنا ثار الضابط وأمره بالانصراف وقدم تقريرا إلى آمر المدرسة شرح فيه ما صدر من الأخ عبدالله مما يضر بسمعة المدرسة، ولا سيما، إن بعض التلاميذ كانوا يشهدون الموقف المتفجر من بعيد، وكان الضابط يخشى من أن يصدر من الآخرين ما صدر

---

(1)- عندما حكم عليه آمر المدرسة بالسجن بين الأفراد كان يخرج كل صباح مع المساجين الذين يكلفون بتنظيف ساحة المدرسة، وعندما يمر أمامنا يشير إلى حالته وهو يبتسم.

من الأخ عبدالله. وهكذا أصدر آمر المدرسة أمرا بسجن الأخ عبدالله في سجن الأفراد حيث أمضى ما يقرب من ستة أيام، ثم أفرج عنه وقد أخذنا درسا مؤثرا في السلوك مع الضباط الكبار.

وقد تعرضنا لوباء غريب في بغداد حيث ظهرت طفوح في وجه بعضنا والبعض الآخر في يديه أو ساقيه، وأغلب الإصابة بهذا الطفح يصيب الأنف أو الخدين ولا يظهر في باقي الجسم. وقد يسيل منه ماء لا يشبه القيح ويجف أحيانا ثم ينشط الميكروب أو الفيروس الذي تسبب في هذا الطفح؛ ولم يوجد له علاج يومئذ، ولا يسبب ألما شديدا أو حمى ولكنه يزعج بشكله وسيلان قروحه ويسميه البغداديون (بأخت بغداد). وقد أصابني منه شيء في يدي وحملته إلى صنعاء ولم يخلصني منه إلا عندما سقطت من على ظهر الحصان في صباح أحد الأيام وبقيت رجلي في الركاب مما تسبب في سحبي على الأرض حيث أصبت بجروح طفيفة، وقد تعرضت القرحة التي في يدي لأثر السحب فكشطت تلك القرحة وسال منها الدم واختفت بعد ذلك إلى الأبد. وكنا نقاسي من حرارة الصيف وبرد الشتاء. فبغداد حارة صيفا حيث تبلغ درجة الحرارة إلى 45 درجة مئوية أو أكثر، وفي الشتاء تهبط درجة الحرارة إلى تحت الصفر. وقد عانينا من مرض الملاريا وأسعفنا إلى المستشفى العسكري. وإنها لذكريات حلوة ومرة وفيها ما يسر وفيها ما يؤلم، ولكنها ذكريات في مجملها لطيفة.

تحصيلنا العلمي ووعينا الوطني

لقد كابدنا كثيرا من المشاق ولا سيما حفظ الدروس النظرية[1]. وعانينا من قلة تحصيلنا العلمي، وضعف معلوماتنا العامة. ولهذا كنا نواجه صعوبات كثيرة

(1)- لقد عدنا بأفكار ثقافية ووطنية غير التحصيل العلمي الذي لم ننجح فيه بما يكفي.

بالنسبة لاستيعاب المناهج التعليمية. كما كنا نفشل في الاختبارات المتتاليـــة، ولا سيما العلوم الرياضية والطبيعية لأننا كنا ندرس الكهرباء ونطبـــق مـــا تعلمنـــاه عمليا. ولكننا كنا نشعر بعطف من أساتذتنا وإشفاق، لأنهم قد عرفوا الكثير عـــن واقع بلادنا وما تعانيه من تخلف في ظل حكم رجعي جامد. كما كنا نروي لهـــم وضع اليمن وتخلفها إضافة إلى ما سمعوه من الوفود التي كانت ترافق البعثـــات، وأهمهم المؤرخ العلامة محمد بن محمد زباره رحمه الله، الـــذي كـــان مـــن أشـــد المعارضين لحكم الإمام يحيى وأشدهم حرصا في نصحه، وقد رافقه الأستاذ محمـــد بن قاسم أبو طالب الملقب بالخطيب، كما رافق إحدى البعثات الأستاذ يحيى حمود النهاري، والعلامة النحوي القاضي عبدالله السرحي، وهؤلاء وغـــيرهم كـــانوا يفضون إلى المسئولين العراقيين بأوضاع اليمن. كما كان العراقيـــون يلاحظـــون سلوك وحركات الوفود وملابسهم، ويقيمون كلامهم. وهكذا تعاطف معنا آمـــر المدرسة وضباطها، وكانوا يشفقون علينا. ولقد بقينا طيلة فترة الدراسة لا نلبـــس إلا ما أعطتنا الحكومة العراقية، ولا نأكل إلا ما تقدم لنا المدرسة، ومع ذلـــك لم يتلق أي من العراقيين برقية شكر أو رسالة مجاملة ممن بعثونا من اليمن. وهكـــذا واجهنا العام الدراسي الثاني ولكن وعينا لما شاهدنا وما تعلمنـــا ومـــا قرأنـــا في الصحف والكتب الأدبية والتاريخية قد أزداد تأثيرا وفهما واتساعا، كما تفتحـــت عقولنا لأفكار العصر وصرنا نتحدث عن حقوق الشعوب في الحرية والعدالـــة، وتهيأنا للاختبار الأخير وبذلنا جهدا مضنيا لكي نستوعب مـــا بقـــي في منـــهج التعليم، ولنتمكن من دخول الامتحان بفهم وإدراك حيـــث يتقـــرر مســـتقبلنا. ومضت الأيام ونحن في قلق واكتئاب، ولا سيما عندما كانت تأتينا رسائل مـــن الأهل وفيها أخبار مؤلمة. فبعضنا تلقى خبر وفاة والدته، والآخر والده، والثـــالث أحد أقاربه الأدنيين. وكادت هذه الأخبار تصيبنا بإحباط لولا إيماننا بأن المـــوت مكتوب على كل الخلق. وعمدنا إلى التأسي بمن سبقنا مـــن الرســـل والأنبيـــاء والقادة والمصلحين. وكان بعضنا يواسي البعض مما أصابه بمن يعز عليه، كمـــا أن

الأستاذ محي الدين العنسي[1] رحمه الله كان بمثابة الأب لنا جميعا، وكان يواسي المحزونين بكل عبارات العطف والصبر ويقول إنكم الذين ستحيون ذكرى من رحلوا، وستكونون امتدادا لهم. وهناك الأخوة العراقيون الذين كانوا يخففون من أحزاننا، ويلطفون من شعورنا بالاغتراب، وينقلوننا إلى آفاق المستقبل، ويخلقون في نفوسنا الأمل الذي يرسم في وجوهنا الابتسامة، ويروون لنا النوادر والحكايات المسلية والتي فيها العبرة والموعظة، وقد يدعوننا إلى حفلات ترفيهية في الغنى والطرب والتمثيل الضاحك، وقد يحتفلون بنا على شاطئ نهر دجلة الفياض بالخير والنماء ونتناول السمك على الطريقة البغدادية ويسمونه (المسقوف)[2]. وهكذا نعود للدراسة بعد أن نشطت أذهاننا، وارتاحت نفوسنا من كآبة الأخبار المحزنة. وكانت الأحداث السياسية تصيب أفكارنا بإرباك لأننا نتفاعل معها ونحاول أن ندرك أبعادها. فمثلا كانت تأتي وفود من سوريا وتخرج الجماهير لاستقبالها في حماس وترحيب وشوق، ولا سيما عندما تطرح قضية فلسطين ويتسابق الناس لإقامة المظاهرات الصاخبة، ويتبارى الخطباء والشعراء ملبين نداء التضحية والفداء. بل كان بعضهم يلبس كفنه وقد كتب عليه بالدم وصيته أو تلبية الجهاد. وكذلك عندما جاء وفد سوري يطلب من حكومة العراق إعلان الوحدة بين العراق وسوريا بدون أي شروط وبلا تحفظ بالنسبة للنظام الملكي أو الجمهوري طالما أن الهدف هو الوحدة أو التوحد. وكنا نسمع في مثل هذا الجو القومي الملتهب من يحذر من سياسة بريطانيا ووضعها العراقيل أمام

---

(1)- الأستاذ محي الدين العنسي من مواليد 1915 التحق بالمدرسة الحربية وتخرج منها برتبة ملازم. ولكنه كان ميالا للقراءة والمطالعة- وكان ذكيا أريحيا وقد التحق بعد عودته إلى اليمن بوزارة المعارف مفتشا للمدارس ولكنه ضويق في حياته باليمن وبقي تحت المراقبة فالتحق بالأحرار وسكن في مصر مع زميله الشهيد احمد حسن الحورش وعندما قامت ثورة 1944 خرج مع زملائه ووقع في قبضة السفاح الإمام احمد وأعدم في حجة.

(2)- السمك المسقوف يلتقطه الصيادون بأنواع مختلفة في الأحجام ويضعونها في أحواض وقد اشعلوا النار حطبا وفحما، ثم يطرحون السمك على شكل مثلث يستند إلى سنانير الحديد ويفرش على السفرة وقد وضع في أحشائه البهارات والسلطة ويصبح أكلة شهية.

مشروع الوحدة، بل لقد قيل إن الذي دبر مقتل الملك غازي الأول هم الإنكليز لأنه كان متحمسا لإعلان الوحدة. وهكذا سمعنا عن سياسة التفرقة، وفهمنا بأن من بين العرب رجعيين وتقدميين وأحرارا وعملاء. وكانت الأحزاب تعلق على الأخبار في صحفها ومنشوراتها، وتسلط الأضواء على أخطاء الحكومة وتجاوزاتها. وبهذا أحسسنا بأن علينا واجبا غير ما تعلمناه، واجب نقد الوضع المتخلف في بلادنا، وإيقاظ شعبنا من سباته، وتلقينه بأنه حر لا يجوز استعباده، ولا يجوز تحمله للظلم وقبوله بسياسة (جوع كلبك يتبعك) كما كان يقول الإمام يحيى عن الشعب الذي مثله بالكلب. لقد اختزنا في عقولنا الشيء الكثير الذي يجب علينا عمله لتنبيه شعبنا من غفلته. ولا أنسى بأننا كنا نشعر بالهوان عندما نرى الإصلاحات الواسعة، وشق الطرقات وتبليطها، ومناقشة سياسة الحكومة في المجلس النيابي، ومحاسبة الذين استغلوا سلطتهم ووجاهتهم في الكسب والثراء. وكانت الجماهير العراقية تشعر بأنها مطالبة بدفع الحكومة نحو الوحدة العربية والعمل على إنقاذ فلسطين من السياسة الاستعمارية وتسلل اليهود إلى تلك الأرض العربية المباركة. وكنا نشترك في المظاهرات ضد الاستعمار والصهيونية. والشعب العراقي مرهف الحس بالنسبة للقومية العربية والانتماء العربي، حتى لقد تمكن العرب من صياغة الأقليات في البوتقة العربية. وكان الشعب الألماني بزعامة هتلر المثل الذي يقتدى به لأنه كان ضد الإمبريالية والاستعمار كما كان يتصور المثقفون. وقد حاول الراديكاليون والإصلاحيون تتبع سياسة ألمانيا حتى قاد الفريق بكر صدقي حركة الانقلاب ضد حكومة ياسين الهاشمي رحمه الله، وكان له ارتباط بالألمان ولكنه سرعان ما قتل بيد جندي عراقي لكي يحبط توجهه إلى الألمان، وسقطت حكومة بكر صدقي. ومن الغريب أننا اشتركنا في احتلال بغداد مع الجيش العراقي الذي كان يقوم بمناورة شمال شرقي العراق وكنا ضمن مدرسة المخابرات (سلاح الإشارة)، وأشيع يومئذ ونحن في منطقة تسمى (قز لرباط) بأن الجيش سيتوجه نحو بغداد، ولم نكن نعرف لأن الفريق بكر صدقي قد أصدر أوآمره إلى قادة الجيش بأن يتوجهوا نحو بغداد. كما أرسل إلى بغداد إنذارا بأن

الجيش سيحتل بغداد وعلى حكومة ياسين الهاشمي أن تستقيل. وقد استغل الفريق بكر صدقي غياب طه الهاشمي[1] خارج العراق، وكان رئيس أركان الجيش العراقي. وهكذا استسلمت حكومة ياسين الهاشمي وتشكلت حكومة بكر صدقي، ولكنها لم تدم بعد مصرعه، كما لم تطل بعدها إقامتنا في العراق.

(1) الفريق طه الهاشمي كان قد عرف اليمن أثناء الحكم العثماني عندما كانت حكومة اسطنبول ترسل قادة عراقيين وسوريين إلى اليمن لتعزيز القوات العثمانية، وعندما زرنا الفريق طه الهاشمي في منزله استقبلنا بحفاوة بالغة وكان يردد أغنية شعبية صنعانية جاء فيها مانزلتك بير العزب، بين الشموس الحامية.. أو شي معك مقتضى غرض، أولا بنية حالية، ويضحك ونضحك معه.

المكتبة التاريخية اليمنية
www.yemenhistory.org
رفع وتصوير
مختار محمد الضبيبي

الفصل الثاني

العودة إلى اليمن

وبدايات العمل التنويري والوطني

قرار أرعن بتعجيل عودتنا

طلب السيف عبدالله ناظر المعارف من الرئيس محي الدين تعجيل عودته مع البعثة التي أكملت عامين لأجل أن تقوم بتدريب الجيش الدفاعي الذي شكل في غيابنا، وهو يشبه التجنيد الإجباري أو خدمة العلم. وبهذا الطلب المتسرع الأرعن أحبط المشروع العراقي الذي كان يقترح بأن نلتحق بالجيش العراقي لنمارس ما درسناه عمليا ونتدرب على ما يؤهلنا للإدارة، وليكون لنا مرتب كما للضابط العراقي. وكنا سنستفيد فائدة كبيرة، وكنا بحاجة إلى أن نتولى إدارة أعمال الضباط المتخرجين في دفعتنا، كما ستتحسن حالتنا الاقتصادية وتمكننا من أن ندخر شيئا مما سنتقاضاه من الرواتب المجزية ولنحتفظ ببعضها لمواجهة الفاقة والحاجة عندما نعود إلى أرض الوطن. ولكن الإمام يحيى استعجل عودتنا خشية أن نزداد معرفة وخبرة. وهكذا حرمنا ذلك الإمام الجامد، البخيل، اللئيم مما كان سيزيد من ثقافتنا ويحسن من مستوى المالي. ولولا أن زملاءنا العراقيين قد زودونا بكميات من التمور العراقية المعلبة وبعض المصنوعات العراقية لعدنا إلى الوطن لا نملك غير ثيابنا العسكرية التي احتفظنا بها نظيفة أنيقة، وما قدرنا على اقتنائه من الكتب الأدبية والتاريخية. ولم نشعر بالضيق أو الامتعاض من قرار العودة. فقد كان الشوق للعودة إلى الوطن ورؤية الأهل والأصحاب مضطرما في صدورنا وقلوبنا. وقد دعانا آمر الكلية الحربية العقيد شاكر الوادي رحمه الله إلى حضور

حفل التوديع البسيط في ساحة الكلية، حيث اجتمع أفراد البعثة وقد حملوا رتبة ملازم ثان. وهناك اصطففنا في نسق واحد ومعنا رئيسنا محي الدين رحمه الله. وقبل أن نتناول المرطبات ونشرب الشاهي وقف آمر الكلية ووقف بجانبه بعض ضباط الكلية الذين أسهموا في تدريب زملائنا، وبدأ يخاطبنا بقوله: أيها الأخوة الأعزاء، انتم اليوم قد أصبحتم ضباطا مسئولين عن خدمة وطنكم، وصار لزاما عليكم أن تحملوا إلى بلادكم المعرفة بفنون الحرب وقد اقتبستم من العلم ما يمكنكم من تدريب الجيش اليماني[1] وتعليمه. وأرجو أن تتوفقوا في مهمتكم، كما أرجو أن لا يظهر منكم ما يستفز المسئولين هناك في اليمن، لأنكم ستذهبون وقد حملتم أفكارا لا تتفق وسياسة حكومتكم، فيجب عليكم الملاينة وإظهار المرونة. وابتعدوا جهدكم عن مهاجمة الذين سيحقدون عليكم ويحسدونكم على ما أنتم عليه من لياقة وحسن مظهر. وقد يسألونكم عن العراق وما رأيتم فيه فلا تجيبوا عليهم بحماس، ولا تصفوا لهم ما يصغر قدر حكومتكم، بل ردوا عليهم بأنكم رأيتم شعبا عربيا، ولاقيتم الترحاب من قبل أفراده، وأنهم يكنون لليمن كل مودة ووفاء. ولا يجركم طيش الشباب إلى السخرية بمن ستعملون معهم أو تعيشون بينهم وبجوارهم. ويبقى همكم خدمة الوطن ومساعدة المتأخرين- وكان كلامه يتسم بالعطف والحنان كما كان يحرص على أن نبدوا طبيعيين لم نتغير في طباعنا وسلوكنا. وهكذا بعد أن استمعنا إلى كلمة التوديع الأبوية قابله رئيسنا محي الدين بكلمة شكر في منتهى العرفان بالجميل، وأشار إلى ما لقيناه من رعاية وعطف من كل من أسهموا في تعليمنا وتدريبنا، ومن أكرمنا ماديا ومعنويا.

---

(1) كان العراقيون لا يقولون فلان اليمني ولكنهم يقولون فلان اليماني، وعندما نسألهم لماذا يقولون (اليماني) يجيب علينا المسئول بأن اليمني يذكرهم بحذاء تسمى اليمنية ويظهر أن العراق كان يستورد بضائع من اليمن منها أحذية، كما أن العراقي عندما يرد بغضب على شخص يطلب منه شيئا يقول له: أعطيك يمنية أي حذاء.

وبعدها تحولنا إلى مائدة المرطبات، وانتهى الحفل بأن صافحنا آمر الكلية وضباطها، كما عانق الرئيس محي الدين آمر الكلية وشكره على هذه الحفلة ثم عانق الضباط الحاضرين. وأنصرفنا بعد ذلك إلى فندق بشارع الرشيد بعد أن أخذنا حقائبنا، وبتنا تلك الليلة ونحن نحس بألم الفراق لمن منحونا عطفهم وحبهم، وقد سهر معنا تلك الليلة بعض من عز عليهم فراقنا.

ترتيب سفرنا ودمشق محطتنا الأولى

غادرنا الفندق صباحا. وقد كانت الحافلة التي ستقلنا إلى دمشق، وتسمى (عبر الصحراء)، في انتظارنا. وكان معنا من العراقيين والسوريين ركاب وجهتهم سوريا. ولهذا كان سرورنا بهم واضحا، لأنهم خففوا عنا من وحشة الفراق، وكان لسان حال بعضهم يقول لنا:

ستألف فقدان الذي قد فقدته كإلفك وجدان الذي أنت واجده

وأظن بأن المسئولين العراقيين قد رتبوا لنا مهمة السفر، واستخرجوا لنا تأشيرة دخول من القنصلية الفرنسية حيث كانت سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي. وهنا أود أن أقارن بين رحلة اليوم من بغداد إلى دمشق برحلة الأمس من صنعاء إلى بغداد. وقد وجدت الفرق كبيرا، إذ لم نعد نخشى على تلف ما معنا من زاد، ولم تكن معنا صرر فيها متاعنا، بل صارت لنا حقائب جلدية مناسبة، وكنا بملابس تليق بنا، لم تعد العمائم والقمصان البيض الطويلة، بل صارت بدلة جميلة التفصيل لائقة بالعصر. وكان الهاجس الذي يراودنا هو المصير المجهول، وكنا نتحدث عن مستقبلنا الغامض الذي ينتظرنا. وهكذا كنا نفكر والحافلة تقطع بنا الصحراء الواسعة فيما سنواجه في الوطن من عنت وعراقيل، كما أن أحلامنا كانت تطغى عليها الأفكار المتشائمة، ولم يستبد بنا القلق فيعكر

علينا استمتاعنا بالرحلة على ظهر حافلة كبيرة مزودة بالماء النظيف والأثاث المريح. وقد قطعنا المسافة على الحافلة في عشرين ساعة أو أقل، إذ لا أذكر بأننا بتنا في منتصف الطريق، ولم نشعر بأي متاعب أثناء السفر. ووصلت الحافلة إلى الحدود السورية فجر يوم خريفي جميل، وهناك اعترضنا ضابط فرنسي ومعه ثلاثة من الجنود وسألنا عن وجهتنا، فأجاب عليه رئيسنا محي الدين بأننا متوجهون إلى اليمن عبر سوريا ولبنان ومصر، وأطلعه على أوراق المرور الممهورة بخاتم قنصلية فرنسا في بغداد. وهنا فتشوا حقائبنا ووجدوا معنا سجائر عراقية ماركة غازي وتركي. وقد اعجبوا بها عندما أعطيناهم بعض العلب فسرهم ذلك وأعجبوا بتلك الهدية وتوقفوا عن تفتيش الحقائب الباقية التي لم تفتش. وأشروا في أوراق المرور ودخلنا دمشق الجميلة التي لها في ذاكرتنا وذاكرة التاريخ وصف يليق بعاصمة الأمويين، واختير لنا فندق (قصر الأندلس)، ويظهر أنه من الدرجة الثانية. وتفرقنا كل شخصين في غرفة، وأمضينا في دمشق يومين. كما أذكر أننا زرنا خلالها المتحف الوطني، وأدينا صلاة الجمعة في الجامع الأموي الذي يعد تحفة فنية معمارية. وما حوى من نقوش وزخارف تدل على أن العرب كان لهم ذوق رفيع. وكان المصلون يتسابقون إلى الصلاة. وقد زرنا نادي الكتلة الوطنية، ووجدنا الأستاذ جميل البارودي في ذلك النادي ومعه مجموعة من أصحابه ومريديه. وقد استقبلونا بحفاوة بالغة، وتبارى الخطباء منهم فحيونا وحيوا اليمن بأجمل عبارات الود، وعبروا عن مشاعرهم القومية، وذكروا اليمن تاريخا وادبا وعروبة. وأذكر أن الرئيس محي الدين رد عليهم بكلمة رقيقة، وذكرهم بأن لليمن والشام وشيجة لا تنفصم مدى الدهر. وقد شربنا معهم الشاهي، وأكلنا من طعامهم أجوده. وقد أسمعنا المجتمعون في النادي نشيدهم القومي الذي جاء في مطلعه:

بــلاد العـــرب أوطـــاني | مـــن الشـــام لبغـــدان
ومـــن نجـــد إلى يمـــن | إلى مصـــر فتطـــوان
فـــلا أحـــد يباعدنـــا | ولا ديـــن يفرقنـــا
لســـان الضـــاد يجمعنـــا | بغســـان وعدنـــان
لنـــا مدنيـــة ســـلفت | ســـنحييها وأن دثـــرت
ولـــو في وجـــهنا وقفـــت | طغـــاة الأنـــس والجـــان

وبعد ذلك اللقاء الأخوي الحميم رافقنا أحد أعضاء النادي؛ وقـد اقـترح علينا أن نزور بعض أحياء دمشق وأسواقها، وأعجبنا بنشاط المواطنين وسلوكهم. وفي اليوم التالي وبعد أن نشرت بعض صحف دمشق خبر وصولنا إلى العاصمـة، واحتفاء الكتلة الوطنية عند زيارتنا لناديهم، وعندما عدنا إلى الفنـدق ودخلنـا غرف النوم فوجئنا بأصوات تقلد كلام أهل اليمن ولهجتهم، وأصغينـا السـمع والأصوات تقترب من حجرتنا وإذا هم ينادوننا أين (عيـال قرابـه)[1] بالنـبرة الصنعانية التي كنا قد تناسيناها. وخرجنا لاستقبالهم في بهو الفندق، وإذا هم ثلاثة من صنعاء وذمار؛ وما كادوا يروننا حتى تسابقوا لمصافحتنا ومعانقتنا في شـوق ولهفة وكأنهم رأوا أبناءهم. وقدموا أنفسهم إلينا فواحد لا زلت أتذكر اسمه هـو الحاج عبدالله الملصي من ذمار الذي حملني رسالة إلى ابن أخيـه أو أختـه هـو عبدالرحمن قطران من ذمار والذي تسلم الرسالة ونحن في صنعاء، وصار يراسـل عمه ويتلقى منه الرسائل والعون المادي، كما أخبرني الأستاذ عبدالرحمن قطـران. وقد دعانا الأخ عبدالله الملصي للغداء في بيته في دمشق القديمة، وكان معنا أستاذ من اللاذقية كانت له صلة بالحاج عبدالله. وكان البيت بتقسيمه وتصميمه كـأحد بيوت صنعاء إلا أنه دور واحد. وعندما مدت المائدة فوجئنا بالأكل الصنعـاني:

(1) هذه العبارة كنا نسمعها في صنعاء ينادي بها أبناء المدارس الصغار تندرا.

السبايا، وبنت الصحن، والشركة الغنمي، والحلبة المفلفة. وأكلنا بشهية مفرطة لأننا حرمنا من هذه الأكلة طيلة سنتين. وهنا استعمل الأخ اللاذقي الملعقة لتناول الحلبة وكأنه ظن بأنها حلوى أو سلطة، ولم يفطن بأنها الحلبة التي لا تخلوا عن أي مائدة صنعانية. وقد ألمه طعم الفلفل لأنه حار، وكانت نكتة ضحكنا لها. وأذكر من بين الطرائف والمواقف المحرجة التي حدثت لنا أثناء إقامتنا القصيرة في دمشق أن فنانا فلسطينيا[1] زارنا في فندق قصر الأندلس وطلب مقابلة الأستاذ محي الدين الذي كان خارج الفندق، واسمه نوح إبراهيم، وهو صاحب النشيد الشعبي الذي سجل في أسطوانات وانتشر في أكثر البلدان العربية والذي جاء فيه: ما معنا إلا الله وأنتم يا ملوك المسلمين الخ. وقد استقبلناه بحفاوة بالغة وود جميم، لأننا قد عرفنا نكبة فلسطين، كما اشتركنا ببغداد في المظاهرات المتكررة التي تنادي بتحرير فلسطين، وتدين الإنكليز الذين تسببوا في تشجيع اليهود وتزويدهم بالسلاح لقتل الفلسطينيين. وقد وقعت أثناء حوارنا مع الأستاذ الفلسطيني الفنان نكتة رأيت أن أسجلها لطرافتها. فقد قدمنا الأخ الزميل محمد بن محمد عامر كنائب لرئيس البعثة ليتحاور مع الفنان. وقد استبد بزميلنا الحماس وحول حواره إلى خطاب حماسي ولكنه كان يكثر من استعمال كلمة (يعني). ولما انتهى من كلامه وودعنا الفنان الفلسطيني بدأنا نتندر على زميلنا وقلنا بأنه لم يتمكن من أن ينطق كلمة (فلسطين) فقسمها إلى مقطعين، فقال: أن فلس يعني طين لا يمكن أن نتجاهل يعني محنتها لأنها يعني محنة العرب جميعا. وروينا المقابلة مع النكتة على الأستاذ محي الدين الذي ضحك كثيرا. كما اذكر من بين المواقف المحرجة أن الأستاذ محي الدين اقترح علينا أن نزور شخصية عراقية وهو الشيخ عجيل الياور، من مشائخ قبيلة شمر العراقية وقد نزل في فندق فخم، وعندما قابلناه رحب بنا ودعا أحد خدم الفندق وأوعز إليه أن يقدم لنا

(1) اسمه (نوح إبراهيم) وكان يلبس البدلة وعلى رأسه الكوفية والعقال

عصير البرتقال في أكواب كبيرة تروي الضمآن، وكان مع كل كوب عود يشبه قصب سنبلة الحنطة، ولم ندر لماذا هذا العود المثقوب؛ ولم نفطن إلى أنه وسيلة لشرب العصير، فاحترنا في استعماله؛ فالبعض ظنه بدلا عن الملعقة فصار يحرك به الشراب، والبعض الآخر احتفظ به في جيبه لكي يتعرف عليه بعد مغادرتنا للفندق. وهكذا شربنا العصير من الكوب مباشرة دون استعمال القصب. ومضت الأيام ولم نكتشف سر ذلك الانبوب حتى رأيناه اليوم في الفنادق، وفي معلبات العصير يستعمل في مص العصير وقاية للناس من الأمراض المعدية. وقد بهرتنا دمشق. وصعدنا حي المهاجرين وشاهدنا دمشق من مكان مرتفع، فكانت في نظرنا كما قال الشاعر احمد شوقي:

أمنت بالله واستثنيت جنته دمشق روح وجنات وريحان
قال الرفاق وقد هبت خمائلها الأرض دار لها الفيحاء بستان

وقد تيسرت لي زيارة دمشق عندما كنت سفيرا ببغداد، ومررت بها مع أسرتي في طريقنا إلى مصر عام 1974م، وكذلك عندما زارها الفريق حسن العمري رحمه الله عام 1968م وهو يومئذ رئيس مجلس الوزراء على رأس وفد ضم وزير الخارجية د. حسن مكي، ووزير الداخلية عبدالله حسين بركات، وأنا، وكنت يومها وزيرا للإعلام. ولا أدري كيف هي اليوم بعد مرور ستة وعشرين عاما.

في بيروت بجيوب شحاذين وقلوب ثائرين

غادرنا في اليوم الثالث دمشق على سيارتي أجرة واتجهنا إلى بيروت. وكنا نشعر بسعادة مشوبة بالقلق، إذ كنا نمر بأقطار تطورت في كثير من مظاهر الحياة، ونقارن بينها وبين الوطن العزيز وما ينتظرنا عندما نعود إليه من تخلف وجمود.

ومع هذا فلم نكن متشائمين، وآمالنا كانت كبيرة، وطموحاتنا بلا حدود. وكنا نتحدث فيما بيننا كيف سنشارك في رفع مستوى شعبنا ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا، وكيف نشجع الإعلام بحيث يصل صوت اليمن إلى العالم فيخترق العزلة الكئيبة التي فرضت عليه فصار الناس في الخارج لا يعرفون عنه شيئا حتى أننا سمعنا بعض معلمينا في بغداد يسألوننا عن الإمام وكيف يدير الحكم بنفسه، وأنه يشبه شيخ عشيرة فيخرج للصلاة في يوم الجمعة أو للتمشية على عربية تجرها الخيول وأمامه ثلة من الجنود يرقصون على دقات الطبول، وهذا ما كان ينشر عن الإمام من قبل من يزورون اليمن بصورة رسمية. ولقد كتب في هذا الصدد المرحوم أمين الريحاني عندما زار اليمن سنة 1928م، وكذلك نزيه مؤيد العظم عند زيارته لليمن، وقد ذكر في رحلته أنه أجرى حوارا مع الإمام يحيى سنة 1950م ونشر ذلك في كتاب سماه رحلة إلى اليمن السعيد أو هكذا. كما نشر المستشرق هانز هولفريتز كتابا عن اليمن بعنوان (اليمن من الباب الخلفي) قام بترجمته إلى العربية خيري حماد، وكان هذا المستشرق قد زار اليمن مرتين الأولى سنة 1929 والثانية سنة 1930م. وقد جاء في مقدمة كتابه المذكور: ما زالت هذه البلاد التي يتناولها كتابي بالحديث أكثر زوايا العالم جهلا لدى الناس في سائر أنحاء المعمورة الخ.. أما الرحالة أمين الريحاني فقد ذكر اليمن بعد زيارته لها سنة 1929م في كتابه (ملوك العرب)، وأشار إلى الإمام يحيى وتزمته وعزله اليمن عن سائر الأقطار، وأسهب في حديثه عن اليمن.

هكذا كانت الحكايات عن اليمن في الخارج تنقل عن الذين زاروها من الرحالة العرب والمستشرقين. وأذكر بهذا الصدد أن الإمام يحيى كان يمنع كل من يحاول أن يأخذ له صورة فوتوغرافية[1]. ومع ذلك فقد تمكن من رسمه أحد أبناء اليمن هو المرحوم علي الجناتي الذي استحضر صورته في ذهنه وقارب الحقيقة،

---

(1) قيل إن الإمام يحيى سأل بعض حاشيته، وكان بينهم القاضي محمد الحجري رحمه الله، ماذا يريدون من صورتي؟ فرد الحجري على سؤال الإمام قائلا: لأجل ينظروا على ما احنا صابرين. والقاضي محمد الحجري أديب ومفكر ومؤرخ له مواقف وطنية وسياسية وهو صاحب نكتة مرحة ذات مغزى.

ولكن هذه الصورة لم تنتشر كثيرا. ووصلنا إلى بيروت في يوم من أيام الصيف لا أذكر تاريخه بالضبط. ولم تعد في حوزتنا أوراق السفر التي كانت معنا بمثابة الجوازات، ولو بقي شيء منها لتحدد يوم وصولنا إلى بيروت. ونزلنا في أحد الفنادق المتواضعة. وأذكر بالمناسبة أننا مررنا من دمشق إلى بيروت بطريق ممهدة كانت تشاهد من جوانبها المزارع الخضراء، والأشجار الباسقة. وقد زاد من إعجابنا ببيروت أنها تفوق بغداد؛ وأدهشتنا مبانيها المنسقة، وعماراتها الشاهقة، ومعارضها الجميلة، وتكوينها الجغرافي حيث تطل على البحر الذي يغسلها بأمواجه ونداه صبحا ومساء. وقد قضينا فيها يومين طفنا خلالها ببعض أسواقها بجيوب شحاذين، وقلوب ثائرين. وفيها حدثت لنا حادثة مضحكة مبكية، حيث دخلنا أحد المطاعم لتناول وجبة الغداء هربا من الفندق الذي يتقاضى عن وجبة الغداء مبلغا لا تحتمله ميزانية سفرنا الهزيلة، وهذا المطعم لا يقدم لزبائنه غير المشويات من أسماك ولحوم. وهنا نصحنا الأستاذ محي الدين بأن نطلب طلبا موحدا فطلبنا كلنا سمكا مشويا. وقد شذ أحدنا فطلب كبابا وثمنه أعلى من طبق السمك. وبعد أن تناولنا غداءنا وعلم محي الدين بطلب زميلنا الذي اختار الكباب والذي كلفه أكثر من قيمة طبق السمك، التفت إلى زميلنا وكنا قد غادرنا المطعم وعاتبه ولامه وقال له: لماذا خالفت الإجماع؟ فرد عليه قائلا: لأنني لا أحب السمك؛ فقد أكلناه في بغداد أصنافا متنوعة. وجاءت مفاجأته الثانية والمخالفة الكبرى عندما تخلف أحد زملائنا في الفندق بدعوى أنه مصاب بمغص في معدته، وصادف أن سأله أحد العاملين في الفندق حينما حان وقت الغداء: اتأمر بأن نحضر لك الغداء؟ فرد المريض: نعم. وتغيب العامل ليحضر مائدة بيروتية فيها المتبل والمفلفل والمعسل والمشوي وغير ذلك، مما كلف محي الدين مثل قيمة ما تناولناه جميعا. وجاءت هذه المخالفة لتغطي على مخالفة زميلنا الذي طلب الكباب في المطعم الشعبي؛ وكان يضحك متشفيا شامتا مرددا هذه العبارة: لقد أنتقم لي زميلي عما لحقني من لوم وتقريع!

مرورنا بفلسطين ومصر

وهكذا غادرنا بيروت الجميلة متوجهين إلى فلسطين، وكانت رحلة ممتعة ومصحوبة بحذر لأننا جئنا بعد معارك ضاريه بين عرب فلسطين وبين اليهود الذين كانوا يتسللون مزودين بالأسلحة وتحميهم بريطانيا الظالمة. كما كنا نخشى أن تتجدد المعارك. وكتبت لنا السلامة، إذ زرنا المسجد الأقصى، وقبة الصخرة، والتقينا بالمجاهد الكبير الشيخ أمين الحسيني رحمه الله بعد أن صلينا المغرب والعشاء في الجامع. وقد استقبلنا بمكتبة في المسجد ورحب بنا كثيرا، وقال للأستاذ محي الدين إنها فرصة طيبة لكي تنقلوا للإمام يحيى ما نعانيه من غدر اليهود ومن مكرهم، ومن خبث الاستعمار ودعمه للغزو الصهيوني. ثم أهدانا ساعات قبلها الأستاذ محي الدين على مضض، إذ قال للشيخ امين الحسيني: أنتم احوج إلى كل فلس لدعم نضالكم، فكيف نبيح لأنفسنا أن نتسلم هذه الهدية المكلفة؟ فرد عليه الشيخ أمين الحسيني إنها لا تكلف كثيرا، فمواطنونا من التجار الموسرين لا يبخلون بمثل هذه الذكرى؛ بل أنهم ليجودون بدمائهم وأرواحهم في سبيل صد الغزو الصهيوني، ومناجزة الاستعمار البريطاني الظالم. وكان الشيخ امين الحسيني لابسا جبته الجميلة، وعمامته المتميزة التي كانت تزيده جلالا ووقارا.

و كان سماحته قد زار اليمن والتقى بالإمام يحيى عندما كان ضمن بعثة المصالحة بين الإمام يحيى والملك عبدالعزيز آل سعود، حيث كانت قد نشبت حرب ضاربة تدخل لايقافها زعماء من سوريا وفلسطين. وكان الإمام يحيى يعلم يقينا بأنه سيخسر الحرب لأنه بخيل ومكروه من الشعب لبخله وجموده وقسوته. ولهذا استجاب للصلح بعد أن كان نجله سيف الإسلام احمد الذي تولى الخلافة عقب مصرعه قد توغل في الأراضي السعودية مما هدد معسكر الأمير سعود بن عبدالعزيز الذي كان يقود الجيش السعودي.وقد أمر نجله السيف احمد بالتراجع وكانت معاهدة الطائف المشهورة التي بموجبها سلم الإمام يحيى الأمراء الأدارسة الذين كانوا ينازعون ابن سعود منطقة جنوب السعودية، سلمهم للملك بن سعود وكانوا قد لجأوا إلى صنعاء. هذا وقد حمل الشيخ أمين الحسيني أستاذنا محي الدين رسالة شفوية إلى الإمام يحيى تتضمن شكوى بالإنكليز الذين يشجعون الهجرة اليهودية، ويعطون السلاح للصهاينة لقتال عرب فلسطين، لعل الإمام يعرض ذلك أو يصارح بريطانيا بأنه يعارض سياستها المنحازة للصهيونية. وقد ودعنا ذلك الرجل المجاهد ودعونا له ولشعب فلسطين بالنصر وتحقيق الاستقلال. وقد تمكنا من زيارة تل أبيب، وشاهدنا اللافتات في تلك المدينة على الدكاكين والشوارع مكتوبة باللغة العبرية والإنكليزية، وعدنا إلى يافا لنستقل القطار المتوجه إلى السويس.

ركبنا القطار درجة ثانية أو ثالثة، وجلسنا على مقاعد خشبية ولم نتناول أي شيء فيه لأن الخدمة في تلك الدرجة منعدمة. واستسلمنا لحركة القطار الذي كان يتوقف في بعض المحطات داخل مصر لينزل ركاب ويصعد آخرون. ولم نستنكر ركوب القطار، فقد ركبنا مثله من البصرة إلى بغداد في أول مجيئنا إلى بغداد. ولم نكن نحمل ما نتسلى به من صحف أو مجلات أو كتب، لأن الكتب

التي اصطحبناها كانت داخل الشنط. ولهذا بدأنا نشعر بالملل والسأم، فحاول بعضنا أن يسلم نفسه للنوم، والبعض الآخر يتحدث إلى صاحبه أو يتذكر ما مر به أيام الدراسة. كما أن القطار خال كما قلت من أية خدمات كتقديم الشاهي بالقيمة أو أية مرطبات. وتحملنا لحظات الضجر والرتابة، وقام بعضنا بحركات من قبيل المزاح تخلصا من الملل كانت تضحك وتزعج أحيانا ولكنها خففت من الضيق والسأم. وفي هذه الأثناء سمعنا صفير القطار دليلا على أنه قد وصل إلى محطة السويس، وشعرنا بالنشوة والنشاط. وكان الجو حارا ولكنه مقبول. وبدأ المسافرون يغادرون القطار بعد أن توقف. ولحقنا بهم فنزلنا معهم، ولا أذكر بأن جهة رسمية اعترضت طريقنا، أو أن شخصا مسئولا أوقفنا ليسألنا. ويظهر أنه قد اكتفي بما لا حظه شرطة الحدود عندما دخلنا حدود مصر. وهنا صاحبنا مواطن مصري وعرض خدماته على رئيسنا محي الدين الذي كلفه بأن يختار لنا نزلا يناسب ميزانية السفر. فرافقنا إلى شارع مكتظ بالناس، ووقف بنا عند لوكندة عليها لافتة باسم اللوكندة الكمالية، واتفق مع صاحبها على الأجرة لمدة أسبوع وخصصت لنا أربع غرف أو خمس والسادسة للأستاذ محي الدين. وتفرقنا كل شخصين في غرفة؛ واخترت أنا والزميل عبدالله السلال غرفة لأننا كنا متلازمين ومتفقين في الطباع، كما نحب النكتة والتندر دون إسراف أو إسفاف. وكان زميلنا محمد مصلح الريدي ثالثنا في الانسجام والتفاهم، وكان محور قفشاتنا وكان لطيف المعشر، كريم الطبع، متسامحا لا يحقد ولا يكره، وإذا شعر بالإساءة يقابلها باللطف والتحمل. وفي هذه اللوكندة تعرفنا على شخصية يمنية هو الفريق حسين الجنداري الذي عاش في تركيا مدة طويلة وخدم في الجيش التركي كما ظهر من كلامه ورتبته العسكرية. وقد استأنسنا به وعرفنا منه أنه قد اشتاق إلى وطنه الأول، وانه فضل أن ينزل حيث نزلنا، وكان أحرى بمثله أن

ينـــزل في فندق مناسب لرتبته. وقد اجتمعنا به في صنعاء حيث عين في الجيـــش المظفر برتبة عالية وبمعاش مناسب.

وبعد أن مكثنا يومين تقريبا في الســـويس وفي اللوكنـــدة المتواضعـــة، رأى الأستاذ محي الدين أن نزور القاهرة لنشاهد آثارها العظيمة، ونلتقي بمن فيها مـــن اليمنيين الذين يدرسون في الأزهر، وكان رأيا سديدا وموفقا. وقد رحب أكثرنـــا بالفكرة ولكن البعض منا عارضوا زيـــارة القـــاهرة إلا إذا دخلناهـــا بملابســـنا العسكرية بالرتب التي منحتها لنا الكلية الحربية، لأن ملابســـنا المدنيـــة كـــانت بسيطة جدا لا تكسبنا مظهرا محترما؛ ولكن الأستاذ محي الدين لم يوافق على ذلك لأننا لسنا وفدا رسميا. وهكذا تأخر بعضنا في السويس وتوجه الآخـــرون برفقـــة الرئيس محي الدين إلى القاهرة، وكانت فرصة سانحة تأسف على فواتها بعضنا، ولم تهدأ عاطفة الأستاذ محي الدين فأرسل لنا سيارة من القاهرة لمحاولة أخيرة ولكـــن لم نستجب لمحاولته، مع أنه ألح علينا وقال إننا كزوار عاديين ولا يحق لنا أن نظـــهر في مصر بالملابس العسكرية. وأكد بأنها فرصة لن تتكرر واننا سنندم إذا أصررنـــا على العناد. وهكذا بقي البعض في السويس يجتر أسفه ويعتب على من وافقـــوا على صحبة رئيس البعثة. وكان الأخ عبدالله السلال ممن تأخروا وقد شعر بـــأن فرصة ثمينة ستفوت علينا،ولهذا أقترح بأن نوافق على سفره إلى القاهرة عندمـــا أرسل محي الدين سيارة للمرة الثانية يعرض علينا أن نلحق به وبمن رافقـــه مـــن الزملاء. وقال عبدالله السلال يجب أن ألحق بالأخوة لأرى ماذا يدبـــر ضدنـــا، وماذا يفكر به إخواننا الذين رافقوا الرئيس. وكانت منه حيلة ذكية، إذ وافقنـــا على سفره ليرجع لنا بالخبر اليقين. وهكذا التحق بالأكثرية، ونعم بزيارة القـــاهرة ورؤية النيل والأزهر وبقية المعالم البارزة في تلك العاصمة الكبيرة، مثل حديقـــة الحيوانات، والأهرامات، والأماكن الأخرى المشهورة. وعندمـــا عـــاد الرئيـــس ومرافقوه التقينا بالزميل عبدالله السلال ووجهنا له عتابا مرا، وقلنا له إنك لم تـــف بالوعد، فرد معتذرا بأنه لم يستطع إقناع الرئيس باســـتئجار ســـيارة لتعيـــده إلى

السويس. وهنا جاء دور الرئيس محي الدين الذي وجه إلينا عدة أسئلة كتابة وطلب منا الإجابة عليها وكأنها إدانة لتمردنا عليه ومنها هذا السؤال:

من الذي فكر وحرض على عدم المجيء مع الزملاء الذين استجابوا لفكرة زيارة القاهرة؟

وقد أجاب على السؤال أحد زملائنا وكان قوي البنية ضعيف التفكير، ولم يكن جوابه ذا تأثير..

باخرة لحمل الحيوانات تنقلنا إلى جيبوتي

وبعد مرور خمسة أيام على مرورنا بمصر تمكن الأستاذ محي الدين من أن يحجز لنا على باخرة فرنسية متجهة إلى جيبوتي، وكانت من البواخر التي تحمل خيل السباق وغيرها من الحيوانات؛ ولم يكن فيها عنابر للركاب، بل كانت هناك سرر معلقة بعضها فوق بعض تحت سطح الباخرة. وقد حشرنا في تلك العنابر الكريهة وسكناها مرغمين، وعندما سألنا الأستاذ محي الدين عن هذا التصرف قال إن ما في جيبه من مصاريف السفر لا يكاد يكفي إلا إذا تحملنا المشاق. وهكذا انطلقت بنا الباخرة وكان الصيف حارا، والجو داخل العنابر لا يطاق وليس فيه مكيفات تلطف الجو. لهذا كنا نخرج منها إلى سطح الباخرة لنتعرض لنسيم البحر؛ ولكن طاقم السفينة لا يسمحون لنا بالبقاء على السطح، وكانوا يرغموننا على العودة إلى تلك العنابر الخانقة؛ وقد نعاندهم أحيانا فيبدون غضبهم ضدنا، ويتجمعون محلقين حولنا.

وكان من بين عمال السفينة بعض اليمنيين الذين عرفونا، والذين طالما توسلوا لدى رئيسهم بأن يسمح لنا ببضع ساعات نستنشق خلالها هواء البحر ثم نعود إلى تلك الغرف الشبيهة بالزنزانات. وكانت رحلة شاقة ومرهقة تعرضنا خلالها للهوان والتعب. وكنا نتساءل لماذا يبخل علينا الإمام بالمصروف المناسب

لنعود مكرمين غير مهانين، مع أنه لم يصرف علينا ونحن في العراق غـــير دراهـم معدودة لا تسمن ولا تغني من جوع؟

ووصلنا إلى ميناء جيبوتي في حالة مؤلمة، ونزلنا إلى الأرض لنستقبل وضعـــا مزريا بعد أن تمكن الأستاذ محي الدين من إقناع السلطات الفرنســـية بدخولنـــا المدينة مع أننا لم نكن نحمل تأشيرة دخول. وقد نزلنا في بيت من الكرتـــون وورق الصحف، وهو أرخص منـــزل ممكن أن نأوي إليه، وكاد يحترق لولا عنايـــة الله، إذ أن أحدنا أشعل عود ثقاب ليتلف ورقة لا ضرورة لها، ولم يكن يدري بأننـــا في غرفة قابلة للاشتعال. وكان بعض المهاجرين اليمنيين قد سمعوا بوصول بعثة يمنيـــة قادمة من العراق في طريقها إلى اليمن فهرعوا إلينا مرحبين، وكان معـــــهم أولاد أحد اليمنيين العصاميين من أبناء الحاج صالح قفوع رحمه الله فدعونا للنـــــزول في مسكنهم الجميل المؤثث بالثمين من الأثاث، واستضافونا لمدة ليلة أكلنـــــا فيـــها طعاما لذيذا، واغتسلنا بالماء النظيف، وشعرنا بأننا في بيوتنا. ولم يضيع الأســـــتاذ محي الدين الوقت، بل استعان بأولاد الحاج صالح قفوع واستأجروا لنا مكانـــا في باخرة إيطالية متجهة إلى عدن.

وفي صباح اليوم الثاني ودعنا ذلك الرجل الكريم الحـــاج صـــالح وأولاده، وشكرناهم بكل عبارات الثناء والتقدير، وحفظنا لهم كرمهم إلى يومنـــــا هـــذا؛ وسنذكر ذلك ما سمحت لنا به الظروف. ولا زلنا نذكر أولئك الأوفياء من أبنـــاء اليمن الذين غمرونا عبر أسفارنا بلطفهم وعطفهم وحسن استقبالهم لنا. ورحـــم الله ذلك الشيخ الفاضل الحاج صالح قفوع، وأرجوا لمن بقي من أولاده وأحفـــاده أن يتمتعوا بالصحة والعافية وحسن الحال. وقد قيل:

وإنما المرء حديث بعده ... فكن حديثا حسنا لمن روى

وقبل أن نصعد إلى الباخرة التي ستقلنا إلى عدن التف حولنا بعض المهاجرين من أبناء اليمن، وكان معهم أحد كبار التجار منهم هو فلان الظاهري من رداع كما أظن. وأثناء توديعه لنا قال للأستاذ محي الدين: أرجو أن تلفت نظر الإمام يحيى أن أبناء اليمن في جيبوتي وفي المهاجر الأخرى يتعرضون لصنوف الإذلال، وقد يقتل أحدهم أو يموت، ولا قدرة لنا على مطالبة الحكومة بحقوقهم لأننا لسنا مفوضين، والمفروض أن يكون لحكومة الإمام من يمثلها لدى حكومة جيبوتي لحمايتهم، أو المطالبة بحقوق اليمنيين المهاجرين والدفاع عنهم حينما يتعرضون لمشاكل ومضايقات. وقد عرض الأخ الظاهري نفسه ممثلا لحكومة اليمن بدون أجر ولا مرتب ويكتفي بالاسم الرسمي، ولا أدري هل وجد الأستاذ محي الدين مجالا ليحدث الإمام يحيى بما رأى وسمع من الحاج أمين الحسيني رحمه الله، ومن وجهاء اليمن الذين قابلهم أثناء السفر. وأعتقد أن الإمام يحيى قد هدده وأخافه مما جعله يفر إلى العراق ناجيا بنفسه من خطر كان الإمام يبيته له. وبقي في العراق إلى أن عاد مع البعثة العسكرية العراقية[1] أواخر سنة 1939م إلى اليمن؛ واشتغل مفتشا لوزارة المعارف، وكان له شأن في الحركة الوطنية. وقد التقى بإخوانه من أفراد البعثة اليمنية التي عادت أوائل الحرب العالمية الثانية وعلى رأسهم الأخ المناضل المصلح احمد حسن الحورش الذي اشتغل بالتدريس في أول مدرسة ثانوية، والذي نسق بعد ذلك عمله مع الأستاذ محي الدين العنسي، كما شكل حلقة للقراءة في مسجد المدرسة شرقي صنعاء؛ وكان يقرأ على الحاضرين كتاب (محمد المثل الكامل) [2] وقد

---

(1) سيأتي الحديث عن البعثة العسكرية العراقية إلى اليمن ودورها في تدريب الجيش اليمني في سياق لاحق من هذا الفصل.

(2) كان الأستاذ الشهيد الحورش مثل صاحب طبائع الاستبداد عبدالرحمن الكواكبي يدعو إلى الإصلاح بترو وتعقل وكان له تأثير على من يجالسهم.

أعجب به المواطنون الذين كانوا يجلسون إليه، وقد تعرض للسجن سنة 1941 مع زميله الأستاذ محي الدين.

وبعد خروجه من السجن مع الأستاذ محي الدين قررا الخروج من اليمن إلى مصر والتحقا بالمعارضة اليمنية في القاهرة، وبقيا إلى قيام ثورة 1948م، حيث عادا إلى اليمن مع زميل لهم هو الأستاذ محمد صالح المسمري، حيث التحقا بحكومة الثورة وعملا من أجل الحفاظ عليها إلى أن هجم القبائل الجهال على صنعاء حينما أباحها لهم الإمام الطاغية احمد حميد الدين، ووقعا من جملة من وقع في أيدي الجلادين. وقد أعدما مع الأستاذ المسمري في شهر شعبان 1367هـ-1948م.

مواقف وخواطر في الطريق إلى صنعاء

أبحرت بنا الباخرة الإيطالية إلى عدن وكان طاقمها يبدوي نحونا مودة مبطنة، ويقولون لنا إن الدوشي موسليني صديق للإمام، وإن الإيطاليين أصدقاء اليمن[1]، وكانوا يومئذ قد احتلوا أثيوبيا وباتوا يتطلعون إلى اليمن ولا سيما بلب المندب. وكنا نجاملهم ونخفي عنهم توجسنا منهم. وهكذا وصلت بنا الباخرة إلى ميناء عدن بعد أن قطعت المسافة من جيبوتي إلى عدن في ظرف أربع وعشرين ساعة.وذات صباح رأينا ميناء عدن؛ وأول ماظهر فيها جبالها ثم المنارات. وشممنا رائحة الوطن. وغادرنا الباخرة ليستقبلنا الإخوة والأصدقاء سواء من فتحوا لهم مكاتب تجارية في عدن، أو ممن هم أصلا من عدن وقد سبق وأن تعرفنا على بعضهم أثناء مرورنا إلى العراق وسعدنا بلقائهم.ومكثنا يومين في عدن تجولنا في

(1) كان الإمام يحيى يعتمد على الطليان، فالأطباء وعددهم محدود من إيطاليا، والمهندسون، الذين افتتحوا ورشة لإصلاح البنادق وتعبئة الرصاص التي قد فرغت من البارود بعد أن أطلقها المسلحون وتسمى المعابر المعوض، ايطاليون. وكان الإمام أيضا بصداقته مع الطليان يوجد توازنا بالنسبة لوجود الإنجليز في عدن.

أسواقها.وهيأت لنا الإدارة البريطانية فرصة لزيارة الرهائن الذين اتخذت منهم السلطة الاستعمارية ضمانا لولاء آبائهم المشايخ؛ وكانوا في أماكن نظيفة، ويتلقون دروسا باللغة الإنكليزية، ولا يسمح لهم بمغادرة أماكنهم لئلا يتصلوا بالعرب فيفسدوا ما قد تمكن الاستعمار من غرسه في عقولهم ونفوسهم. وقد لفت انتباهنا صور آباء الطلبة المعلقة فوق أسرتهم وهم في ثياب رثه وتلوح على وجوههم الفاقة والبؤس، وكأن الإدارة البريطانية تذكرهم بسوء أحوال أهلهم ليقارنوها بما هم فيه من عيش نظيف. وقد فهمنا مغزى هذه الصور، ولا سيما عندما كان الضابط البريطاني الذي رافقنا إلى تلك المدرسة أو المعتقل يشرح لنا كيف كان وضع هؤلاء الرهائن في قراهم وبلادهم وكيف يعيشون اليوم تحت الرعاية الصحية والاجتماعية. وكان محي الدين يعلق على كلام هذا الضابط قائلا: إن ما تقومون به نحو هؤلاء الطلبة من تعليم وخدمات هو واجب عليكم ما دمتم تحكمون بلادهم وأهلهم. وقد استأنس الطلبة بزيارتنا، وتحدث إليهم الأستاذ محي الدين العنسي، وحثهم على طلب العلم، ونبههم إلى واجبهم نحو وطنهم اليمن مما امتعض له مرافقنا من الإدارة البريطانية. ثم تجولنا في الأسواق الزاخرة بأنواع السلع والبضائع الإنكليزية واليابانية. ولم نكن نملك من النقود الكافية ما يمكننا من شراء الأشياء التي نرغب فيها والتي نرغب أن نهدي بعضها للأهل والأصدقاء. وقد كان في جيوبنا القليل الذي أدخرناه من آخر مرتب قبضناه في العراق. وقد استهوى أحد الزملاء سرير نوم سفري مصنوع من الخشب والقماش، وعندما حاول أن يجرب النوم فوقه في المنزل الذي سكناه خلال وجودنا في عدن أنشق قماش السرير فوقع زميلنا على الأرض لأنه سمين والقماش قديم كما ظهر، وكان موقفا محرجا لزميلنا ولا سيما عندما رآنا نغرق في الضحك.

هذا وقد اتصل وكيل الإمام في عدن، اتصل بتعز ليخبروا الأمير عبدالله بن علي الوزير بأن البعثة في عدن في انتظار الأمر بنقلها إلى تعز. وعلى سيارة نقل كبيرة ركبنا مع ما نحمل من حقائب الثياب البسيطة. وتحركت السيارة مغادرة عدن، ومضت تخترق الطريق الطويلة. ومررنا بالشيخ عثمان، ولحج، ودار سعد. ولا أذكر بأننا بتنا في محطة في الطريق، بل واصلت السيارة سيرها حتى وصلت بنا إلى تعز حيث كان في استقبالنا بعض موظفي الدولة منتدبين من نائب حاكم تعز المغفور له المناضل عبدالله بن علي الوزير. وقد رحبوا بنا في استلطاف واندهاش. فقد رأونا ونحن في طريقنا إلى العراق في حالة بائسة؛ إذ كنا نمثل البؤس والمسكنة، وعلينا ثياب لا تقارن بملابسنا العسكرية الجديدة وعليها الرتب اللماعة. وكنا أثناء تحركنا من عدن إلى تعز نتساءل في أعماقنا عن المستقبل، ونصرح أيضا في تساؤلنا: لماذا لا توجد طريق معبدة في اليمن؟ ولماذا يقطع المسافر عشرات الكيلو مترات مشيا أو مرافقا لجمل أو حمار؟ وقد أزداد شعورنا بالأسى عندما وصلنا تعز فرأينا أنماطا من البشر وجوههم مصفرة معروقة من الأمراض والجوع، وبطونهم منتفخة ليس من شبع ولكن من أمراض الطحال والاستسقاء. كما عرفنا بأن كثرة الذباب، وتلوث مياه الشرب، وعدم وجود مستشفى يعالج المرضى، كل ذلك من الأسباب المؤثرة والمثيرة لتلك الفواجع. وهكذا بدأنا نشعر بثقل مسئوليتنا التي لا تنحصر في تدريب الجنود على حمل السلاح واستخدامه، بل هناك واجب علينا كبير هو مقاومة الأوضاع التي جعلت من الشعب اليمني أشباحا لا تشعر بالعزة والكرامة، ولا تتطلع إلى العيش الكريم.

وقد نزلنا في تعز في دار المعبا، وهو بيت تحته فناء واسع يستقبل محاصيل القات ليقرر جباة الضرائب على أصحابها ما يجب دفعه للحكومة، ولتباع على تجار التجزئة ويصدر بعضه إلى عدن والمناطق التي ليس فيها (قات). ومكثنا

هنالك قرابة الأسبوع في ضيافة الأمير عبدالله بن علي الوزير[1] ورعايته، وكنا محط إعجاب من في تعز بما نقص عليهم من أخبار العراق والبلاد العربية التي مررنا بها عند عودتنا إلى اليمن. وكان يزورنا من لهم معرفة بنا أو بأهلنا وأكثرهم من أهل صنعاء، ويقضون معنا ساعات طوالا، وأحيانا قد ينتصف الليل ونحن ساهرون نستمع إلى شكوى البعض منهم وما يحدث في الدوائر من مظالم، وما يتحمل المواطن من مغارم ويلاقي من مآس وآلام. وكان الأمير يدعونا لنتناول طعام الغداء على مائدته في قصره على سفح جبل صبر، ونجلس لنتناول غصون القات ونستمع للفنان المرحوم احمد السالمي الذي يطربنا بصوته العذب حين يردد أناشيد وترنيمات. ولم يكن يستعمل العود بل كان يكتفي بالترنم بصوته الجميل، إذ كانت آلات الطرب محظورة وغير مصرح بها.

وقد غادرت البعثة بعد ذلك تعز باتجاه الحديدة. وعند توقفنا في زبيد استقبلنا استقبالا كريما، ومدت لنا مائدة متنوعة الأطعمة فتناولنا طعام الغداء بشهية فائقة. ثم أعد مكان للمقيل حيث التقينا في دار العامل بعدد من وجهاء زبيد. وكان أخي عبدالملك مديرا لمدارس زبيد، وكانت له مكانة في قلوب المواطنين والمسئولين. وقد رافقنا إلى صنعاء مستغلا وجود سيارة تنقلنا إلى الحديدة ثم صنعاء. وعلى مشارف الحديدة رأينا أضواء مصابيح الغاز وكانت تدل على أن أناسا خرجوا من الحديدة لاستقبالنا. وعلى بضعة أمتار من سيارة المستقبلين تعرضت سيارتنا لعائق غير متوقع حيث انغرست عجلاتها في الرمال مما، جعلنا ننزل منها ونحاول دفعها مع المستقبلين الذين خفوا لمعاونتنا، وكان

---

(1) عبدالله بن علي الوزير النجل الأكبر للأمير الشهيد علي عبدالله الوزير. عمل للقضية الوطنية، وقدم لها المال والرجال، وكان المحرك النشط لثورة سنة 1948م. وقد سقطت الثورة خلال غيابه عن اليمن، حيث كان ضمن وفد يمني ذهب إلى السعودية لاستقبال وفد الجامعة العربية، وكتب عليه أن يموت شريدا في الهند مع رفيقه الشهيد محمد محمود الزبيري.

معهم الوجيه طاهر رجب الذي جاء بسيارته الفارهة مع المستقبلين. وقد أبدى ملاحظات ذات مغزى بالنسبة للأوضاع السيئة في اليمن وكان يسوقها على سبيل النكتة. وتحرك ركب البعثة والمستقبلين نحو الحديدة حيث دخلناها في أول الليل. وكان أمير الحديدة السيد عبدالله بن احمد الوزير نائبا عن الإمام[1]. وكان قد أمر بنزولنا في دار الضيافة، وهي عبارة عن مبنى يشبه بيوت الآخرين ومكون من ثلاثة طوابق. ويطل على البحر ويهب عليه نسيم لطيف يخفف حرارة الجو، إذ كان مجيئنا في أول الصيف. ولم تكن في المبنى خزانات للماء الذي يجلب من منطقة تبعد عن الحديدة عدة كيلو مترات. وكان السقاؤن يأتون بقرب الماء ثم يسكبونها في قصاع كبيرة من الفخار. ولم يكن ينزل بدار الضيافة[2] إلا الرسميون من كبار القوم مع أن أثاثها بسيط جدا. فالسرر من الخشب وعليها شباك من الليف المبروم، ومعها فرش من القطن، وكانت تعتبر من الأماكن الفخمة بالنسبة لمن يعيشون في الأعشاش التي تتعرض أحيانا للحريق، ويتشرد ساكنوها. وكان في هذه الدار مطبخ يعد الطعام للنزلاء ويشرف عليه طباخ ماهر لعله تعلم في مطبخ الأتراك أيام الحكم العثماني في اليمن. وكان أخي يتردد علي ليعرف متى سنغادر الحديدة كي يرافق البعثة. وطالما شكى لي حاله مما يلاقي

---

(1) عبدالله بن احمد الوزير إمام ثورة 1948م الذي اشترط عليه الأحرار أن يعمل بالدستور والميثاق الوطني المقدس.

(2) لم يكن في اليمن فنادق لتستقبل الزوار والوفود الرسمية، بل كان في صنعاء وتعز والحديدة بيوت للضيافة ينزل فيها ضيوف الإمام سواء من له صفة رسمية أم من الزوار العاديين وأذكر ان زائرا عراقيا هو ثابت عبدالنور جاء إلى صنعاء زائرا فانزلوه في دار الضيافة وعندما اعتذر بقوله أنا لا احمل صفة رسمية، قيل له ولو أنك ضيف الإمام وسيأتي الحديث عنه في حينه كما كان هناك اماكن تسمى السماسر، وهي بمثابة اللوكندات وينزل فيها المسافرون الواصلون من الأرياف خصوصا. وأذكر أنه سألني أحد الصحفيين- وأنا وزير تربية- هل في اليمن فنادق؟ قلت: ليس لدينا الآن إلا- فنـاء- وقال وهل هناك تلفزيون، قلت مالدينا الآن إلا تلف، لأن هذه الأسئلة في أول الثورة واليمن تنزف مالا ودماء.

من لدغ البعوض، وحرارة الجو، لأنه يقيم في مكان ليس فيه ما يخفف عنه هـــذه المعاناة؛ وقد أراني جسمه وعليه أثار لسع الحشرات المؤذية. وبعد أن قضينا أيامـا في ضيافة الأمير عبدالله الوزير. جاء الأذن من صنعاء بأن نركب سيارة من سـيارات النقل ونتوجه إلى العاصمة. وهكذا توجهنا ذات صباح إلى تلك السيارة ومعنا بعـض المواطنين الذين استغلوا وجودنا ورافقونا إلى صنعاء بدون أن يغرموا أجرة السيارة.

وما هي إلا بضعة كيلو مترات قطعناها من الحديـــدة إلى منطقـــة تســمى المخداشة[1] حتى فوجئنا برمال كثيفة ساخت فيها عجلات السيارة. وكدنا ننـــام في الطريق لولا أن عامل المراوعة بعث ببعض الجنود والأقويـــاء مـــن المواطنـــين فانتشلوا السيارة من بين الرمال وتمكنوا من دفعها إلى الإمام؛ وعاودنـــا الســـفر عليها. ومضينا في طريق محفوف بالمخاطر. ومرت علينا ثلاثة أيام ونحـــن نصعـــد أكمة وننحدر إلى واد، وتتسلق السيارة جبلا وتنـــزل إلى منخفض. وأذكر أننـــا التقينا في طريقنا بعض وجهاء صنعاء[2] واقفين في حالة استرخاء، وقد تعرضـــت سيارتهم لمشكلة جعلتهم ينـــزلون منها إلى مكان يصلح للانتظار حـــتى تأتيـــهم مساعدة ممن لهم الأمر. ولست أراني بحاجة إلى الإسهاب عما لقينا في الطريق مـــن الحديدة إلى صنعاء من مصاعب، وما عانينا من متاعب. لقد كانت السيارة وهـــي تتسلق الجبال تصدر حنينا موحشا، وأنينا مزعجا. وكنا أحيانـــا ننـــزل مـــن السيارة باقتراح من السائق حرصا على حياتنا، لأن السيارة في بعض المنعطفـــات ترجع إلى الوراء وتشرف مؤخرتها على الهاوية. وقد نتسابق لمســـاعدة الســـائق فنحمل الحجارة ونضعها خلف العجلات الأمامية حتى لا تتدحرج الســـيارة إلى الوراء. وقد كان الغيظ يعتصرنا، والألم يمضنا، ونتساءل لماذا تظل اليمن وشـعب

---

(1) أرض رملية تغوص فيها السيارات ولا تمشي إلا بعد أن يحضر من المواطنين من يساعد على دفعها.

(2) كان منهم القاضي محمد عبدالله العمري وكيل وزارت الخارجية

اليمن على هذه الحالة من التخلف؟ وكان شعورنا بالتذمر يتعـــاظم ويـــتراكم، وكانت البداية للتفكير في العمل على التغيير بأية طريقة.

وما كدنا نشرف على صنعاء من جهـــة الغـــرب، وظـــهرت لنـــا مـــآذن مساجدها، وقصورها العالية حتى حمدنا الله على ما كتب لنا من السلامة، فرأينـــا العاصمة التي غادرناها قبل عامين تزدهي بمنظرها الجميل ظاهرا، ولا ندري هـــل تغير باطنها، وأصلحت شوارعها، واختفى التخلف والتأخر منها. فلننتظر! إذ لـــن تمر ساعة حتى نكون قد دخلنا إلى قلبها. ووصلنا قبل صلاة العصر. وقيل لنا بـــأن السيف عبدالله ناظر المعارف قد انتظر وصولنا لكي نتناول طعام الغـــداء معـــه، ولكنه لم يطق الانتظار فغادر الوزارة إلى قصره. وكان قد هيأ لنا طعامـــا لم يـــثر شهيتنا لسوء إعداده. ثم كان الشوق يسيطر على مشاعرنا بحيث لم نعد نفكـــر إلا في لقاء الأهل والأصحاب. استمهلونا ساعات لكي تجيء البغـــال فتحملنـــا إلى بيوتنا ولكنها تأخرت فآثرنا المشي بدافع من الشوق إلى رؤية من ينتظروننـــا في بيوتنا. وكانت الجماهير تراقب سيرنا بدهشة. وكانت الشوارع تبدو خاليـــة إلا من البعض لأن هذا الوقت كان أكثر أهل صنعاء في بيوتهم يتعـــاطون القـــات، ويستريحون حتى يقبل المغرب. وكان أكثر ما يلفت أنظار المارة من النـــاس هـــو الزي الذي جئنا به، ولا سيما غطاء الرأس الذي يشبه غطاء رؤوس الطيارين من الأجانب. وكان العراق قد اتخذه لباسا رسميا لضباط الجيش العراقي وجنـــوده. كذلك أدهش المراقبين مشينا العسكري المنتظم الإيقاع وما يصاحبه من نشـــاط. ووصل كل منا إلى سكنه وافترقنا. ورأيتني أمشي وحيدا في الحارة التي يقع فيـــها منـــزلي وما كدت أصل إلى الباب وأبدأ بقرعه حتى أطلت والدتي من الشـــباك لترى من الطارق، لأنها ووالدي لم يكونا على علم بمجيئـــي في ذلـــك الوقـــت. وقالت لي حينما فتحت الباب وهي تحتضنني وتمطرني بقبلاتها الحارة: لقد جعلتـــني

انزل من سلم المنـــزل قفزا واختصر درجتين فافعلها درجة، ثم قالت ما شـــاء الله ابني صار (افندي)! وكان لقاء دافئا بيني وبين أمي واخوتي، وقدمت لي أمي مـــا كانت قد أعدته من طعام وأكلت منه ما سد جوعي. وقمت بعـــد ذلـــك لأداء صلاة الظهر والعصر، ومن ثم صعدت ووالدي الى المنظر[1] لاستقبال المهنئين مـــن الجيران والأقارب، والذين كانوا يظنون أو يأملون بأنني وأعضاء البعثة قد حملنـــا من العراق التحف والنفائس واللؤلؤ والياقوت والمرجان، ولم يكونوا يعلمون بمـــا قاسينا وعانينا من الحاجة والفاقة. ولولا كرم حكومة العراق لمتنا جوعا. وسمعنـــا نقدا لاذعا على سبيل النكتة. وعذرناهم لأنهم يعيشون في فقر يجعلهم يؤملـــون بأن من غادر اليمن إلى الخارج لقي الكنوز من الذهب والفضة. وكنا نقـــول في أنفسنا ياليتهم يعلمون بأن الذي حملنا لهم من العلم والمعرفة ما يعـــادل الكنـــوز والنفائس. وقضينا يومين في البيوت نستقبل المهنئين، ونتحدث إليهم عما شـــاهدنا في رحلتنا عند العودة، وما شاهدنا عند الذهاب إلى العراق.

مقابلة الإمام وحكاية تصويبنا للبنادق عليه وحاشيته

في اليوم الثالث من وصولنا إلى صنعاء دعانا رئيسنا الأستاذ محـــي الديـــن العنسي إلى منـــزله وقال لنا بأننا سنقابل الإمام يحيى في مقامه. ونصحنـــا بـــأن نتحلى بالهدوء والوقار. ونبهنا إلى أن الإمام قد يفكر في اختبارنـــا أو مســـاءلتنا بحسب عقليته ومزاجه. ولذلك يجب أن نلتزم الحذر في الحركـــة أو الحديـــث. وهكذا تمت المقابلة في مقام الإمام. وقمنا ببعض التمارين العسكرية المحدودة أمـــام الإمام وحاشيته وبينهم السيف عبدالله ابن الإمام وزير المعارف. وقـــد كـــانت

---

(1) المنظر: اسم مكان ويقع عادة في الدور العلي في أي منـــزل، وهو أصغر من المفرج الذي كان يقـــع عادة في حديقة الدار. ويطل المنظر على أفق واسع بحيث يستطيع الجالس فيه رؤية أفق أوســـع. ولا يفتح المنظر إلا في المناسبات السارة كالأعياد، والأعراس، ولقاء الأصحاب.

حركتنا بالسلاح تدعو إلى الدهشة. فقد قمنا بحركات لا عهد للحاضرين بهـا إذ أن التعليم والتدريب كانا يمثلان عهدا مضى وكانا يتمان باللغة التركية في أكـثر المصطلحات العسكرية. وقد حدثت غلطة تدريبيـة أثنـاء أدائنـا للحركـات بالسلاح، إذ تولى قيادتنا الزميل احمد علي الآنسي فأصدر الأمـر الأول قـائلا: استعد، ونفذنا الأمر بسرعة ونشاط وكنا نحمل بنادق من سـلاح (العكفـة)، الحرس الإمامي الخاص الذين قدموا لنا تلك البنادق. وكنا ندق الأرض بأقدامنـا مصحوبة بأعقاب البنادق. وأثناء ذلك أصدر القائد الآنسي أمره إلينـا بالتـهيؤ للرمي فقال لنا: تهيأ، ثم أردف الأمر بقوله: صوب. وكنـا مواجـهين للإمـام وحاشيته فصوبنا البنادق نحو الإمام في خفه وبصورة جديـة، ثم أردف الآنسـي أوامره قائلا: (إرم). وضغطنا على زنادات البنادق وكأننا قـد قمنـا بـالرمي. وكانت هذه الحركة غير لائقة إذ صوبنا البنادق إلى وجه الإمام وحاشيته.

وضغطنا على الزناد. ولو كانت هنالك رصاصة واحدة في إحدى البنـادق لكانت الكارثة الموفقة؛ ولكننا كنا قد فرغنا البنادق قبل الرمـي ثم أعددناهـا للرمي الصوري. وهكذا وبعد تمرين الرماية أعدنا البنـادق إلى فـوق أكتافنـا، وصدر أمر من الآنسي بالتهيؤ للسلام على الإمام بواسطة وضع السلاح عموديـا أمام وجوهنا. وكملت الحركات العسكرية. وكان الأستاذ محي الدين العنسـي قريبا من الإمام بحيث كان يشرح له ما قمنا به أثناء دراستنا في العراق من نشـاط وسلوك حسن. وهنا التفت الإمام يحيى إلى القاضي عبدالله العمري[1] كبير أمنائـه وأسر إليه بكلام لم نفهمه. ثم أشار إلى محي الدين العنسي بأن ننصرف؛ وقد وعده بأن أوامر ستصدر بخصوص مرتباتنا وأوضاعنا في الجيش. وأدينا التحية اللائقـة

---

(1) القاضي عبدالله بن حسين العمري كان يعد ظاهريا بانه رئيس وزراء الإمام مع أنه كان كأحد الكتبة إلا في بعض الأمور. وقد قتل مع الإمام يحيى في ثورة سنة 1948 وهذا ما جعل القاضي حسين الحلالي يحقد على الثورة فتآمر عليها...

للإمام وتوجهنا نحو باب الخروج من المقام. وقد رأينا الإمام ممتعضا ولم يبد أي ملاحظة حولنا، بل كان عابس الوجه كعادته. وقد تركت هذه المقابلة أثرا عميقا في نفوسنا وكأنها صورة لمقابلتنا له يوم غادرنا صنعاء إلى العراق. ويظهر أنه اتخذ الفظاظة والكبرياء مسلكا وخلقا ليوجد في نفوس الآخرين الهيبة والخوف. وقد حفظنا هذا الموقف وما حفظنا من أمثاله في أعماقنا، وكان بداية للتفكير في زحزحة هذا الشخص المتعاظم والذي صار كابوسا على صدر الشعب.

وقد ظهر لاحقا أن الإمام يحيى عندما التفت إلى كبير أمنائه القاضي عبدالله العمري بعد أن أدينا تلك الحركات العسكرية أمامه همس في أذنه بأن ينسق مع أمير الجيش المظفر علي بن إبراهيم بالنسبة لتوزيعنا على قطعات الجيش. كما أمره بأن يجري لنا المرتبات الشهرية كسائر ضباط الجيش مع زيادة بسيطة لنتمكن بها من المحافظة على الملابس الرسمية التي جئنا بها من العراق. كما أمره بأن نغير غطاء الرأس العراقي بغطاء الرأس التركي وهو المصنوع من فراء الأغنام وفي قحفه شريط من الحرير المطعم بخيوط ذهبية؛ وكان ضباط الجيش يلبسونه في المناسبات كزي رسمي. ويومها أحسسنا بأننا أمام مواجهة مع بقايا الضباط الأتراك، ومن درس من رجال اليمن في المعاهد العسكرية في اسطنبول. كما شعرنا بأننا سنلاقي عنتا ومضايقات من أولئك الذين أحسوا بأننا سنحتل مواقعهم في الجيش. ولم يكن يخطر ببالنا أبدا بأننا سنكون خطرا عليهم. وكنا على وعي بنصائح آمر الكلية الحربية في العراق يوم وداعنا الذي حذرنا من التهور والطيش، ونصحنا بأن نتحلى بالأخلاق المرنة، وإقامة علاقات ودية مع من سنعمل معهم.

وعدنا بعد مقابلة الإمام إلى بيوتنا بعد أن ودعنا رئيسنا الأستاذ محي الدين، والذي اقترح علينا بأن نجتمع في بيته مرة ثانية لنناقش مهمتنا في الجيش، وماذا يجب أن نعمله بالنسبة لما نحمل من معرفة وعلوم عسكرية. وحدد لنا موعدا فيما

بعد. وعدنا إلى بيوتنا نستأنف (المجابرة)[1] وملاقاة الأقارب والأصحاب والجيران. وفي اليوم الرابع توجه كل أعضاء البعثة إلى بيت الأستاذ محي الدين الذي اتخذ من منزل شقيقه القاضي احمد بن قاسم[2] العنسي مأوى له حيث لم يكن يملك بيتا، ولم يكن قد تزوج. واستقبلنا محي الدين بترحاب كبير، ولاقانا بابتسامته المعهودة التي لا تفارق وجهه. وجلسنا في غرفته نستمع ملاحظاته. وقال لنا ينبغي أن نتحلى بالصبر والمجاملة لكي نتمكن من تأدية رسالتنا العلمية والوطنية. ومكثنا معه أكثر من ساعة ثم ودعناه شاكرين له رعايته. ولم يصارحنا بما هو عازم عليه إذ لم يكن قد أسند إليه عمل ما في أية دائرة رسمية. وكان يتردد على مقام السيف عبدالله وزير المعارف، ولا شك أنه قدم له تقريرا عن رحلة البعثة إلى بغداد، وعودتها إلى اليمن، وحكى له ما كان يحمل من توصيات رجال العراق وسوريا وفلسطين ومصر، وما يجب على حكومة الإمام من وضع برنامج لتحديث الجيش، وتطوير مناهج التعليم وغير ذلك.

وشاية خبيثة ونقل للعمل في وظيفة مدنية

لم يمض شهر تقريبا على وصولنا حتى سمعنا بأن الأستاذ محي الدين قد اختفى من صنعاء. وانتشرت إشاعة بأنه عاد إلى العراق بصورة شخصية. ولعل ذلك بسبب ما أشيع من أن الإمام غير راض عنه، وأنه طالبه بكشف حساب مصروف

---

(1) المجابرة: مأخوذة من جبر الكسر بمعنى اصلحه، واشتق العوام منه المجابرة وهي المشاركة في الأفراح والأحزان. ويقال: عاد فلان من الحج أو من غيبته الطويلة، ولا بد من مجابرته أي زيارته ومشاركته الاحتفال بسلامة العودة، ومجابرة من مات عليه أب أو ام او اخ او قريب، حيث يصنع الجيران والأقارب طعاما كما فعل الصحابة لآل جعفر، حيث امرهم النبي بذلك، كما يقال عند التعزية لأهل المتوفي، عظم الله أجركم وجبر الله مصابكم.

(2) القاضي احمد بن قاسم العنسي كان عالما واديبا وله مؤلف اختصر به شرح الأزهار وسماه التاج المذهب في احكام المذهب وقد اعتقل مع الأحرار سنة 1948 ثم أطلق.

السفر من العراق إلى صنعاء، إذ أن الإمام لم يعجبه مرور البعثة في بعض الأقطار العربية، وأن محي الدين تصرف تصرفا فيه مجازفة وأنفق مالا في غير محله. وهكذا أصبحنا بلا مشرف يحمل روح الأبوة. وبدأنا ننطلق كل بحسب موقعه من العمل وقد تفرقنا وافترقنا، فمنا من تعين في تعز كمعلم لحرس ولي العهد احمد بن يحيى الذي كان يحكم تعز، ومنا من التحق بالجيش في صنعاء. وكدنا نستقر في مواقعنا لولا أن وشاية خبيثة لدى الإمام تقول بأننا نقوم بتدريب الجنود على الطريقة العراقية التي هي امتداد للطريقة البريطانية الاستعمارية، وأن الأسلحة التي بأيدي الجنود لا تقوى على تحمل اصطدامها بالأرض أثناء التدريب وقد يتعرض بعضها للكسر. وكان الإمام يحيى يخشى أن يتعرض سلاح الجيش لأي خطر من سوء الاستعمال، فاستفزته الإشاعة، فأمر أمير الجيش بأن يفكر في التخلص منا نحن ضباط سلاح الإشارة. وبهذا أصدر أمير الجيش أمره إلى وكيله بأن يرسلنا إلى وزارة المواصلات للعمل بها ما دمنا قد تدربنا على سلاح الإشارة القائم على استعمال أجهزة اللاسلكي والهاتف. وهكذا تم نقلنا إلى وزارة المواصلات والتي يرأسها أحد أنجال الإمام هو السيف القاسم[1] الذي لا هم له إلا الأكل لضخامة جسمه، وصغر عقله، وضآلة معرفته.

ولم نجد منه ترحيبا، ولم يقابلنا بل أوعز إلى مدير إدارة البرق والبريد بأن يحرر أمرا إلى مامور اللاسلكي[2] بأن يسمح لنا بالعمل معه، وكنا خمسة ضباط

---

(1) سيف الإسلام القاسم بن يحيى حميد الدين كان ضخم الجثة بليدا لا يعي ما يقول، وهمه الأكل وقد أصيب بداء السكري وكان سبب موته وكان يسمى ذا الوزارتين: المواصلات، والصحة.

(2) مامور اللاسلكي شخص من اليمن، ولعله تلقى بعض المعلومات التي تمكنه من تشغيل محطة اللاسلكي (طير الهواء)، وكانت آلة الإرسال والاستقبال من صنع إيطاليا، ويتم التخاطب مع المحطات الأخرى بإشارات المورس المعمول بها إلى الآن. وكانت تدار بمحرك يشتغل بالبنزين، ويشغله عسكري ملحق بالمحطة ويستمر العمل في المحطة بضع ساعات في الصباح، وقد تشتغل في أوقات اخرى اضطرارا. وكان مدى قوة هذه المحطة لا يتجاوز خمسمائة كيلو متر أو أكثر قليلا، وكانت تتوسط =

هم: العقيد احمد محمد طاهر والذي كان مثلنا برتبة ملازم ثان، وبقيـــة الزمـــلاء محمد مصلح الريدي، وحسن حسين العمري رحمـــهما الله، والمشـــير الســـلال، وكاتب هذه السطور. وقد استمررنا في العمل لمدة أشهر، ثم جاء أمر بنقلنـــا إلى دائرة البرق والبريد بعد أن حصل بيننا وبين مأمور اللاسلكي مشـــادة وســـوء تفاهم، حيث لم يكن يسمح لنا بمشاركته في العمل والإطلاع على البرقيات الـــتي كانت ترسل من الإمام إلى بعض الدول. وعندما اشتد النـــزاع بيننا صدر الأمـــر من وزير المواصلات بنقلنا إلى دائرة البرق والبريد حيث أمضينا فترة من الوقـــت لم ننسجم مع العمل الروتيني الممل عندما كنا نستلم الرسائل، ونضع عليها طـــابع البريد، ونسجل ما يستحق التسجيل؛ وكذلك كنا نستلم البرقيـــات الداخليـــة ونسجلها، ونستلم أجرها. وكنت والمشير السلال نشارك في التعليم في الثـــلاث المدارس الابتدائية، مدرسة الأيتام، ومدرسة الإصلاح، ومدرسة الإرشاد، ونلقـــن التلاميذ الأناشيد الوطنية والقومية، ونشترك معهم في الرحـــلات الـــتي تتـــم في ضواحي صنعاء، ونحاضرهم حول عظماء التاريخ ولاسيما التـــاريخ الإســـلامي. وكان يشترك معنا الأستاذ احمد مصلح البراق[1] بعد عودته من مرافقة الســـيف الحسين إلى لندن، والتحق بوزارة المعارف معلما ذا نبرة أخـــاذة واجتـــهاد منقطـــع

بمحطة اللاسلكي القائمة في أسمرة التي تدار على أيدي الإيطاليين، واحيانا تتوسط لها محطة اللاسلكي بجدة في السعودية.

(1) احمد مصلح البراق من خريجي مكتب الأيتام 1936 . كان يتردد على بيت المصلح الكبير حسين بن صالح الحبشي، ويشتغل مع أولاده احيانا في البيع والشراء. وكان ذا شخصية جذابة يتمتع بذكـــاء وإدراك نادرين. وكان من جملة من رافقوا السيف الحسين بن الإمام إلى لندن، حيث أنتدبه الإمـــام للمشاركة في الاحتفال بتتويج الملك جورج السادس. وكانت فرصة مواتية للأستاذ البراق حيـــث رأى لندن وعاش لمدة عام تمكن خلالها من تعلم اللغة الإنكليزية نطقا وكتابة، واشتغل بالسياسة نتيجة العمل الوطني. وقد تمكن من إقناع السيف إبراهيم بالالتحاق بالجمعية اليمنية الكبرى، وسمي يومئـــذ بسيف الحق. وقد أعدم عام 1948م مع الأحرار الذين كتبت لهم الشهادة.

النظير؛ وقد تمكن من تدريس اللغة العربية، وألف كراسة في قواعد الهمـــزة، وكنـــا الثلاثة لا نفترق إلا نادرا.

ضيق من الوظيفة واستقالة تقود إلى السجن

سئمنا العمل الرتيب في دائرة البرق والبريد، وضقنا بالوظيفة التي تسببت في تجميد طموحاتنا ونشاطنا. وفكرنا في الاستقالة والاشتغال بعمل حـــر. ونفذنـــا الفكرة بعد أن جاءنا تحذير من مدير البرق والبريد بأننا نعرض أنفســـنا لعقـــاب شديد بسبب أفكارنا التي نصارح بها الآخرين بدون تحفـــظ. وهكـــذا قدمنـــا الاستقالة أنا والأخ عبدالله السلال إلى وزير المواصلات (السيف القاسم) وهـــذه صيغتها:

مولانا سيف الإسلام القاسم ابن أمير المؤمنين حفظه الله.

سلام الله عليكم.

وبعد، فنظرا لعدم جدوى العمل الذي نقوم به، ولأننا لا نستحق عليه مـــا نتقاضاه من معاش، نرجوا إعفاءنا من العمل وقبول اســـتقالتنا. وتقبلـــوا فـــائق التقدير والاحترام.

ووقعناها وقدمناها إلى ذلك الشخص الجاهل اللئيم. وقيل إنه بعد قراءتها عبـــس وزوى بين عينيه امتعاضا وغضبا وقال لأحد جنوده: قل لهم الجواب غدا.

لم نكن ندرك مغبة ما أقدمنا عليه، إذ لم يكن يجرؤ أحـــد علـــى أن يطلـــب الاستقالة من عمله الرسمي مهما كان موقعه، حيث يعتبر خروجا عـــن الطاعـــة والولاء للإمام وبنيه. ولم نكن ندرك ولا نفكر فيما سيتم إجراؤه ضدنا حتى جئنـــا في اليوم التالي أنا والأستاذ البراق. وكان الأخ عبدالله السلال مشغولا في مكتـــب

الأيتام يؤدي الواجب هناك. ولم يدر في خلدنا بأن الأخ البراق سيتعرض معنا لغضب الإمام وولده السيف القاسم، وقد صحبني إلى الوزارة ليطلع على ما سيكون الجواب على الاستقالة. وما كدنا نصل إلى مقر الوزير ننتظر الجواب على الاستقالة حتى تعرض لنا أربعة من حرس الإمام ومعهم أمر باعتقالنا وإيداعنا في سجن القلعة، وهو السجن الكريه الذي لا يستقبل إلا القتلة وقطاع الطرق واللصوص وذوي الجنايات الخطيرة. وعندما أبلغونا بالأمر قلنا بصوت مسموع: نتشرف، ومشينا أمام الجنود متوجهين إلى سجن القلعة، وكان الوقت بعد العصر. وفي الطريق إلى سجن القلعة كنا نلتقي بعض التلاميذ الذين كنا نعلمهم فيندهشون عندما يرون العسكر بسلاحهم من حولنا. وقد طلبنا من بعض من يعرف بيوتنا أن يشعروا أهلنا بما نواجهه، وأن يلحقونا بالدفاء والفراش ومصابيح الغاز. واستقبلنا مدير السجن النقيب علي الحافي، وقرأ أمر السيف القاسم بحبسنا، ووضع قيود الحديد في أرجلنا. وأمر حراس السجن بأن ينفذوا الأمر فمددنا أرجلنا ووضعت عليها القيود. وقابلنا هذا الإجراء الظالم بنفوس ينبض فيها الحماس. ولم تخر عزائمنا. ولم يرهبنا ما نواجهه من وضع غير كريم. وسلقونا إلى المكان الذي سنقضي فيه مدة الحبس المجهولة، ووجدنا مجموعة من المساجين في ذلك المكان الذي ليس له نوافذ، ومساحته لا تتعدى أربعة أمتار في ثلاثة أمتار. وكان يضم عددا من المساجين، من ضمنهم شخص مجنون، وآخر مشعوذ كان يدعي أنه يمتلك مجموعة من الجن حيث اكتشف أمره وعرفوا بأنه دجال لا يعرف القراءة ولا الكتابة، والباقي من الأرياف على قضايا مختلفة. وقد أحدث اعتقالنا ضجة بين المواطنين، كما استفز طلبة المدارس الذين كانوا قد احبونا واعجبوا بما كنا نلقنهم من دروس وأناشيد وطنية وقومية. وقد جاء بعضهم لزيارتنا في اليوم الثاني وحملوا معهم من الطعام والشاي والسكر ما أدهشنا، وتناولوا الطعام معنا واستمروا في لقائهم بنا إلى غروب الشمس حيث أمرهم

أحد حراس السجن بمغادرة السجن. وقد انتقدوا أمر اعتقالنا، وواسونا بأنبل العواطف، وفارقونا على أمل أن نلتقي بهم في وقت آخر؛ وقد قيل بأنهم حاولوا مقابلة الإمام للاحتجاج على اعتقالنا، ولكنهم منعوا. وقيل بأنهم عمدوا إلى آبائهم ولا سيما ممن لهم جاه وسلطة، وطلبوا منهم أن يراجعوا الإمام لإطلاقنا. فقد وجدوا منا تعليما جيدا وبأسلوب غير أسلوب العصا أو (الفلكة)[1]. ويظهر أن بعضهم قام بمراجعة الإمام وأشار إلى تعلق الطلبة بنا. كما أن مدير الحبس كتب تقريرا إلى الإمام حول الطلبة الذين تعاطفوا معنا. ولذلك غضب وأمر بمنع كل شخص يحاول زيارتنا ما عدا من يحمل لنا الطعام ومتطلباتنا البسيطة من بيوتنا. كما أمر بتفريقنا عن بعضنا، فجاء حظي بأن أنقل إلى حبس رهائن[2] دهم، شرقي القلعة، وبقي الأستاذ البراق حيث كنا أول الأمر. وقد شق علينا هذا الإجراء التعسفي، وشعرنا بضيق شديد. وكان حرس السجن الذي أقيم فيه يغلقون علي الزنزانة من بعد المغرب إلى صباح اليوم التالي. وكان يصحبني في زنزانتي رجل متهم بالقتل، وهو مكلف بتنظيف السجن. وكان طيب القلب عطوفا، قام بخدمتي، وحاولت تعليمه القراءة والكتابة على لوح من الصفيح.

وكان الأخ عبدالله السلال قد أفلت أول الأمر من الاعتقال غير أن الأقدار ساقته لزيارتنا يرافقه الصديق الأستاذ محمد إبراهيم الحلبي رحمه الله الذي كنا نعمل معه في المدرسة المتوسطة. وهكذا حاولا مقابلة البراق لكنهما منعا فاتجها

---

(1) الفلكة: وتسمى في اللغة العربية (الفلقة) هي عصا غليظة طولها ذراع أو 65 سم مثقوبة من طرفيها، ويدخل فيهما حبل من الليف، وتوضع رجلا الطالب داخل الحبل ثم تدار الفلقة حتى تتمكن من الضغط على رجلي الطالب. ويقوم بالعملية طالبان، أو مراقب الصف، أو أحد الحراس. وترفع رجلا الطالب ويبدأ ضرب رجلي الطالب بالعصا.

(2) الرهينة هو ابن أحد المشايخ الذين لهم سلطة على القبائل وقد شرع الإمام مسألة الرهينة كي يضمن طاعة آبائهم للإمام، فإذا حصل أي تمرد من قبل شيخ أمر الإمام بتشديد العقوبة على رهينة فيقيد ويقطع عليه المقرر من خبز الفرن "الكدم" ويظل الرهينة في محنة حتى تعلن أبوه الطاعة.

لزيارتي. وقد سمح لي بأن أقابلهما من النافذة في باب السجن. وقد طمأناني وقالا لي: بأن هناك مساعي لإطلاقي مع الأستاذ البراق فشكرتهما، وودعاني، وعدت إلى زنزانتي وما أن مرت ساعة وبعض الساعة حتى جاء إلي أحد أبناء حرس السجن ويسمون الرسم[1]، وكان يتردد علي ويتعلم مني القراءة والكتابة، وقال لي: لقد ورد أمر من الإمام بحبس عبدالله السلال وإطلاق الأستاذ الحلبي. وذهلت من هذا النبأ السيئ لأننا كنا نؤمل في بقاء الأخ السلال خارج السجن، فقد يفيدنا لأشياء عديدة. وكان مدير السجن قد حرر إلى الإمام تقريرا أو إشعارا بأن السلال والحلبي لديه بعد أن أوقفهما بباب الحبس حتى يأتي من الإمام أي توجيه. وجاء الجواب: إلى مأمور حبس القلعة لا بأس بحبس السلال وإطلاق الحلبي. وهكذا قبض على ثلاثتنا، وكنا نتناقل في مواقع الحبس بدون أن يسمح لنا بأن نجتمع أو أن يكلم أحدنا الآخر.

التظلم إلى الإمام وتوقيع يثير غضبه

أمضينا ثلاثة أشهر في الحبس، ولم تبدر بادرة أمل لخلاصنا. فكتبنا للإمام تظلما قائلين بان حبسنا من دون ذنب لا يرضى الله به ولا الإمام، وإننا نحتكم إلى شريعة الله. ووقعنا على المعروض أسماءنا تحت هذه العبارة (المخلصون) فلان وفلان وفلان. ولما أطلع عليها الإمام غضب غضبا شديدا كما أخبرنا الرسمي الذي يحمل التظلمات من المساجين عادة إلى الإمام، ويعود بالجوابات. وقد علق الإمام على كلمة (المخلصون) ورسم سهما من فوق الكلمة إلى أعلى العريضة

---

(1)- الرسم: على وزن الخدم الواحد رسمي يطلق على حراس السجن ولا ادري من اين جاءت هذه التسمية وجاء في المنجد في مادة رسم: ارتسم الأمر الشئ له ولعلها جاءت من المرسوم الذي يصدره الولاة. والرسامة مبلغ من المال يدفعها المسجون عند إطلاقه ضريبة لخلاصه من السجن.

قائلا بالكتابة (العاقون الكاذبون المفترون) [1]. وعرفنا سبب غضبه. فقد خالفنا ما أعتاد الناس أن يكتبوا قبل التوقيع هكذا: عبدكم فلان، أو عبيدكم فلان وفلان وفلان. بل كان البعض لا يتحرج أن يكتب هكذا "تراب نعالكم". أما أصحاب الرتب الكبيرة مثل آمر الجيش، أو كبير الوزراء فيكتب خادمكم فلان. أما نحن فلم نستسغ تلك الصفات الذليلة والذميمة. إذ روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: (لا يقل أحدكم خادمي وخادمتي، بل قولوا فتاي وفتاتي) صيانة للمسلم من الإذلال، وإشعاره بأن الناس سواسية. ولكن الإمام يحيى تعود من الناس أن يعظموه إلى درجة الألوهية. وقد روي عنه بأنه قال لمجموعة من الرعية، وكان بجانبه الأمير علي بن عبدالله الوزير الذي أقاله من إمارة تعز، وكان الإمام يؤنب بعض المشايخ الذين حضروا المقابلة: (نحن الدهر، من رفعناه ارتفع، ومن وضعناه أتضع). وهذا هو التأله المقيت الذي يبغضه الله. إذ ورد في الأثر (لا تسبوا الدهر فإن الدهر هو الله). وهكذا ازداد غضب مدير السجن علينا بعد أن علم بأن الإمام ساخط علينا. وغير راض عنا، ومرت ثلاثة أشهر أخرى ونحن على تلك الحال. وكان اشق ما ألاقيه هو مجيء والدتي أحيانا لزيارتي، وتحمل إلي أحيانا طعام الغداء كمبرر لمجيئها، وتحضر لي ثيابي بعد غسلها. وعندما يسمح لي بمقابلتها وتقبيل يديها تسارع بالبكاء إشفاقا علي، ولأنها لا تقدر على منحي من الطعام ما يرفع من قدري أمام أصحابي. وكثيرا ما تقول لي بأنها تود لو جلبت لي كل ما في المدينة من أطايب الطعام ولكنها لا تملك المال. كذلك كان يشق علينا الثلاثة منع دخول الكتب إلينا، حتى تفسير القرآن، وأحاديث النبي وسيرته العطرة. ولهذا عمدنا إلى حفظ القرآن عن ظهر قلب. واعتقد أن القارئ سيستغرب عندما يعرف بأن المساجين أمثالنا قد قطعت مرتباتنا، ولم يأمر الإمام

---

(1) كان الإمام وأولاده السيوف، وبعض الحكام والأمراء، عندما يجيبون على التظلمات أو التقارير يكتبون الجواب أعلى العريضة.

بشيء من الإعاشة لنا، ولم يكن ليسأل من أين نقتات وكيف نعيش! وكان المساجين الذين لا أهل لهم يكتفون بما يؤتى لهم من فتافيت خبز (الكدم)، وهذا الخبز هو ألذ ما يكون عندما يخرج من الفرن ساخنا، وأكره ما يكون عندما يبيت ويتحول إلى ما يشبه الحجارة حتى قيل بأن شخصا رمى لكلب كدمة فهرب الكلب منها ظنا منه بأنها حجرة. وتروى هذه النكتة بأن شخصا لا يعرف من الخبز غير الكدم، وفي يوم من الأيام حاول أن يقضم كدمة بايته[1]. وكانت صلبة، فتذمر منها وسخط عليها، وقال له بعض الذين شاهدوا حالته: احمد الله على نعمته، فرد في امتعاض وألم: (يحمدني هوه على أنني آكل هذه الحجر). وقد أقمنا علاقات حميمة مع الرهائن، وحاولنا تعليمهم وإفهامهم بما يجري في العالم من تطور. وكنا نظهر السخط وننقد أسلوب (الرهن) الذي يمثل عهد الإقطاع في أوربا، واستعباد الناس. وكانت الأيام تمر علينا في الحبس ثقيلة بطيئة. كما صارت لدينا قناعة بضرورة العمل ضد حكم الكهانة. فقد اكتشفنا بأن الإمام يحيى يعمل عمل الكهنة، ويدعي لنفسه القداسة، وأنه خليفة الله في أرضه. وكان يمارس الدجل والشعوذة، ويعمل الرقي والعزائم[2] لمن يلتمسوها منه، ولا سيما الجهلة والمغفلين. وقد اشتهر الإمام بالبخل إلى درجة الجنون. وأذكر أن صحيفة مصرية أشارت إلى بخل الإمام يحيى عندما حدثت الحرب بينه وبين الملك عبدالعزيز آل سعود، فنشرت للإمام صورة كاريكاتيرية ساخرة وفي يده ريال وهو يلوح به في الهواء متمثلا بقول عم النبي صلى الله عليه وسلم:

تالله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا

---

(1) الخبز البايت الذي مر عليه يومان أو اكثر.

(2) العزيمة ورقة تكتب فيها اسماء غريبة كالها لأسماء الجن، وتعلق في رقبة المريض أو المصاب بمكروه، إذ العلاج لم يكن موجودا.

وكنا نزداد كرها لحكم الإمام يحيى. وقد القي القبض يومئذ على القـــاضي محمد احمد السياغي بعد عودته من زيارة للحجاز خلال موسم الحج، وكان يحمـل أفكارا مناهضة لحكم الإمام يحيى وأولاده. وقد أودع سجن القلعة بتهمة بغضـــه للإمام وهو الذي يدعي بأنه من آل البيت. وسمعنا منه مازاد في إصرارنـــا علـــى مقارعة الظلم ومناهضة الاستبداد. والقاضي محمد السياغي وأخوانه[1] من المبكريـــن بمناهضة الاستبداد. وكانوا يصارحون كل من التقوا به بأن حكم الإمام لا يســتند إلى شيء من الدين والشريعة الإسلامية، بل أنه يحكم بحسب مزاجه وهواه.

تهديد ووعيد وخروج من السجن بشروط

أمضينا أكثر من ثمانية أشهر في سجن القلعة، وأطلقنا بعدها وبعد أن بـــذل أهلنا وبعض المسئولين المتعاطفين معنا، ومنهم طيب الذكر القاضي محمد راغب[2] رفيق، وزير الخارجية بالاسم رحمه الله، جهودا مضنية في مراجعة الإمام، والتمـلس إطلاق سراحنا. وبعد أخذ ورد، وتهديد ووعيد من الإمام ضـــد أهلنـــا، سمـــح بإطلاقنا مشترطا أن لا نلتقي ببعضنا، وأن لا نتردد على حي بئر العزب الـــذي يسكنه بعض السوريين من أساتذة وأطباء وبعض الوفود. وقد قبل أهلنـــا بكـــل شروط الإمام التعسفية المجحفة لأجل أن نخلص من السجن. ولا أنسى ليلـــة أن جاء البشير بإطلاقنا، وكان الوقت ليلا، إذ لم تكتحل أعيننا بـــالنوم مـــن شـــدة الفرح. وقد جمعنا مدير السجن بعد فراق طال أمده، وبتنـــا الثلاثـــة في قاعـــة

---

(1) كان من إخوانه القاضي يحيى السياغي الذي قتله الطاغية الإمام احمد في حركة سنة 1955 الذي قـــام بها البطل الشهيد المقدم احمد يحيى الثلايا، ولكنها لم تنجح. كما قتل أخوه القاضي حمـــود الســـياغي رحمهم الله جميعا.

(2) القاضي محمد راغب من بقي من الأتراك بعد انسحابهم من اليمن سنة 1918 وكـــان يلبـــس الجبـــة والعمامة وسماه الإمام بالقاضي وتولى وزارة الخارجية لأنه يحزق اللغة الفرنسية حيث اشتغل مفوضا في سفارة تركيا بباريس ولأن له أفكارا أساسية كان الإمام يستانس بها عندما يعقد أية معاهدة مع أي دولة.

واحدة، وكان المدير قد أمر بأن تفك قيودنا. وأمضينا تلك الليلة كأننا ولدنا ثانية. وكنا نتجاذب أحاديث شتى حول مستقبل حياتنا، وما سنمارس من أعمال. وأغفت أعيننا لحظات حالمة. وسمعنا أذان الفجر وقمنا للصلاة. وما كادت الشمس تشرق حتى سمعنا الصوت الرتيب الذي ينادي على من أطلق قائلا: (وآلوه)، ويرد عليه من داخل السجن حارس آخر (والوه)، فيقول المنادي الأول: البراق والمروني والسلال (مطلقين). وهب أكثر من في السجن وتحلقوا حولنا يهنئوننا، وبعضهم يرجو أن نراجع لإطلاقه، والبعض الآخر يلتمس منا ما استغنينا عنه من فراش وملابس، وآخر يطلب الخرق التي تعصب بها الساقان لتمنع حديد القيود من جرحها. وخرجنا من ذلك السجن الرهيب، ورأينا صنعاء في صورة جديدة، وكنا أشد عداء للحكام وعلى رأسهم الإمام يحيى لأننا ذقنا مرارة الظلم. ووطدنا أنفسنا على أن نعيش في صنعاء وهي سجن كبير لها سبعة أبواب مثل الجحيم، وهي تغلق من بعد أذان المغرب إلى صباح اليوم التالي حيث يخرج الناس لقضاء حوائجهم، ولممارسة أعمالهم الرتيبة المحدودة، والتي تدور حول ما يقيم أودهم، ولا هم لهم غير أن يمضي يومهم بسلام من المنغصات. ولم تمح الأيام ما لقيناه من عنت في السجن، وما اختزناه في أذهاننا من شكوى الآخرين وما تحملوا من ظلم وقهر، وما شاهدنا وعرفنا من جرائم وموبقات داخل ذلك السجن الرهيب. فمدير الحبس كان يستغل مسجونين ذكيين كانا يقومان بتزوير أوآمر المسئولين في صرف أموال وسلاح. وعندما أنكشف أمرهما أمر الإمام بحبسهما منفردين كل واحد في زنزانة خاصة به، وكانت لهما مقدرة عجيبة في تزوير الأوامر التي لا يشك أحد في أنها صادرة من الإمام، أو أمير الجيش، أو واحد من المسئولين الكبار، وقد استغل موهبتهما مدير الحبس، وكلفهما بتزوير وثائق لممتلكات باسمه ولصالحه. كما تمكنا من تزوير رسائل تدين اشخاصا خارج السجن فتجرهم إلى الحبس زورا وبهتانا، وإرضاء لمدير السجن

ولبعض المسجونين الذين تمهم توريط غرمائهم خارج السجن. وقد انكشف أمر ذلك المدير ونال جزاءه.

وبعد مرور بضعة أيام على خروجنا من سجن القلعة اقترح علينا بعض المسئولين الذين كانوا يتعاطفون معنا بأنه من المستحسن مقابلة الإمام، وكان يومئذ في منتزه الروضة لكي يخف حقده علينا. وقد رحبنا بهذا الاقتراح وتوجهنا ذات صباح إلى الروضة مشيا على الأقدام، إذ لم تكن هناك يومئذ وسائل لنقل المواطنين من صنعاء إلى الروضة والى المناطق البعيدة عنها؛ وكان الناس يعتمدون على الحمير والبغال والخيل وهم القادرون على امتلاك تلك الحيوانات. أما أغلبية الشعب فيعتمدون على أرجلهم في الأسفار. وهكذا وصلنا إلى مقام الإمام يحيى في الروضة، ووقفنا مع الواقفين في شبه دائرة حول الإمام. وأشعرنا الحارس برغبتنا في السلام على الإمام كأي مواطن يلتمس السلام على الإمام، وقد يقدم إليه شكواه مشافهة أو كتابة، وقد يقدم له نذرا[1] من سمن أو عسل أو نقد أو أي شيء يتوسل به. وكان الإمام يخالسنا النظر وهو يحرر الأوآمر على الشكاوي المقدمة إليه. وبعد أن طال وقوفنا أشار للحارس بأن يسمح لنا بالوصول إليه. وكانت الإشارة بحركة رأسه من تحت إلى أعلا بعد أن كرر الحارس النداء بأسمائنا ورغبتنا في السلام عليه. وتقدمنا بخطوات منسقة إلى حيث كان جالسا على كرسيه، وقبلنا ركبتيه ويده، ثم لفنا بذراعيه حتى كادت رؤوسنا تتلامس مع جبينه. وسأل كلا عن اسمه وأجاب كل منا على سؤاله، وكان مقطب الوجه عابسه. وبدأ يؤنبنا ويوبخنا بصوت عال ليسمع من كان موجودا من الناس، وقال

---

(1) كان الإمام يقبل النذور مهما كانت قيمتها، وقد يجعلها الناذر وسيلة لكي يتيسر له لقاؤه بالإمام. ومن الطرائف التي تروى في هذا الصدد أن امرأة جاءت بمولود حديث الولادة وقالت للحارس: أرجوك بلغ الإمام ان معي طفلا وأريد أن يباركه ويختار له اسما وأعطته مبلغا من المال. فأخذ المولود وعرضه على الإمام فتمتم عليه وسماه، وعاد الحارس إلى المرأة ليسلمها الرضيع ولكنه لم يجدها، فقد تسللت هاربة. وهنا احتار الحارس كيف يفعل بالطفل فرجع إلى الإمام وقال: يا مولانا لقد هربت المرأة فماذا تأمرون بشان الطفل؟ فقال الإمام: يتكفله من أخذ الأجرة.

في غضب: نحن علمناكم وربيناكم وقررنا لكم المعـــاش، وأعطينـــاكم الرتـــب، وقلدناكم السيوف فقابلتم كل ذلك بالجحود (يا بطالين)[1]. وكنا نسمع كلامه الغاضب ونحن منكسو الرؤوس في خضوع وخشية.ثم استأذنا بالانصراف فأشـار برأسه إشارة نفهم منها أنه قد رضي عنا. وغادرنا حلقة (المواجهة) مـــع ذلـك الدجال الكاهن وفي نفوسنا من الحقد والكره ما يشبه الغليان. ولم نكد نبتعد عن تلك المواجهة اللئيمة حتى وجدنا نجله السيف عبدالله، وكان دبلوماســيا رقيـق الحاشية وكان راكبا على حصانة. وعندما رآنا ترجل وصافحنا واحـــدا واحـــدا وقال لنا: أحسنتم بمواجهتكم للإمام، وعفا الله عما سلف، ونحن اليوم من أبنـــاء هذا الوقت، ونبدأ بصفحة جديدة. ثم صافحنا وركب على حصانه. وشعرنا أنـــه مسح على قلوبنا وصدورنا بتلك المجاملة الكريمة. وحفظناها في نفوسنا مبـــادرة تستحق الشكر. وبعد ذلك اقترح علينا صديق مخلص بأنه من المناســـب زيـارة السيف القاسم الذي كان سببا في حبسنا. وقد حدد لنا موعدا للقائـــه في بيتـه الذي هو الآن مقر ومنـــزل السفارة الروسية. وجئنا على الموعد، وكان قد تهيـأ للقائنا في صحن داره أمام بركة الشذروان. وتقدمنا للسلام عليه وقلوبنا مشمئزة منه. ومديده فقبلناها واحدا بعد الآخر. وهنا بدأ كلامه السخيف قائلا: نعـــم نعم. بلادنا متأخرة ولكن في الخمور والفجور. ثم تلعثم وهمهم بكلمـــات غـير واضحة فهمنا منها بأنه يتهم الحركة الإصلاحية التي نهدف إليـــها بأنهـــا دعـوة للفساد، والخروج على تقاليد اليمنيين، والعادات الموروثة، وتقليد النصـــارى في مجونهم وسخفهم وهو وأخوته منغمسون في الفساد لا يتحرجون من ممارسة كـــل ما هو آثم وقبيح، ولكنه وسائر الأمراء كما يقول المثل: (رمتني بدائها وانسلت). وهكذا انتهت المقابلة مع ذلك الغبي وقد أوغر صدورنا، وآثار حفيظتنا، وجعلنـا

(1) البطال في اللهجة الصنعانية هو المنحرف سلوكا وأخلاقا

نصر على مقاومة حكم أبيه أو إسقاطه. وأشهد أنه قال لي مرة[1]، وهو يحاول معرفة تجمع المناهضين للحكم المتوكلي وهو ممسك بيدي، قال لي: لكم أتمنى لو أن هنالك متسعا من الناحية الاجتماعية والترفيهية فيخرج الإنسان بعائلته إلى فندق جميل، أو متنزه لطيف ليقضي وقتا مريحا. وقلت له إن بإمكانكم أن تفعلوا ذلك. فرد علي في امتعاض: كيف نقدر على ذلك والإمام بيده كل شيء؟ ثم صمت ومشى معي من باب داره إلى قرب دار الوجيه المصلح الكبير السيد حسين بن صالح الحبشي الذي جعل من بيته ناديا لمن يحب أن يلتقي، بأرباب الفكر كأمثال الرئيس جمال جميل، والحاج محمد بشير، والقاضي محمد الحجري، والعلامة عيسى محمد بن عقيل، والأستاذ محي الدين العنسي قبل فراره إلى مصر، وأعتذر لي قائلا:

إنني لا أحب إزعاج الحاضرين وعاد أدراجه إلى بيته القريب من بيت الحبشي.

البعثة العسكرية العراقية إلى اليمن

عندما حدثت الحرب بين الإمام يحيى والملك عبدالعزيز آل سعود، ومني جيش الإمام بهزيمة منكرة، حيث تمكن الجيش السعودي من اختراق الساحل اليمني الغربي بدءا بمدينتي حرض وميدي وانتهاء بميناء الحديدة ثالث مدن اليمن الكبرى، وأسباب هذه الحرب متعددة وأهمهما تحديد الحدود، وأخطرها لجوء آل الادريسي إلى صنعاء بعد هزيمتهم أمام الجيوش السعودية التي حاولت تعقبهم. ومن هنا شعر أولاد الإمام، وعلى رأسهم سيف الإسلام عبدالله الذي فر من الحديدة بصورة مشينة حيث ترك الحالة فوضى حتى قيل بأن سيفه المذهب بيع بالمزاد، لقد شعروا بمرارة الهزيمة أمام الجيش السعودي الذي كان أكثر تنظيما. فاقترحوا على الإمام يحيى بأن يطلب من العراق إرسال بعثة عسكرية تشمل كل

---

(1) كان ذلك أوآخر سنة 1940، أي قبل اعتقالنا للمرة الثانية بسنة تقريبا، وكان الناس يتابعون أخبار الحرب عن طريق سماع الإذاعة البريطانية وإذاعة ألمانيا، وكان ينقلها للناس من يملكون الراديو، أو من يتيسر لهم السماع.

صنوف الأسلحة. ووافق الإمام وأرسل الطلب إلى بغداد. واستجابت حكومة العراق واختارت بعثة مشكلة من العقيد إسماعيل صفوت رئيسا، والمقدم محمد محمد حسن المحاويلي للمشاة، وجمال جميل للمدفعية، والملازم الأول عبدالقادر الناظمي لسلاح الإشارة، والملازم الثاني سيف الدين سعيد آل يحيى للرشاش، ومعه مجموعة من ضباط الصف وعددهم سبعة تقريبا. وقد استعانت هذه البعثة بمن تخرجوا من اليمنيين من الكلية الحربية، ووضعوا برامج للتدريب والمحاضرات والدروس النظرية. وشكلوا فوجين من ذوي القدرات الجسمانية وسموهما بفوجي (النمونه) أي النموذج. وفعلا كان هذان الفوجان نموذجا للانضباط واستيعاب الدروس النظرية والعملية. وكانت البعثة العراقية قد استصحبت معها تجهيزات لألف جندي، حيث كانوا نواة فوجي النمونة، ولبسوا الملابس المهداة من العراق، وتدربوا على الرشاشات التي كانت من ضمن التجهيزات المهداة. وتمكنت البعثة العراقية من أيجاد تنظيم داخل الفوجين بحيث يحصلان على الوجبات اليومية بطريقة تمكنهم من الحضور للتدريب، وبدون أن يتخلف واحد منهم لتحضير الوجبة وهي الغداء[1]. أما العشاء والفطور فكان يقتصر فيهما على أكل العيش ومعه قهوة فقط. وقد خاف الإمام من هذا التشكيل العسكري المنظم. وخشي أن يتمرد الجنود الآخرون طلبا للحصول على ما حصل عليه إخوانهم النموذجيون. ولهذا بيت أمرا بتفريقهم عقب رحيل البعثة العراقية وعودتها إلى العراق. وبالفعل أرسل بعض النموذجيين إلى تعز. والبعض الآخر إلى صعدة. وقد بقي الرئيس جمال جميل في اليمن الذي سمي بعد ذلك بمعلم الجيش. وقيل يومئذ بأن تخلفه كان هروبا من محاكمته لاشتراكه مع ضباط آخرين في قتل وزير الدفاع جعفر العسكري أثناء الانقلاب الذي قام به الفريق بكر صدقي سنة 1936م ضد حكومة ياسين الهاشمي. ومهما كان سبب طلبه البقاء في اليمن فقد أدى واجبا قوميا واستشهد في ثورة 1948م مع الطليعة المستنيرة من علماء

---

(1) كان الجنود يختارون من يحضر لهم الغداء، وهو شيء بسيط يقتصر على (الحلبة) وربع كيلو لحم يصنع منه المرق. ولهذا يعفى هذا الجندي من التدريب.

وأدباء ومفكرين، الذين سقطت رؤوسهم في تلك الثورة التي هـــزت عـــروش الظالمين وأرقتهم. وكانت البعثة قد أصيبت بإحباط، حيث حوصـــر نشـــاطها، وشعرت بأن الإمام لم يكن مرتاحا من بقائها في اليمن؛ ومن هنا أرســـل رئيـــس البعثة العقيد إسماعيل صفوت تقريرا إلى بغداد يطلـــب فيـــه- بعـــد أن ســـرد الحيثيات- العودة إلى العراق، لأنه رأى عدم جدوى بقاء البعثة في اليمن. وقـــد جاءت الموافقة من بغداد. وعندما علم رئيس البعثة بأن جمال جميـــل يرغـــب في البقاء، وأنه مصمم على ذلك، طلب العقيد إسماعيل صفوت[1] من أعضاء البعثـة أن يبدوا رغبتهم في السفر أو البقاء في اليمن. وكانت حيلة بارعة من أجل تـبرير بقاء الرئيس جمال جميل الذي كان الوحيد حين طلب البقاء في اليمن متنازلا عـــن هويته العراقية، وحقوقه المدنية. وقدم الآخرون طلبهم للعودة إلى العراق مع أنـــه كان فيهم من يرغب في البقاء، ولا سيما الذين تزوجوا بيمنيات، ولكـــن أمـــر العودة لا رجعة فيه. فطلق بعضهم زوجته، واصطحـــب الآخـــرون زوجـــاتهم وأولادهم. وهكذا انتهت قصة البعثة العسكرية العراقية إلى اليمن. وتعرض فوجا النمونة للهزال والضعف بالرغم من وجود بعض الضباط اليمنيين الذين تخرجـــوا من المدرسة الحربية ببغداد على رأس الفوجين، ومنهم المقدم الشهيد احمد يحـــيى الثلايا الذي حافظ على جنوده ليظلوا مثالا للنظام وحسن السلوك والتضـــامن، والذي كان محبوبا إلى درجة التقديس لصدق وطنيته، ولعلمه وثقافته ونزاهتـــه، وتعاطفه مع جنوده. وقد استشهد بسيف الطاغية الإمام احمد عقب فشل حركـــة سنة 1955.

---

(1) العقيد إسماعيل صفوت من خيرة العسكريين العرب حيث عين بعد عودتـــه إلى بغـــداد مستشـــارا عسكريا في الجامعة العربية

انطلاقة حذرة للنضال وعودة أخرى للسجن

قلت آنفا لقد كنا نعلم بأننا سنخرج من سجن صغير إلى سجن كبير، ولهذا فقد هيأنا أنفسنا لكل ما سنواجه من أزمات وصعوبات في سبيل هدفنا الكبير، وهو التخلص من كابوس الظلم بأية طريقة. وركزنا اهتمامنا على نشر الوعي الوطني بين من نلقاه أو يتصل بنا. وكنا على يقين بأن مرحلة النضال شاقة ومحفوفة بالمخاطر، ولكن قناعتنا بهذه الرسالة كانت تدفعنا إلى مواجهة كل الاحتمالات. وخلال تلمسنا في البداية لكل من يحمل مشاعر وأحاسيس وطنية وجدنا عددا يعد بأصابع اليدين، منهم الكاتب الحر احمد بن احمد المطاع[1]، والعزي صالح السنيدار، وآل السياغي محمد ويحيى وحمود، والحاج عبدالله السنيدار الذي كان يفتح داره للقاء الأحرار، والنابغة الأديب احمد عبدالوهاب

---

(1) كان احمد المطاع ضابطا في الجيش، ثم اتصل بالسيف عبدالله الذي اعجب بأفكاره ونظرته الإصلاحية، ولا سيما بالنسبة للمعارف، فاختاره إلى جانبه. فكان يكتب في المجلة المسماة بـ"الحكمة". حتى إذا تولي الشاب الطموح والمفكر المثقف احمد عبدالوهاب الوريث عين المطاع بدلا عنه رئيسا لتحرير المجلة. كما كان المطاع عضوا في لجنة التاريخ التي اضطلع فيها بتاريخ اليمن في فترة الدولة العباسية. وكان قد تمكن من خلال عمله في المعارف أن يذهب إلى تعز كمفتش للمعارف وبحجة وضع خريطة لليمن. واستطاع هكذا أن يبعد الشبهة عن تنقله واتصاله بالأمير علي عبدالله الوزير ونجله عبدالله وبعض مشائخ تعز. وقد كان ممن اعدموا بعد سقوط ثورة 1948م، وتحمل أثناء اعتقاله من صنوف العذاب ما لا يتحمله إلا الأولياء.

الوريث، والقاضي عبدالله الشماحي. وكنا نستغل اجتماعهم أثناء المقيل الـــذي كان يقام كل يوم خميس وجمعة على وجه الخصـــوص، بخـــلاف لقاءاتنـــا أثنـــاء الأسبوع مصادفة أو بموعد مسبق. وقد أظهرنا مرونة في مســـايرتنا للأوضـــاع، وصرنا أكثر حذرا ممن نشك في صدقهم وإخلاصهم. وقد استطعنا مـــع مضـــي الوقت أن نتعرف على عدد أكبر من الضباط الأحرار، أمثال العقيد محمد حســـن غالب[1]، والعقيد غالب الشرعي، والعقيد علي حسين العمري، والعقيد علـــي الرماح. وكان لدينا قدرة على معرفة الخونة والجواســـيس، وإدراك لمـــن لديـــه إحساس بالوطنية والتوجه نحو التحرر من الظلم. كما لقينا تعاطفا مبشـــرا مـــن الذين عرفوا بصدق نضالنا، وبما تحملنا من الأسى أثناء السجن. كما لقينا مراعـاة من بعض المسئولين الذين خالطوا الأتراك، وعرفوا من أحرارهم المنفيين إلى اليمـن بأن هنالك من يعمل من أجل الحرية في كل الأقطار. كما كانوا ينظرون إلى بعيد. وكنت بعد الخروج من السجن قد أعدت للعمل في الجيش الدفاعي كآمر لســـرية سلاح الإشارة، كما أنه وبعد عودة الأستاذ محيي الدين العنسي بصحبـــة البعثـــة العسكرية العراقية إلى اليمن في آخر سنة 1939م عملنا سوية في نطاق التعليـــم كمساعدين. وفي هذه السنة وقعت الحرب العالمية الثانية. وقد تضررت اليمن من ناحية الاستيراد للسلع التي لا تستطيع الاستغناء عنها، مثل القاز (الكيروســـين)، وصابون الحمام، والمنسوجات الحريرية والقطنية والكبريت، وأدوات الإنارة. أمـا الأشياء الأخرى فقد استغنى اليمنيون عن معظمها، وظهرت بعـــض الصناعـــات البدائية، فاستغنى عن السكر بمنتوجات قصب السكر، كما ظهر الســـكارين ولا أدري كيف تسرب في تلك الظروف إلى اليمن. وقد نشطت المنسوجات المحليـــة، كما تمكن بعض التجار من تصنيع الكبريت الخام الذي لا يشتعل بحكـــه علـــى

(1) محمد حسن غالب من أصدق من عملوا لثورة 1948م، وقد اعتقل بعد سقوطها وقضى في ســـجن نافع والقاهرة أكثر من سبع سنوات لم تبدر منه خلالها أية بادرة ضعف، بل كان قوي الإيمان، واثقـا من أن الأحرار سينتصرون. وقد تولى في مطلع سنة 1991م رحمه الله. وقد عين في ثورة سبتمبر ســـنة 1962م نائبا لمحافظ لواء الحديدة.

العلب، بل كان يعرض على النار التي يحتفظ بها متوهجة بعد أن يتم خبز العجين في التنور، وتدفن بقايا النار تحت الرماد. وبذلك كان الناس لا يشعرون بأزمة في اختفاء الكبريت. وفي أواخر سنة 1941م أمر الإمام يحيى باعتقال الكثير من المستنيرين أمثال الصفي محبوب، والفقيه ثابت بهران، والقاضي محمد الخالدي. والأستاذ محيي الدين العنسي، والأستاذ احمد الحورش، والأستاذ احمد البراق. والأخ عبدالله السلال، وكاتب هذه السيرة. وكان سبب ذلك ظهور منشورات تنتقد حكم الإمام وما حل بالمواطنين من ظلم ولا سيما من قبل قضاة الشريعة، والخراصين الذين أثقلوا كاهل المزارعين بتحصيل الواجبات. وكانت حملة الاعتقالات سببا في انتشار السخط والكراهية ضد الإمام يحيى. وقد أصيب اليمن في هذه السنة بالقحط وشحة الأمطار، فظهرت المجاعة في أكثر مناطق اليمن، ومات أكثر الناس بسبب الجوع ومرض التيفوئيد والتيفوس. ولم يرق قلب الإمام لحالة الناس وهم يقاسون الجوع ولم يسمح بفتح مدافن الحبوب وتوزيعها على الناس المستحقين حتى كانت تفسد في المدافن ولا تستخرج إلا وقد حولتها الرطوبة إلى كتل من الطين المنتن. وهذا مما زاد في سخط الناس على الإمام، وهكذا بدأ الأحرار يستنكرون الوضع، ويحاولون لفت نظر الإمام، ولكنه لم يتأثر بذلك؛ وظل في بخله وعناده وكبريائه وكراهيته لدعاة الإصلاح. وكان مما تسبب أيضا في حملة الاعتقالات تلك هو أننا كما قلت فيما سبق عندما خرجنا من السجن كنا أكثر[1] تحمسا للعمل في أي مجال من مجالات الحياة. المهم هو أن نسهم في تحريك ذلك الوضع الاجتماعي الآسن المتعفن، ومحاولة جذب من نقدر على كسب ثقته بصدق توجهنا الوطني، وكانت البداية هي إقناع القادرين على تعليم أبنائهم، وتشجيعهم ليرسلوا أولادهم إلى مصر والعراق وسوريا ولبنان والأردن ليتوسعوا في المعرفة والتحصيل العلمي، ولمشاهدة نهضة الأقطار التي

---

(1) رحم الله شاعر اليمن الكبير الأستاذ الزبيري الذي أنشأ بعد خروجه من سجن الأهنوم قصيدته الوطنية الرائعة:

خرجنا من السجن شم الأنوف ... كما تخرج الأسد من غابها

سبقتنا في التطور والنهضة. وكما كنا مصرين على مكافحة الأمية والجهالة، سواء بالمشاركة المباشرة أم بنشر ما لدينا من كتب ومجلات. كما أن مجيء البعثة العراقية العسكرية إلى اليمن قد شد من أزرنا. وقد صاحب مجيء تلك البعثة عودة البعثة اليمنية التي أكملت دراستها في دار المعلمين الابتدائية، وكانت تضم الأستاذ علي رجاء، والأستاذ زيد بن علي عنان وكان رئيسا لهم. وكان الأستاذ محي الدين العنسي قد رشح كمفتش للمدارس. وبهذا حصل تجمع وطني تعليمي، تمكن بعض من كان لهم حظوة لدى سيف الإسلام عبدالله وزير المعارف من إقناعه بضرورة فتح مدرسة ثانوية، يتولى إدارتها شخص مثقف متمرس بأمور التعليم فاختير لها القاضي علي بن قاسم العنسي شقيق محي الدين، ويتولى التعليم فيها الأستاذ احمد الحورش، والأستاذ احمد البراق، وعدد من الوطنيين ذوي المقدرة التعليمية. والتحق بهذه المدرسة كثير من خريجي مكتب الأيتام ومدرسة الإصلاح. وكانت هذه المدرسة الجديدة في مناهجها وأساليبها التربوية مطمح الشباب من كل الفئات. وكانت تبتدئ اليوم الدراسي بإلقاء محاضرة لكل الطلاب يلقيها أحد الأساتذة، وأحيانا يشترك فيها الطلاب المبرزون ومضت بخطوات إلى الإمام، حتى ضاق بها الإمام فأمر باعتقال الأساتذة محي الدين العنسي، واحمد الحورش، واحمد البراق، سنة 1941م. كما اعتقل يومئذ بعض دعاة الإصلاح كما سبقت الإشارة إليهم، وأمضى الجميع في حبس القلعة مدة تراوحت بين ثلاثة أشهر وأربعة. وقد أمر الإمام بعدها بإطلاق سراحهم، ومن جملتهم كاتب هذه السطور. وقد جاء تراجع الإمام بحجة إلحاح بعض رجاله الذين لم يطيقوا تصرفه الأرعن في تدبير الحكم، ومنهم القاضي محمد راغب رحمه الله، وهو تركي الأصل كان مستشارا للحاكم التركي في أواخر حكم الأتراك في اليمن في الفترة الثانية. وكان القاضي راغب يتحدث بالعربية في لكنة أعجمية، أما لغته التركية وحذقه للغة الفرنسية فهما مما ميزه وجعله وزيرا للخارجية. وقد قيل بأنه عمل في سفارة تركيا بباريس، فعرف الدبلوماسية، وتعلم اللغة الفرنسية. وقد تشاءم الأستاذ محي الدين العنسي وزميله الأستاذ احمد الحورش

من هذه الحركة القمعية واعتبراها نذير شؤم تنذر بعواقب سيئة، فاتفقـــا علـى الفرار إلى خارج اليمن، واختفيا مدة من الزمن حتى ظهرا في مصر بعـــد مـــرور شهر، حيث التحقا بمن سبقهم من أبناء اليمن الذين كانوا يدرسون في الأزهـــر، أمثال الأستاذ محمد المسمري. والأستاذ نعمان، وشكلوا الخميرة الأولى لتجمـــع الوطنيين الذين خططوا لثورة 1948م. وقد اعتقل في هذه الظروف الأستاذ محمد محمود الزبيري، وكان قد برز في المنتديات الأدبية شـــاعرا وأديبـــا ومفكـــرا، والأستاذ محمد بن قاسم أبو طالب الملقب بالخطيب لقيامه في بعـــض المناســبات خطيبا مؤثرا. وقد أمر الإمام باعتقالهما وترحيلهما إلى مناطق نائية عن صنعـــاء، وفيها أنصاره من القبائل الموالية له والجاهلة والغبية. وكان غضب الإمام علـــى الأستاذ الزبيري بسبب خطبة محرضة ألقاها في الجامع الكبير بصنعاء عقب إحدى صلوات الجمعة، وكذلك حصل لزميله في السجن محمد بن قاسم الخطيب.

الفصل الثالث

مع التجمع الوطني في مسيرة ثورة 1948 وسنوات من السجن والتشرد

أرضية ظهور التجمع الوطني

بدأ المستنيرون يلتقون ويتهامسون حول المجاعة التي تفشت في أكثر مناطق اليمن بسبب الجفاف، وانقطاع المطر، وامتناع الإمام عن إسعاف الجائعين الذين كانوا يتوجهون من مناطقهم النائية إلى صنعاء ويلتمسون من الإمام أن يأمر بصرف ما يقيم أودهم من الحبوب المخزونة والمدفونة، ولكنه لم يستجب لدعائهم. وقد كان معظمهم يموتون واقفين وهم يناشدون الإمام حين يمر بموكبه أن يرحمهم. ولكنه كان قاسي القلب لم يرحم تلك الجموع الشاحبة الوجه، والهزيلة الأجساد، والمهلهلة الثياب التي كان يموت الواحد والاثنين والثلاثة وهم يلاحقون موكب الإمام يناشدونه أن يرحمهم. وكانوا يدفنون في حفرة واحدة. وحتى قيل بأن واحدا من الذين ناهضوا حكم التسلط طلب من السيف الحسن أكفانا لبعض موتى الجوع فسأله هذا السيف الغبي: هل كانوا يصلون؟ فرد عليه ذلك المواطن العطوف[1] إنهم مسلمون وقد ماتوا وحسابهم عند ربهم، ومن

---

(1) هو الأستاذ الفاضل محمد إبراهيم الحلبي الذي أدار عدة مدارس بجدارة، وله نوادر لطيفة منها عندما تعرض بيته للنهب من قبل القبائل، حيث كانوا يستولون على الملابس والفراش بشكل فوضوي وهو يشاهد عملهم فكان يصرخ فيهم: اهبوا بنظام يا غجر يا متخلفين، وصارت نكتة يرويها للناس، وقد اعتقل بعد ذلك وسجن في سجن نافع مع الأحرار الذين اعتقلوا، وكان صاحب نكتة غير متعمدة، منها أن بدويا سأله: أين سوق البقر؟ وكان الأستاذ الحلبي والبدوي في ميدان التحرير الواقع غربي=

حقهم أن يكفنوا ويدفنوا. وفي هذه الظروف الكئيبة المؤلمة أزداد سخط النـــاس، ولكنهم ظلوا على ولائهم للإمام، أما المصلحون والمثقفون والمســـتنيرون فقـــد عقدوا العزم على مناهضة هذا الحكم الجائر، وكانوا يجتمعون في بيوت بعض تجار صنعاء كل يوم ويناقشون حالة الشعب السيئة، وإصرار الإمام على سياسة تجويـع المواطنين على أساس أنها السياسة الحكيمة في نظر الإمام يحيى. ولم تقتصر حركتنـا على مناهضة الإمام، بل كنا نراقب تحرك الإيطاليين وعملائهم، إذ أنهـــم كـــانوا يوزعون صورا ومنشورات تمجد الحكم الفاشـــي، وتـــبرز عظمـــة الدوتشـــي موسوليني. كما وجدت صورة بين تلك المنشورات تمثل الزعيم الفاشـــي راكبـــا على حصان، رجلاه فوق القرن الأفريقي ويداه على شـــواطئ بـــاب المنـــدب. وكانت لإيطاليا الفاشية نوايا الاستيلاء على الشواطئ اليمنية المطلة على البحـــر الأحمر، حتى قيل بأن الإمام يحيى سمح للبحرية الإيطالية بإقامة قـــاعدة بحريـــة في مدينة المخاء. وكادت تنشأ تلك القاعدة لولا معارضـــة الأحـــرار اليمنيـــين، وإنذارهم للإيطاليين بأنهم لن يتعاونوا معهم، وسيهاجمونهم في كـــل وقـــت، لأن الأرض ملك للشعب اليمني وليست ملكا للإمام يحـــيى. ولمـــا رأى الإيطـــاليون إصرار جماهير الشعب بقيادة أحد الأحرار، هو الشيخ محمد علي نعمان، وكـــان حاكم المخاء صرف النظر عن نزولهم إلى المخاء، وظلوا مـــدة يراقبـــون تحـــرك الأسطول البريطاني في البحر العربي وحول ميناء عدن. وقد أشيع يومئـــذ بـــأن السفارة الإيطالية التي كانت تعمل باسم هيئة طبية على رأسها الدكتور باســـرا، وهو دبلوماسي مهيأ للعمل السياسي، بأنها توزع أموالا على بعـــض الموظفـــين اليمنيين في وزارة الصحة. وكان السيف القاسم يتقاضى راتبا شهريا مع بعـــض موظفي الصحة والمواصلات. وكدنا نحن الثلاثة[1] نحبط تحركات العملاء لـــولا أن الإمام سلط علينا بعض أعوانه. كما أمر محافظ صنعاء بأن نمثل بين يديه. ولكـــي

=صنعاء، والمسافة من هناك إلى سوق البقر، الواقع شرقي صنعاء، مسافة بعيدة، فقال لـــه الأســـتاذ الحلمي: كل الطريق بداية من هذا الميدان إلى هناك سوق بقر.

(1)- نحن الثلاثة: الأستاذ احمد البراق، والعقيد عبدالله السلال، واحمد المروني.

نثبت بالأدلة المادية على ما كنا نحذر من تحركات الطليان وعملائهم[1]. وأحسسنا يومئذ بأننا نواجه مؤامرة خسيسة، إذ سيجعلون منا مدعين، وسيلزمنا إثبات دعوانا، ولم نسمح للمؤامرة أن تتم، وقلنا إننا وطنيون نغار على اليمن، وواجبنا هو لفت نظر حكومة الإمام لتتبع ما حذرنا منه، ولتكلف مخابراتها بمراقبة أولئك العملاء. ولم نكن ندري بأن موظفي الدولة يتقاضون مرتبات، ويتلقون هدايا من الهيئة الطبية الإيطالية. وقد سبق لحاكم أسمرة الجنرال غرازياني أن زار صنعاء وأجتاز إليها تلك الهضاب والجبال العالية، وعندما أوصلته الباخرة إلى ميناء الحديدة لم يكن هنالك أية وسيلة لإيصاله إلى الميناء، بل كان الزائر يركب على ظهور عمال الميناء الأقوياء وأحيانا يجلس على كرسي ويحمله العمال إلى البر. وقد التقطت صورة للجنرال غرازياني وهو جالس على الكرسي محمولا على أكتاف وسواعد أولئك العمال الأقوياء. وقد التقى بالإمام يحيى وسلمه رسالة من الدوتشي موسليني مع مجموعة من الهدايا الثمينة، كما فرق الوفد عدة هدايا للشخصيات البارزة في حكومة الإمام. وكانت حكومة إيطاليا تتقرب إلى الإمام وأولاده وحاشيته بالهدايا والمعاشات الثابتة. ولم يكن الإمام يخشى ما تبيته الحكومة الإيطالية من نوايا استعمارية، لأنه كان يعتمد على وجود الاستعمار البريطاني في عدن. وقد جاءت الحرب العالمية الثانية بهزيمة دول المحور، وانتهت بذلك مطامع إيطاليا.

---

(1) أذكر وبكل التقدير والاحترام لشخص من ليبيا كان يعمل مع الإيطاليين كمترجم، وكان عربيا قوميا غيورا أصيب بالتيفوس الذي انتشر سنة 1941م. ولما أحس بخطورة إصابته كان يصرح بكل حماس أرجو أن تدفنوني في مقابر المسلمين، إنني عربي مسلم، وأحذركم من الوقوع في شرك الاستعمار الإيطالي. إنه يبيت نوايا سيئة ضد استقلال اليمن. وقد توفي ذلك الشخص الغيور واسمه محمود= المنتصر ودفن في مقبرة (خزيمة). وقد حضرت الجالية الإيطالية مراسم دفنه، وكانت تظن أن ذلك الاحتفال هو تقدير لإيطاليا، ولهذا وقفوا بعد الدفن يتقبلون العزاء، وقد أحرج الذين حضروا الدفن من اليمنيين. إذ العادة أن يقولوا لأهل المتوفي: عظم الله أجركم. وهنا تقدم بعض الظرفاء وصافح الطليان قائلا هيا عسيلتها، وهي كلمة تقال بعد الصلح بين متخاصمين.

رسالة مؤثرة من زعيمي الأحرار

اشتدت حالة التذمر بين الناس مما قاسوا وعانوا من الأزمـــة الاقتصاديـــة، وانتشار الأمراض المميتة، واشتداد المجاعة. وجاءت الحرب العالمية الثانية لتحظـــى باهتمام اليمنيين على اختلاف فئاتهم. وكان المستنيرون أكثرهم اهتماما بأخبـــار الحرب. وكانت هذه الأخبار تستقى من الإذاعة التي يسمعها من يملكون أجـــهزة الراديو وهم قلة. وقد انقسموا بالنسبة لتأييد الدول المتحاربة فالبعض كان يؤيـــد ويتمنى فوز ألمانيا وحليفتيها اليابان وإيطاليا نكاية ببريطانيا وفرنسا اللتين أذاقتـــا العرب ألوانا من القمع والإرهاب، والبعض الآخر كان يقف إلى جانب الحلفاء لا حبا فيهم ولكن لأنه يعيش معهم في عدن، وعليه أن يجاريهم ويجاملـــهم. وقـــد استدعيت في هذه الأثناء للذهاب إلى البيضاء مع حملة عسكرية لتأديب الشـــيخ حسين احمد الرصاص وجماعته لمناوأتهم حكومة الإمام، وتحصنهم في مناطق لم تكـــن تطالها حكومته، وليست تابعة لحكومة عدن. وكان الشيخ الرصـــاص وجماعتـــه يهادنون الإمام حينا ويناوئونه أحيانا. وقد كانت مرافقتي للحملة فرصة للتعـــرف على سكان منطقة البيضاء القريبة من عدن، ولأرى تلك الحملة التي ليـــس لهـــا مؤن ولا زاد إلا ما تسلبه وتنهبه من الأهالي. وهنا كنت احتـــج علـــى الجنـــود وأمرائهم، وأقول لهم إن عملكم هذا غير شرعي ولا قانوني، وإنكم تثيرون الناس ضدكم، وتجعلونهم يحقدون عليكم، ويتمنون هزيمتكم. بل لقد سمعت امرأة تقـــول

في حماس وغضب: أين ستذهبون إنكم أمام الشيخ حسين احمد الرصاص. ولكن الجنود والضباط لم يهتموا بتحذيري وكلامي، بل قالوا لي: إنك ستموت من الجوع لو بقيت على موقفك. وقضينا ثلاثة أيام في الطريق إلى البيضاء، إذ مررنا بذي ناعم، والطفة، وقرى أخرى مثل شعب الدقيق وهو ممر خطر لوعورة الأرض، ولأنه مكمن لقطاع الطرق ويشبه رقبة الجمل، وكان موقعه بين محميتي (يافع) و(الضالع) الخاضعتين لبريطانيا، ويستطيع في هذا المضيق أي متمرد من المقاومة. فإذا رأى نفسه غير قادر على المقاومة أتجه إلى إحدى المحميتين ونجا من المطاردة والعقاب. وغادرنا شعب الدقيق متوجهين إلى ذي ناعم وبعدها (الطفة)، ومن ثم توجهنا إلى مدينة البيضاء. ولا أدري لماذا سميت بالبيضاء، فهي كسائر المدن اليمنية بمبانيها التي تشبه مباني عدن، وعليها مسحه من الفن المعماري المعاصر في اليمن. وكنا في الطريق إليها نسمع بعض الجنود وهم يحكون الأساطير والملاحم التي رويت أثناء اقتحامها من قبل جنود الإمام يحيى، وما قيل فيها من شعر شعبي يشير إلى بأس الزيود وشجاعتهم. ويروى أنهم عندما اقتحموا مدينة البيضاء وما حولها ارتكبوا أبشع الجرائم من قتل ونهب وهتك أعراض. وقد ظلت الجفوة والكراهية بين الجيش والأهالي قائمتين[1] حتى قيام ثورة 1962م حيث قاتل الشعب بكل فئاته تحت علم الثورة، وتلاشت النزعة الطائفية بفعل الثقافة والعلم واللقاءات المستمرة بين المواطنين. وقد تعرفت على بعض وجهاء المدينة أمثال بيت الرماح، وبيت القربي، وبيت العاقل، وكانوا يترددون إلي ويرتاحون لوجودهم بقربي، خصوصا عندما علموا بأنني لم أكن أقر الجنود على

(1) كتب إلى أمير المفرزة يومئذ العقيد محمد حسن غالب رحمه الله، وكان مع جنوده في مكان اسمه الصومعة بعيدا عن المدينة، وقال في رسالته: تصور أن سكان المنطقة الذين أخذنا منهم بعض الفواش والأغطية كانوا إذا أعدنا إليهم شيئا منها يخرجون بها إلى خارج المحل على محفة ثم يطرحونها الأرض لغسلها وهم يتوجهون إليها قائلين: اخرجي من مذهب الزيود إلى مذهبك.

تصرفاتهم القاسية مع المواطنين، بل كنت أنتقدهم وبشدة. كما أنهم سمعوا بأنني من البعثة اليمنية التي درست في العراق، وأني من المعارضين لسوء الحكم والظلم الذي تمارسه الحكومة وعلى رأسها الإمام ضد المواطنين. وكنت أتلقى رسائل من صديقي احمد البراق يروي فيها ما كان يستمع من أخبار الحرب العالمية الثانية إلى جانب أخبار الأهل والأصدقاء. وكان جميل الصياغة والتعبير، ودقيق الملاحظة. ولا تفوته الإشارة إلى الحوادث المهمة. وكنت أملي على حاكم البيضاء في مجالس القات وحوله كتابه ومريدوه، وأسرد ما جاء في أية رسالة تأتي من صنعاء. وكان الحاكم يبدي إعجابه ودهشته من أسلوب البراق وحسن صياغته.

وكان الأحرار في عدن قد بدأوا يراسلون من يعرفون عنهم صدق الشعور الوطني، ومعارضتهم لجور الإمام وأعوانه. وكان المرحوم العميد محمد حسن غالب هو الواسطة بالنسبة لمن في البيضاء ورداع في تلقي رسائل الأستاذين المناضلين احمد محمد نعمان ومحمد محمود الزبيري، وكانا يحرران الرسائل بقلميهما، ويحثان الآخرين على العمل لأجل التخلص من الإمام يحيى وإنقاذ الشعب من القهر والكبت والإذلال. ولم تطل إقامتي في البيضاء، فقد آثرت العودة مع سرية سلاح الإشارة. ولا بد أن أشير إلى لقائي بالشهيد القاضي يحيى بن احمد السياغي[1] رحمه الله، وكان الحاكم الشرعي في البيضاء. وكنا نقضي أوقاتا جميلة نتحدث فيها عن شئوننا الأدبية والثقافية، وعما تقاسيه البلاد من ظلم وجور. كما التقيت بالمرحوم علي بن احمد صبره، وكان من كتبة الجيش منتدبا في البيضاء، وهو جاري في صنعاء، وكنا ندعى إلى بيته ونتناول الغداء لديه ثم نتوجه إلى دار عامل البيضاء محمد بن عبدالله اسحاق رحمه الله. وهناك

---

(1) القاضي الأديب الشاعر يحيى بن احمد السياغي، شقيق المرحوم القاضي محمد السياغي المناضل الحر العالم المتفقه، قتله الإمام احمد ظلما في تعز بعد سقوط حركة 1955م التي قادها البطل المقدم احمد يحيى الثلايا وزملاؤه الضباط والمشايخ والأحرار، والذين سقطوا شهداء بسيف الطاغية الإمام احمد.

نتعاطى القات ونشارك في الأحاديث التي تدار في المقيل. وعندما طلبت من العامل السماح بعودتي إلى صنعاء استغرب وقال: يجب أن تتأنى حتى يأتي موسم تحصيل الواجبات فنعطيك أمرا بالتحصيل في منطقة من لواء البيضاء، وهناك تحصل على مكافأة عن كل مبلغ تم تحصيله، وهي عادة يقوم بها المحظوظون والمقربون من الأمراء والحكام.

عدت إلى صنعاء بعد رحلة شاقة إلى البيضاء. وقد سلكت مع المرافق نفس الطريق التي جئنا منها، إذ لا طريق غيرها، وكان بودي أن أودع العقيد محمد حسن غالب قبل السفر ولكنه كان مع جنوده في مكان بعيد عن البيضاء. ولم أكن أدري بأن الأستاذين الجليلين احمد محمد نعمان ومحمد محمود الزبيري قد اتصلا بالعقيد محمد حسن غالب، وأرسلا إليه رسائل موجهه إلى من اطمأنا إليه من المستنيرين المعارضين لحكم الإمام يحيى، ومنها رسالة موجهة إلي استلمتها وقد وصلت إلى صنعاء، وكانت الرسالة في منتهى الحماس تحثني على اللحاق بالأحرار إلى عدن. وقد قرأتها فتأثرت بما حوت من تحريض على العمل، كما تأثرت عندما وجدت الزعيمين الجليلين قد أعطياني من الود والصدق ما لم أكن أحلم به. وتنازعتني مشاعر وأفكار متضاربة وسألت نفسي أي العمل الوطني أجدى داخل صنعاء أم بعيدا عنها. وفضلت البقاء في صنعاء لتلقي ما يأتي من الخارج، وللعمل مع المناضل الشجاع احمد بن احمد المطاع، والحاج محمد صالح السنيدار، الوطني الغيور وكان يدعى العزي صالح السنيدار، وغيرهما من الشخصيات الوطنية المخلصة أمثال الشهيد زيد بن علي الموشكي، وإبراهيم احمد الحضراني، والأخ هاشم محمد طالب. وهكذا اقتنعت بالبقاء في صنعاء. وأجبت على رسالة الزعيمين وضمنت الجواب قناعتي التي توصلت اليها، وقد وافقاني على ذلك بل وشكراني عليه. وهكذا بدأت الاتصال بمن أطمئن إليهم وأهمهم احمد بن احمد المطاع الذي عرف بشجاعته في الرأي، ووطنيته الصادقة. وكنا نلتقي في دار الوجيه الحاج عبدالله حسن السنيدار التاجر المشهور، والذي عمل للقضية

الوطنية حتى إذا مر بعض الوقت ظهرت صحيفة صوت اليمن، وكانت لسان حال الأحرار اليمنيين في المهجر وقد أحدث صدورها دويا هائلا في الأوساط اليمنية، إذ كانت تعبر عما في نفوس اليمنيين من ألم وأمل. كما أن الإمام يحيى أعلن غضبه وسخطه، إذ كان يقرؤها بإمعان. وكان اشد ما يؤلمه أن نجله سيف الحق إبراهيم قد التحق بالأحرار في عدن في قصة درامية مثيرة، وكان يناشد أباه الإمام بتعابير عاطفية شديدة التأثير، متشبها بنبي الله إبراهيم عليه السلام، حين كان يناشد أباه بأن يترك عبادة الأصنام، ويؤمن بالله كما جاء في قوله تعالى على لسان نبيه إبراهيم: (يا أبتي لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا، يا أبتي إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا)[1]. وقد غضب الإمام يحيى غضبا شديدا لأن ولده شبهه بآزر والد نبي الله إبراهيم عليه السلام. وقد أمر بأن يرد عليه في صحيفة الإيمان التي كان الإمام رئيس تحريرها، وكان مدير التحرير الأستاذ رشيد سنو الذي أخرجها بشكل جذاب. بعد أن كانت لا تلفت النظر، وأعتذر رشيد سنو أن يرد على السيف إبراهيم فكتب الإمام بنفسه افتتاحية أحد أعداد الصحيفة، وكان كلاما سخيفا مهلهلا. ولما عرض المقال على رشيد سنو اعتذر عن نشره لأنه يسيء إلى سمعته كمدير للتحرير، ولأن كلام الإمام لا يمثل شيئا من المنطق وحسن الأسلوب. وهنا اشتد حنق الإمام، وضغط على رشيد الذي لم يتحمل الضغط واستقال من العمل. وفي الافتتاحية الإمامية جاء هذا البيت من قصيدة قديمة:

خرسنوه وما درى ما خراسان بلبس القباء والموزجين

كما استشهد الإمام بهذا البيت:

يقول ما قالا له كما يقول البيغاء

---

(1)- سورة مريم، الآية (44).

فوق خرائب الجوف

وذات يوم استدعاني سيف الإسلام الحسين إلى قصره. وعندما حضرت وجدت أن الأستاذ زيد عنان قد سبقني، إذ دعاه السيف الحسين أيضا. وعندما واجهناه قال لنا: إن الإمام قد رأى اختياركم لمرافقة الأستاذ محمد توفيق المصري لزيارة آثار الجوف، فحاولوا أن تجاروه وتسجلوا ما يسجل، وانتبهوا لكل ما يقوم به من تصوير وملاحظات. فقلت بأنه يملك من وسائل التصوير والتسجيل ما لا نملكه، فرد علي: سجلوا بما هو متاح. وهكذا تواعدنا على أن نلتقي بالضيف المصري صباح اليوم الثاني وكان نازلا في بيت (صاجان)[1] وهو مما تركه العثمانيون من ممتلكات، وكان الإمام هو الوريث لكل ما خلفه الأتراك من عقار وآلات حربية وأدوات مكتبية وغير ذلك من وسائل النقل. وقد جاء الأستاذ زيد عنان إلى حيث تواعدنا، وكانت سيارة قد أعدت لنقلنا والمحافظين من جنود على رأسهم ضابط. وملئت السيارة بما تتسع له من ركاب ومؤن وصفيحة بترول وبرميل ماء. وتحركت بنا السيارة متجهة شرقا. فمررنا بمناطق جرداء. وقد وقفت بنا السيارة في مدينة ريدة. وتسمى مدينة مجازا، فهي إلى

---

(1) بيت صاجان من بيوت الأتراك التي آلت إلى أملاك الإمام، وكذلك بيت أبي مسمار، وكانت هذه البيوت ينزل فيها الضيوف الأجانب، وبعضها يسكن فيها أولاد الإمام.

القرية أقرب منها إلى المدينة. وكان الوقت عند غروب الشمس. وقد هيأ لنا عامل المنطقة مكانا عاديا للمبيت لنستريح من عناء السفر. وقضينا ليلة مزعجة ليس فيها من وسائل النوم غير فرش من الصوف، ولم نكن بحاجة إلى أغطية فالوقت صيف. وهكذا غادرنا ريدة متجهين إلى منطقة هران على ظهور البغال التي وصلنا بواسطتها إلى (الحزم) عاصمة الجوف، وعدنا بها إلى صنعاء. وكانت رحلة شاقة. وكان سكان الجوف يتحاشون لقاءنا ولا سيما وقد رأوني ورأوا محمد توفيق المصري نلبس البدلة الإفرنجية، حتى أن فتاة بدوية رأت البنطلون فصاحت: وا اماه، أم مشروخ! نعم، استنجدت بأمها لأنها رأت شخصا مشروخا لأنه يلبس البنطلون. وقد كدنا نضيع في وسط غابة من شجر الأثل اليابس لأن الدليل لم يتبين الطريق، ولكن الله كتب لنا السلامة. وحكاية الرحلة إلى الجوف طويلة ربما أشير إليها في غير هذا الموضع. وبالرغم من التعب الذي لقيناه والجوع والعطش في هذه الرحلة، إلا أنني استحسنتها، لكوني عرفت منطقة من بلادي لا تزال تضم آثارا قيمة كانت لي زادا فكريا فيما عندما كنت ولا زلت أتحدث عنها. فقد شاهدت ما يلفت النظر من آثار ذات قيمة تاريخية مهمة. فهناك بقايا مدن ظاهرة على السطح، ولا شك أن أساساتها قد دفنت، وتحتاج إلى منقبين متخصصين. وربما تظهر شواهد على حضارة كانت لها صلة بحضارات دول البحر الأبيض والبحر الأحمر. وبعد أن أجهدنا التعب حططنا الرحال على ضفاف وادي الخارد[1] الذي ينحدر من جبال اليمن، وقضينا ليلة فوق الرمال. وفي الصباح ركبنا على البغال وتوجهنا نحو مركز الجوف الحزم مرورا (بالمطمة). ووصلنا الحزم وكان الحاكم في استقبالنا. وقضينا ليلة ليلاء، فالحر شديد، وفي المساء تهب الرياح بصورة مزعجة حيث تصطفق الأبواب وتحدث صفيرا وأزيزا

(1) نهر الخارد ينزل من جبال بني هلول ويظهر فيه الأسماك المتوسطة الحجم وكان الإمام يعاني من مرض النقرس حيث منع عن اللحوم وسمح له بأكل السمك فكان يكلف من يأتيه بذلك من وادي الخارد.

يهرب النوم من شدته. وأمضينا ثلاثة أسابيع في زيارة الخرائب التي لا تزال قائمة على سطح الأرض. وقد كتب عنها الدكتور احمد فخري وأصدر كتابين أحدهما (اليمن ماضيها وحاضرها، والثاني (بين آثار العالم العربي) وقد أفرد فيه حديثا عن آثار اليمن. وبعد تلك الرحلة المضنية عدنا إلى صنعاء وكان الناس يتهيئون لاستقبال عيد الفطر المبارك. وقد رأينا صنعاء على ما هي فيه من تخلف وتأخر بالنسبة للعالم، فقد رأيناها وكأنها إحدى مدن أوروبا بعد أن واجهنا في رحلة الجوف صنوفا من التعب والعطش وسوء التغذية، وكنا أحسن حالا من أهل الجوف الذين كانوا يتحلقون حولنا انتظارا للعظام التي نرميها وقد أكلنا ما فيها من لحم، ويتلقفون تلك العظام ليسحقونها ويسفونها ليخففوا عن بطونهم ألم الجوع. وجاء العيد وشاركنا أهلنا وأصدقاءنا الأفراح. حتى إذا انقضى موسمه تواعدت مع الأستاذ الفاضل زيد عنان لكي نقابل السيف الحسين ونعطيه صورة عن رحلتنا وأعتقد أن الأستاذ زيد قد دون مشاهداته وانطباعاته عن الرحلة أكثر مني، لأنه قد ألم بشيء عن الخط المسند، أما أنا فقد كتبت بعض الملاحظات عن تفنن الأولين في النقش على الحجارة، وكيف كانوا يطوعون تلك الصخور ويرسمون عليها الخط المسند بأشكال فنية دقيقة. وقد تعرض بيتي للخراب[1] بعد أن نهبت القبائل المتوحشة كل ما كان فيه، وكانت لي أوليات في قرض الشعر، وكنت احتفظ بشهادة الكلية الحربية، وشهادة مكتب الأيتام، ومذكرات حول بغداد، وحتى وثائق البيت الذي تملكه والدتي. كل ذلك وغيره من كتب الأدب والتاريخ نهب، ولم يتمكن احد من اهلي استرجاع اي شيء من ذلك، ولم يكن

(1) أمر الإمام احمد أخاه السيف الحسن بان يشرف على خراب بيتي الذي تملكه والدتي، وهذا ما كان يامر به أي إمام ينتصر على إمام آخر فتخرب بيوت الذين التفوا حول إمامهم. وقد تعرضت بيوت آل الوزير للخراب. وهذا بعد ان قتل الإمام عبدالله بن احمد الوزير وبعض آله، وكان الأجدر بالإمام احمد أن يصادر تلك البيوت ويحولها إلى إدارات ومواقع رسمية ليستفاد منها.

للسيف الحسين مكتب أو سكرتارية لكي تحدد المواعيد مع من يطلبون مقابلتـــه. وقد توجهنا إلى قصر السيف الحسين صباح أحد الأيام، وقلنا للحراس بأننا نريـد مقابلة السيف الحسين بعد أن عدنا من المهمة التي كلفنا بها إلى الجوف. وطلـــب الحراس منا أن ننتظر حتى يبلغ السيف الحسين بوجودنا في باب القصر. وهكـــذا أشعروا الدويدار[1] بأننا في الباب وبلغوه أسماءنا. وغاب لحظة ثم عـــاد ليقـــول للحراس اسمحوا لهم بالدخول، فدخلنا إلى مكتبه في أسفل القصر وانتظرنا حـــتى وصل السيف الحسين، وقمنا للسلام عليه، وسمع منا ما شاهدناه أثنـــاء رحلـــة الجوف وقد وصفنا له وادي الخارد الذي يسقي الجوف، وطيب الأرض، وكيـــف يمكن أن تكون مزرعة تغني اليمن بالحنطة والذرة والشعير. كما عـــرض عليـــه الأستاذ زيد ما تمكن من رسم بعض النقوش الأثرية مـــع ترجمـــة أوليـــة لتلـــك النصوص. ولم يهتم السيف الحسين بوصفنا للآثـــار بقـــدر اهتمامـــه بـــالأرض الزراعية، وأنه من الممكن أن يمتلكها هو لنفسه لا سيما وبها أصـــهاره مـــن آل الضمين ولهم نفوذ في الجوف. وقد قيل لنا بأنه أرسل من يكتشف تلـــك الأرض البكر وجدواها إذا استصلحت، كما بلغنا بأنه أقنع والده الإمام يحيى بـــأن يجعلـــها أرضا خراجا لأنه فتحها حربا وبالتالي فهي أرض خراجية. وهكذا اســـتولى الإمـــام وولده السيف الحسين على أرض الجوف، ولا سيما التي تسقي بوادي الخارد الـــذي لا ينقطع طوال السنين. وودعنا السيف الحسين الذي لم نسمع منه حتى كلمة شـــكر للجهود التي قمنا بها، ولم نكن ننتظر منه أي شيء يريح أو يسعد.

---

(1) الدويدار ولد صغير لا يتجاوز التاسعة من عمره يخدم في قصور الملوك والأمراء، وينفذ أوامر النســـاء المحجبات. وكان يختار من بين رهائن المشائخ الذين يكلفون بارسال رهائنهم إلى الحبس إشـــارة إلى إطاعتهم للإمام. وإذا تمرد احد الشيوخ او أظهر شيئا من التمرد وعدم الخضوع لأوامر الإمام يكون رهينة هو وولده او ابن أخيه أو أخاه محط غضب الإمام. فيتعرض للقيد والمضايقة، ويقطـــع عنـــه المصروف اليومي حتى يظهر الشيخ الطاعة والامتثال.

قصيدة أمام الفضيل الورتلاني وحماس علني للتغيير

عندما حلت سنة 1946م كان الأحرار قد أصدروا صحيفة صوت اليمن. وكان الناس يتهامسون بعبارات التذمر، وتوقع قيام حركة أو ثورة تطيح بأعتى حكم كهنوتي لم يعرف مثله في التاريخ. وتسارعت الأيام حتى إذا اقترب عام 1947م عاد السيف عبدالله نجل الإمام بعد أن قام بجولة في أمريكا وأوروبا. وكان المفكرون من أبناء اليمن يؤملون فيه خيراً لأنه كان ميالاً إلى الإصلاح وإخراج اليمن من عزلتها ولا شك أنه تأثر بما شاهد من التقدم في أمريكا وأوروبا، وأحس بالفارق المهول بين واقع اليمن وواقع العالم المتمدن. وقد رحب به اليمنيون ترحيباً مؤثراً، ولا سيما الشباب المتحمس للتطور والساعي للتغيير بكل جد. وقد أقيم حفل استقبال للسيف عبدالله في قاعة المدرسة الثانوية الوحيدة في اليمن اشترك فيه المثقفون من كل الفئات، وبالذات طلبة المدرسة العلمية. وقد ألقيت القصائد الرنانة في هذا الحفل، وامتدح فيها السيف عبدالله. كما صدر عدد خاص من جريدة الإيمان نشرت فيها كل ما ألقي في هذا الحفل، الذي حضره أيضا السيد العالم الجزائري الفضيل الورتلاني[1] والذي كان قد اقنع

---

(1) الفضيل الورتلاني عالم إسلامي وثائر جزائري كان الاخوان المسلمون وجدوا فيه رسولا إلى اليمن حيث لم تكن قد وجدت فيه أحزاب، ولان الشعب اليمني قوي في إسلامه. وقد جاء إلى اليمن

الإمام بضرورة الانفتاح على العالم وإقامة المؤسسات الاقتصاديـــة والمصرفيـة، والتعاون مع مصر في المجالات الزراعية والتعليمية والثقافية. وكان مجيئه من مصـر للمرة الثانية بعد أن تمكن من وضع اتفاقية تجارية مع رجل الأعمـــال المصـري الحاج محمد سالم، وقد توجه المحتفلون بكلامهم وخطبهم وقصائدهم إلى الفضيـل الورتلاني يحيونه كرمز للنضال العربي، وكطليعة من طلائع الإصـــلاح وتطويـر اليمن، وقد أثنوا عليه كثيرا. وأذكر إنني شاركت بقصيدة جعلت اسم الفضيـل (الفاضل) وهي نونية جرتني إليها الألف والنون لاسم الورتلاني. وأذكر في هـذا السياق أن الأخ يحيى فايع ألقى كلمة حماسية، وكان يلقي بعـض فقراتهـا ذات الإثارة على أمل أن تقابل بالتصفيق أو يقول الحضور (اعد) كما يقال للشـاعر عندما ينشد قصيدته ويصل إلى بيت قوي النبرة والتأثير فيقال له: (أعد). وأذكـر أنه قال بعد جملة كان قد استحسنها: أنا سأقول لنفسي (أعـد)، وهنـا ضـج الحضور بالضحك وأبدوا والاستحسان وصاحوا: (أعد: أعد). وكـانت نكتـة ظريفة. وبعد أن انتهى المتحدثون والشعراء والمتكلمـون، جـاء دور الأسـتاذ الفضيل ليختم الحفل بكلمة منه، فبعد الاستفتاح حامدا لله ومصليا على رسـول الله، بدأ بالتحية للحضور، والشكر للذين كرموه وأشادوا به، ثم قال في ذكـاء وإدراك: أيها الأخوة إنكم عندما توجهتم بالثناء علي وقلتم في الكثير من الشـكر والتقدير، إنكم بذلك تكرمون الصراحة والحرية مجسدتين في شخصي، إذ أنـي لا استحق ما منحتموني من تقدير وتعظيم، ولكنكم أعجبتم بصدق تعبـيري عمـا يختلج في صدوركم من طموح وحب للتحرر والانطلاق. وكانت كلمة مكاشـفة مؤثرة واستثارة للكامن في الصدور. وقد كان حضور السيف عبدالله إلى الحفـل غطاء لكل ما قيل وضوء أخضر للحماس والانطلاق في التعبير بـلا خشـية ولا

ليؤسس شركة وطنية بتمويل من الحاج محمد سالم المصري، التاجر الكبير، وكان في ذهن الورتـلاني أن الشعب اليمني قابل لإقامة مجتمع إسلامي ولتنطلق منه حكومة إسلامية متطورة.

مبالاة. وفي الحقيقة كنا نحن الشباب في ذلك الموقف نكاد أن نلتهب ثورة ومجابهة ضد أي إجراء رسمي ضدنا، بل اعتقد لو أن الفضيل يومئذ دعا إلى اقتحام مقام الإمام واعتقاله لما ترددنا ولو واجهنا رصاص حراس الإمام بكل شجاعة وإقدام. وهنا أود الإشارة إلى شخصية الفضيل الورتلاني ومدى تأثيره يومئذ على المفكرين والمثقفين والسياسيين، واستسلام الجميع لقيادته، واقتناعهم بقوة تأثيره وقدرته على تجميع الوطنيين لمواجهة الإمام ومطالبته بالإصلاح وإطلاق الشعب اليمني من الأسر.

هروب السيف إبراهيم إلى عدن

وفي هذا الوقت المشحون بالسخط والغضب كان سيف الحق إبراهيم بن الإمام قد لحق بالأحرار في عدن بعد أن تظاهر بالمرض، ونصح الأطباء بخروجه للعلاج في أسمره. ويروي احمد محمد الشامي في سيرته (رياح التغيير في اليمن)[1] بأن السيف إبراهيم كان يعد لانقلاب على أبيه ولكنه لم يجد تجاوباً من أخوته ورجال الحكومة. وقبل أن تكشف محاولته نصحه أخوته بالتظاهر بالمرض بحيث اقتنع الإمام بضرورة إرساله إلى إحدى المصحات المتقدمة في إيطاليا، وقد وافق الإمام على ذلك. وعندما وصل إلى أسمره اتصل بالأحرار في عدن وأشعرهم بأنه متوجه إليهم ليعمل معهم على إقناع الإمام بضرورة تغيير سياسته في حكم اليمن. وكان يرافقه الأستاذ احمد البراق، وقد كان معه بمثابة السكرتير أو كاتم السر. وكان البراق من أصدق من عمل للقضية الوطنية وقد قدم حياته ثمنا لذلك، لأنه وقع في قبضة السيف احمد الذي ألب القبائل المحرومة ضد ثورة سنة 1948م، وأعدم في حجه مع من أعدم من الأحرار. وكان البراق ذكيا وطنيا صادقا. وقد جالس السيف إبراهيم من قبل أن يزين له الخروج من اليمن. ولعله قد أقنعه بألا يتزعم حركة الأحرار ليضمن لأسرة حميد الدين سلامتهم عندما تقوم الثورة،

---

(1) انظر كتاب احمد محمد الشامي رياح التغيير في اليمن، صفحة 185

ليقتنع الشعب اليمني بعدالة ما يطلبه الأحرار. وفي هذا السياق يقول الأخ احمد محمد الشامي في كتابه الأنف الذكر: كنا في شهر أكتوبر سنة 1946م. وكان الإمام يحيى في منتزه الروضة شمال صنعاء، والسيف عبدالله مع أخيه يحيى ووفد يمني ضمنه السيد حسن بن إبراهيم، والسيد علي المؤيد، والدكتور عدنان ترسيسي والقاضي محمد العمري، وهاشم بن هاشم، وآخرون. كانوا جميعا في مصر، وانتشرت إشاعة أن الإمام يحيى مريض جدا. وعدت ذات يوم إلى البيت فقيل لي إن الأمير إبراهيم قد مر بعربيته وسأل عني، ثم ذهب مع أخي عبدالوهاب والأخ محمد احمد الشامي. وعندما عاد أخي إلى البيت ظهراً قال إن الأمير إبراهيم ذهب وهما بصحبته إلى قصر السلاح وأخبر مدير القصر والمسئولين أن يكونوا يقظين لأن الإمام في النزع الأخير إن لم يكن قد مات. وأن أحد إخوانه علي أو إسماعيل سيصل إلى القصر إذا جرى أمر الله في الإمام. ثم مروا على (عرضي النظام)[1] وعلى عرضي (الجيش الدفاعي). وتحدث الأمير إبراهيم مع أمرائهم وضباطهم بنفس الكلام الذي تحدث به مع مسئولي قصر السلاح. وسقط في يدي عندما سمعت هذا الخبر، وذهبت فوراً إلى بيت الأمير إبراهيم فوجدت نجل عامل صنعاء السيد محمد حسين عبدالقادر خارجاً من عنده وهو متغير الوجه وقال لي مسرعا: خبر مهم والحالة خطيرة. وهنا تركته ودخلت على الأمير إبراهيم وكان لديه أمير الجيش النظامي السيد علي بن إبراهيم وسمعته يقول له: نعم الإمام في النزع الأخير، وما سيستجد سأخبركم. لا تغادروا بيتكم، وكونوا على يقظة واستعداد. وهنا غادر مجلس الأمير أمير الجيش، فقلت متسائلا: ما هذا العمل، وماذا تقول؟ فرد علي: الإمام فعلا مريض وأطلب منك فورا أن تذهب إلى أخي علي وترافقه إلى قصر السلاح لاحتلاله، وأنا سأذهب إلى أخي إسماعيل ليذهب إلى العرضي لإمساكه، وسأذهب إلى الروضة لألقي القبض على الإمام وعلى أخي الحسين، وسيكون كل شيء تحت امرنا. قلت:

---

(1) العرضي: تعريب للكلمة التركية الأوردة وهي المجموعة من الجيش، ولعلها من كلمة الاستعراض عندما تمر سرايا الجيش أمام القائد الأعلى.

وماذا سيعمل ولي العهد؟ قال: لن يستطيع أن يعمل شيئا إذا ما مسكنا صنعاء، والجيش والسلاح والمال فيها. وسيصل أخي عبدالله، وأخي يحيى، ويجمع أهل الحل والعقد ليختاروا لهم من يرتضونه إماما من بيت حميد الدين أو غيره. أما الإمام يحيى فقد كبر سنه، وكثرت أمواله، ولم يعد قادرا على إدارة شئون الدولة فقلت له: هذا هو الجنون بعينه ولكن تعال أولا لنذهب إلى السيف علي لنتدارس الأمر. وعندما أخبرنا السيف علي بما كان صعق وقال: لو وصل النبأ إلى أخي الحسين وهو عند الإمام الآن في الروضة وأخبر الإمام فسيأمر بإلقاء القبض علينا. وعلى أخي عبدالوهاب، ومحمد بن احمد الشامي، وسيحملونني المسئولية أنا العائد من عدن ويقولون إنني عدت لأتآمر على الدولة وفي هذه الأثناء وصل السيف إسماعيل قلقاً فزعاً وقال: ماذا فعلت يا إبراهيم؟ لقد جاءني قادة الجيش. وحرس قصر السلاح يعرضون استعدادهم للقيام بأية خدمة وأخبروني بما قلت لهم. وبعد أن تدارسنا الأمر للخروج من هذه الأزمة اقترحنا على السيف إبراهيم أن يتظاهر بالمرض، ويمثل دور المريض بالصرع، وبهذا نقترح على الإمام لكي يسفر إلى إيطاليا للمعالجة. وهكذا تم الأمر. فقد رفع الأطباء الطليان تقريراً عن حالة السيف إبراهيم وضرورة إسعافه إلى أسمره أو روما. وكان معه الأستاذ البراق سكرتيره الخاص، والدكتور روسي الإيطالي. ويومها اقتنع الإمام يحيى بسفر نجله إبراهيم، وتم الاتصال بأسمره. وقد نقل من ميناء الحديدة إلى أسمره على ظهر باخرة، وهناك وبعد أن مضى على ذلك أسبوع أو أقل أو أكثر تم الاتصال بالأحرار في عدن، وأن السيف ابراهيم عازم على الانضمام إليهم فرحبوا ترحيباً عالياً. ورأوا فيه شاهداً من أسرة الإمام المتخلف البخيل وشخصية تشد من أزر الأحرار وتؤيد حركتهم وتزيد من نشاطهم. وقد قام الأستاذ البراق بدور خطير. إذ حرض السيف إبراهيم على أن يلتحق بالأحرار في عدن وتم له ما أراد كما أسلفت. وقد انزعج الإمام يحيى لتصرف ولده إبراهيم وحاول أن يسترده إلى صنعاء، حيث أرسل شقيقه سيف الإسلام عبدالله ليحاوره ويقنعه بالعودة، وعززه بشقيقه الأصغر السيف يحيى. وكان السيف إبراهيم يتظاهر بأنه مقتنع بالعودة

ولكنه مثقل بالديون لبعض الفنادق وبعض التجار، واستلم مبلغا من المال كما أورد الحديث حول ذلك الأستاذ احمد محمد الشامي الذي أرسله الإمام يحيى وخوله أن يصرف أي مبلغ للسيف إبراهيم ويسدد ديونه. إذ يقول الشلمي: وفي اليوم التالي سددنا حساب فندق إحسان، وسلمت للأمير إبراهيم ما يساوي ألف جنيه إسترليني، وأحضرت مع الأخ حسين الويسي والوجيه سيارتين خصوصيتين وثالثة لنقل المتاع. وغادرنا فندق إحسان ومع الأمير البراق ونعمان والزبيري كأنهم حضروا لتوديعه إلى بعض الطريق. وركبت أنا والوجيه سيارة الويسي. وقد خرجا مع الأمير كأنما يودعانه. واجتزنا (بغدة عدن- ممر صخري في الجبل المطل على المعلا- والتسمية باللهجة المحلية هي (فرضة عدن) في الجبل، وهبطنا إلى الطريق المؤدية إلى الشيخ عثمان. وفي الطريق كنت أسمع الوجيه يقول: إنها خدعة، وإنها حيلة، ويقول حسين الويسي[1]: لقد حذرت الأخ احمد، وفعلا كذلك الأمير ومن معه من الأحرار قد بيتوا أمرا، ومثلوا حركة ذات مغزى. إذ ماكنا نصلون إلى الشوط الأخير في التمثيلية حتى وقفوا ليودعوا من حضر لمرافقتهم وليعودوا إلى عدن وفيها مقر الأحرار. وقد تألم احمد محمد الشامي لهذا الذي حصل، وعرف أنه راهن على سراب. ورجع إلى تعز ليقدم الأعذار لولي العهد احمد حميد الدين وليقص عليه الحدث. وهكذا استفاد الأحرار فائدة مالية ساعدتهم على الاستمرار في إصدار صحيفة صوت اليمن، ومواجهة متطلبات العمل اليومي وضرورات العيش، وأعلن سيف الحق إبراهيم في الصحف العدنية وصحيفة صوت اليمن التي أعلنت إصرار سيف الحق على أن لا يعود إلى صنعاء إلا بعد أن تسقط حكومة الإمام يحيى. وتنتهي مهزلة الحكم الفردي المتسلط. وهنا اتصل السيف احمد بواسطة عملائه في عدن ليتصلوا بالإدارة الاستعمارية

(1) السيد حسين الويسي مفكر يمني واديب ومثقف وقد الف كتاب اليمن الكبرى ضم ملامح من تاريخ اليمن وجغرافيتها، وكان متعاطفا مع الأحرار، ويظهر ان الإمام احمد لم يغضب عليه فابقاه، ولكن ثورة سنة 1962 حاكمته وحكمت عليه بالسجن المؤبد، غير أن احد الضباط الطائشين أمر باعدامه، وفقدت اليمن شخصا مهما. رحمه الله.

البريطانية مبديا رغبته في زيارة سلطان لحج. وقد استجيب لطلبه وحدد موعد الزيارة وتمت. وتوجه إلى عدن في موكبه الغريب. ومعه طباخه الخاص، وحلاقه الخاص. وحرسه وحاشيته. وقد استقبل من قبل السلاطين وبعض اليمنيين الجهلة والتجار الانتهازيين. وكان أمله أن يختطف الأحرار وأهمهم الأستاذ احمد محمد نعمان. وزميله الأستاذ محمد محمود الزبيري، ولكن محاولته أحبطت. فقد فهمت الإدارة الاستعمارية البريطانية مغزى الزيارة، وشددت الحراسة على نادي الأحرار بحيث أفسدت خطة الطاغية. وقد نزل في قصر سلطان لحج، ومارس عمله كما لو كان في تعز. فقد كان يأمر بحبس اليمنيين عندما يشكو بعضهم بعضاً. وجعل قصر سلطان لحج سجناً ومحكمة ونزلاً، وخرج عن آداب الضيافة وأساء التصرف في الأمر والنهي حتى ضاق به مضيفوه. وقد ألمحوا لبعض حاشيته بأنه يجب أن يغادر عدن قبل أن يتعرض لشيء من الإهانة والطرد، وأشعره بعض حاشيته بأنه من الخير أن يرحل. وهكذا تم رحيله بعد أن كشف عن شخصية مهزوزة، وقدم الدليل على نفسه بأنه إنسان دموي. كما أن الحركة ازدادت قوة، وانتشر اسمها، وذاع صيتها، وعاد ولي العهد يجر أذيال الخيبة والفشل، وقدم الدليل على أنه شخص تحكمه غريزة الأنانية وحب نفسه. وكان الأمل أن يبدأ في تصحيح أخطائه، وتنفيذه لسياسة إصلاحية تقلل من سخط الناس عليه، ولكنه أصر على سياسة القهر والبطش، وتحدي الأحرار داخل البلاد وخارجها، كما تحدى طبيعة التطور حتى مات سنة 1962م مكروها من أهله وحاشيته، ولم تذرف عليه دمعة رثاء، بل جاءت ثورة 1962م فكانت فرحة للشعب لا تقاس بأي تعبير، وأهيل التراب على ذلك الوحش الآدمي وصار إلى زاوية النسيان، وإذا ذكر فلا يذكر بخير لأنه لم يترك بعده مأثرة تدل على إنسانية تجلب له الرحمة، ولكنه ترك قلوبا جريحة وعيوناً دامعة دامية.

فشل جهود الفضيل الورتلاني الإصلاحية واقتناعه بموقف الأحرار

كان الفضيل الورتلاني قد غادر صنعاء إلى القاهرة[1]. ولا شك أنه اجتمع بالأحرار اليمنيين الذين اتخذوا من القاهرة منطلقا للنضال، ومنهم الأستاذان احمد حسن الحورش، ومحيي الدين العنسي. ولا شك أنه حكى لهما ما دار بينه وبين الإمام يحيى من حوار حول الإصلاح الإداري والاقتصادي، وضرورة تشكيل حكومة مسئولة بعد أن يكون هنالك مجلس نواب لأعضائه أن يقروا القوانين. ويدافعوا عن الشعب عند تعرضه للمظالم وسوء الإدارة. فكان الإمام يسمع مقترحات الفضيل بغيض وحنق وضيق، لأنه لم يعتد من يصارحه بتلك الطريقة. ولكنه كان يكتم غيظه مخافة أن يشهر به وينقل إلى العالم العربي ما لاقى من عنت الإمام وقسوته. وعندما عاد ومعه الاتفاقيات التجارية من أجل إقرارها وتوقيع المختصين أعضاء مجلس إدارة الشركة اليمنية المصرية، وكان الإمام يحيى قد بلغه

---

(1) كان الفضيل الورتلاني قد اجتمع بالإمام يحيى في أول زيارته لليمن وصارحه بضرورة التغيير في إدارة الحكم، وقد شهد الدكتور احمد فخري عالم الآثار رحمه الله بعض الحوار الذي كان يدور بين الإمام وبين الأستاذ الفضيل، وكان يبدي دهشته من قوة شخصية الورتلاني أمام الإمام، وكيف كان يصارحه بمنطق قوي. ويسوق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تلزم أئمة المسلمين بالإصلاح، وتحذرهم من عاقبة القسوة والبخل والظلم. وكان الورتلاني يقول للإمام: أترضى أن ترى المسلمين عرضة للجهل والفقر والمرض وأنت أمير المؤمنين؟ أترضى للشعب أن يكون ذليلاً جاهلاً فقيراً مريضاً وأنت نجل رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول: (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم).

وصول الفضيل إلى الحديدة على ظهر إحدى بواخر الشركة التجارية المصرية، وكان يشعر بأن الفضيل يتكلم بنفس الأحرار ومتطلباتهم، وكان في الوقت الذي سمع فيه بقدوم الورتلاني مجتمعا ببعض تجار صنعاء ربما من أجل الشركة اليمنية. وأثناء الحوار معهم أخبرهم بأن الفضيل الورتلاني قد وصل، وانه يخشى على التجار من أن يستولي على أموالهم باسم الشركة ويرى فيه لصا مختبأ في ثوب مصلح. وقد نقل بعض من حضر اللقاء ما سمعه من الإمام إلى الفضيل الذي قيل بأنه ابتسم قائلا: يقول الإمام بأنني لص وهو الذي يسرق أموال وأرواح رعاياه المسلمين؟ إنه سيعلم من هو اللص ولا بد أن يحاسب على كل ريال استولى عليه من الشعب. إنه يسرق رعيته باسم الدين، وبأنه من سلالة النبي المصطفى الذي كان لا ينام إذا باتت عنده صدقة من أموال المسلمين خشية أن يموت وهي في يده. وهكذا أصر الفضيل على إسقاط هذا الكاهن الشحيح، وإنقاذ اليمنيين من قسوته ولؤمه. ومن هنا أيقن بأن الأحرار على حق. وأنهم تأخروا عن مقاومته وإسقاطه. وقد بيت النية من يوم اقتناعه بأنه إمام طاغية متحجر عدو لأهله ولشعبه، وبدأ يفكر مع المثقفين والأدباء الذين آنس فيهم نزوعا إلى الحرية والخلاص من حكم الفرد المتفرد في طريقة الخلاص. وكان مقتنعاً بأن الإمام يحيى لن يغيره الوعظ، ولن يزحزحه الكلام وقصص التاريخ. فقد جبل على اللؤم والفظاظة والبخل والقسوة، علماً بأن نجله السيف أحمد حاكم تعز كان يجاري الفضيل في افكاره، ويستمع إلى نصائحه، بل كان يبكي بين يديه تأثراً بما يستمع، وخشية من عواقب الظلم، ويشكو من أن والده الإمام لا يستمع ولا يتأثر بما أرسل إليه من أفكار حول الإصلاح. وكان الفضيل قد كشف عن نفسية احمد، وعرف أنه ممثل دجال حتى وهو يتظاهر بالبكاء من سوء ما وصلت إليه الحال، ولكنه مقيد بطاعة الإمام ومجبر على احترام أوامره. وكان الأمير السيف احمد قد أهدى الفضيل جبة من ملابسه الخاصة وهي من الجوخ الأزرق، وكان الفضيل

يلبسها من فوق البدلة فيزداد جلالا وجمالا، لأن له قامة فارعة، ووجها مشرقا، وهامة مرفوعة. وابتسامة لا تفارق وجهه. وكان مهيب الطلعة، من رآه سرعان ما يرتاح إليه ويتأثر به.

ومن حسن الصدف أن اختار له السيف احمد مرافقا ليكون واسطة بينه وبين الفضيل، وليعينه على التعرف على البلاد وأهلها، وهذا المرافق هو الأديب الشاعر احمد محمد الشامي. ولا شك أن مهمته كانت أيضا ملاحظة الورتلاني وما يتحدث به إلى الآخرين، ومن يزوره ومن يأنس به. وكان احمد الشامي مهيئا لأن يلتقي مع أفكار الورتلاني بالنسبة للإصلاح، فصادف قلبا خاليا فتمكن، كما يقال. وكان الفضيل رحمه الله قد عرف طموح احمد الشامي، وخبر أفكاره، ووجده يحقد على سيوف الإسلام ويسخر منهم ومن تفاهة تفكيرهم. وبدأ الفضيل يقارن بين احمد الشامي وسيوف الإسلام، وقد يقول أحيانا إنك أوسع ثقافة، وأبعد تفكيرا، وأكثر وطنية من هؤلاء السيوف، بل إنك أحق بمنصب كبير في المجتمع، فلماذا يحتكرون المناصب العالية وهم لا يملكون شيئا من الثقافة والعلم والمعرفة؟ ويضرب بهم الأمثال قائلا: هذا السيف القاسم، ذو الوزارتين الصحة والمواصلات، وهذا السيف إسماعيل الذي يتمتع بغباء وجهل وتخلف. ما قيمته العلمية والفكرية؟ وهذا السيف المطهر، والسيف الحسين، والسيف الحسن، ما مدى معرفتهم بسياسة الحكم؟ وما هي ثقافتهم؟ وماذا قدموا للشعب من خدمات غير احتقارهم له واستخفافهم به؟ وهكذا بقي الفضيل يقطر في ذهن وعقل احمد الشامي كل ما يستفز الإنسان ذا الإحساس اليقظ والشعور المرهف، إلى جانب ما كان يفسر له القرآن بمفهوم العصر الحديث، ويشرح له السنة النبوية بأسلوبه الأخاذ، وبلاغته الفذة. كما كان يشير إلى عقلية الإمام المتحجرة، ونفسيته المعقدة، وطبعه اللئيم، إذ صار سجانا لشعبه يختزن ما يجبيه من زكاة وضرائب، ولا يصرف شيئا من تلك الأموال إلا ما يصرفه الشحيح غصبا عنه. لقد نصحه الكثير ممن كانوا يزورون اليمن بضرورة إحياء الزراعة وتوسيع رقعتها، وفتح المدارس والمعاهد الفنية، واستغلال الأرض الطيبة، ولكنه لا يسمع

ولا يعي، ولا يتقبل النصح. ويروى أن خبيرا زراعيا زار اليمن وطاف ببعض مدنها مثل إب وتعز والحويت، وبعض ضواحي صنعاء، وعندما قابل الإمام ليودعه سأله الإمام كيف رأيت اليمن؟ فقال على الفور: إنها جوهرة في يد فحام. أي أنها شيء ثمين ولكنها في يد لا تقدرها ولا تعرف قيمتها. وقد استاء الإمام من الجواب، ولكنه لم يفصح عن غضبه. كما أذكر بأن رجل أعمال مثقف[1] جاء من العراق إلى عدن يلتمس أماكن للاستثمار، وقد سمع عن اليمن وعزلته وفكر في زيارة صنعاء. ولما كاشف بعض من لقي من تجار صنعاء بما ينوي عمله سأله التاجر ما معك من المال؟ قال: لدي شيكات بألف دينار، وكان الدينار العراقي يومئذ يفوق الجنيه الإسترليني، وكان صرف الجنيه الإسترليني في عدن يفوق أثنى عشر ريالاً، فقال له التاجر: ولكنك لن تجد مصرفا في اليمن. فرد عليه رجل الأعمال العراقي متسائلاً: فما العمل؟ فقال صاحب صنعاء: أرى أن تبيع هذه الشيكات ممن يرغب فيها من أهل صنعاء ويحول لك مقابلها ريالات من صنعاء، فاستحسن الفكرة ونفذها، ووصل إلى صنعاء ونزل في دار الضيافة حيث لم تكن هنالك فنادق أو منازل للضيوف، وكان يعتذر للذين استقبلوه وأنزلوه بدار الضيافة قائلاً لهم: أنا لست موفداً رسمياً ولكنني زائر لحسابي الخاص، فردوا عليه: ولكن مولانا الإمام يعتبر أي وافد أجنبي ضيفا عليه. وأمضى قرابة أسبوع بدار الضيافة. وكان قد ألح على مضيفيه بأنه يرغب في مقابلة الإمام وكان له ما أراد. وعندما واجه الإمام أبان عن سبب زيارته، وصارح الإمام بأنه استغرب وهو في عدن بأن ليس في اليمن مصارف أو مسئول من أجل التعامل مع العالم الخارجي. وسأله الإمام: وما هي هذه البنوك وما هو عملها؟ فرد عليه الزائر العراقي: إنها واسطة لتسهيل المعاملات الاقتصادية والتجارية مقابل فوائد رمزية. فظن الإمام أن هذا الزائر هو لاعب سياسي، وأنه جاء ليطلع على ما في خزائن الإمام والتجار من أموال، فأسرها في نفسه، وقال له: لا بد أن تلتقي مع التجار

---

(1) هو رجل الأعمال ثابت عبد النور وقد كنت أزوره في داره التي استأجرها لحسابه الخاص. وزرت أولاده وأحفاده في بغداد وهم صيدلية كبيرة وسألتهم عنه فقالوا لي لقد توفي منذ خمس سنين.

وتتفاهموا، وليكن يوم كذا موعدا للقاء بعد الظهر. وكادت الفرحة تقفز من عينيه لأنه كان يعتقد بأن الإمام قد سره الاقتراح بإنشاء مصرف تجاري في اليمن. وجاء موعد اللقاء وكان الإمام قد التقى بتجار صنعاء ونبههم إلى مسألة الزائر العراقي وما جاء من أجله، وحذرهم من أن يستجيبوا له أو يوافقوه على أفكاره خشية أن يكون مرسلا من طرف دولة عدوة لحصر ما في خزائن الدولة والتجار، وكما توهم الإمام عندما حدثه عن نظام البنوك، وأن إصدار صكوك هي بمثابة سندات مقابل ما مع البلاد من ذهب وفضة وممتلكات والتي تصبح غطاء لتلك الصكوك أو البنكنوت.

وهكذا تم لقاء الزائر العراقي مع تجار صنعاء بحضور الإمام، وكانت مقابلة عاصفة. إذ قام بعض التجار البارزين ومعه كيس كبير وفتحه ونثر ما في داخله، وهي فلوس ألمانية ورقية من ذات المائة مارك والخمسين والعشرين مارك، وقال للزائر العراقي: أرجو أن تحيي لي هذه الأموال الميتة، فإذا فعلت آمنا بالبنوك؟ وهنا ابتسم الزائر العراقي ابتسامة فيها سخرية وقال للتاجر: لو كان لكم بنك لما ضاعت عليكم هذه الماركات، ولكنكم خزنتموها في الأكياس حتى ضاعت قيمتها بعد سقوط ألمانيا في الحرب العالمية الأولى. ثم التفت الزائر إلى الإمام وقال له: كنت أرجو أن ألتقي بشخص عالم في الاقتصاد أو خبير في التجارة، ولكن مع الأسف وجدت من لا يطلع على المعاملات التجارية التي أصبحت تقوم على العلم والخبرة. وابتهج الإمام بهزيمة الزائر العراقي أمام الجهل والغباء، وانفض المجلس وتمت المقابلة الهزيلة، ليعود الزائر العراقي إلى بيته الذي استأجره وأثثه بفاخر الأثاث بعد أن ترك دار الضيافة، وكان يستقبل زائريه في أكثر الأوقات ويحدثهم عن تطور العالم وتقدم العلم، وغادر صنعاء حزينا على حالة الجمود والركود في اليمن.

انكشاف مخطط الأحرار وقيام ثورة 1948م

كنت قد أشرت إلى الأستاذ الفضيل الورتلاني، المصلح الذي تفرغ للعمل في اليمن، وحاول إقناع الإمام يحيى بضرورة الإصلاح وتغيير الواقع المتخلف في الأرض السعيدة، وصحبة الأستاذ الأديب احمد محمد الشامي له كمراقب لتحركاته من قبل ولي العهد احمد بن يحيى حميد الدين، وكيف تمكن الفضيل من التأثير على الشامي وإقناعه بالعمل على إصلاح الوضع ولو بالقوة، لأن بقاء اليمن وشعب اليمن على تلك الحالة البشعة من الفقر والمرض والجهل أمر يدعو إلى تجريم العلماء والمفكرين والمثقفين وأصحاب الرأي. وهكذا بدأ الشامي يميل إلى العمل الثوري، بل شارك في وضع صيغة العمل الوطني، فانضم إلى أحرار اليمن وكان قد عمل معهم ولكن حدث خلاف بينه وبين قيادة الأحرار، مما جعله يعود من عدن إلى تعز ليعمل في ديوان ولي العهد احمد بن يحيى حتى جاء الفضيل الورتلاني. وشاءت الصدف أن يكون الشامي مرافقا له أثناء إقامته الأولى في صنعاء، ثم بعد عودة الفضيل من القاهرة للمرة الثانية حيث تم الإعداد للثورة. ولقد كانت بيني وبين احمد الشامي صحبة استمرت إلى اليوم، حيث تعرفت عليه في بيت الشاعر الأديب عبدالكريم إبراهيم الأمير الذي كان بيتي قريبا من بيته، وكان أخي محمد رحمه الله يتردد على بيت عبدالكريم للمقيل[1] كما كان سببا في

---

(1) المقيل: من القيلولة، عادة يمنية لا سيما في صنعاء، إذ أن الناس لا يحبون النوم بعد وجبة الغداء، بل يتعاطون مضغ (القات) في أماكن متعددة كل حسب ميله الفكري. وكانت بعض المقائل كالنوادي=

تعرفي عليه. وقد أعجب بميلي إلى الأدب وقرض الشعر، ولأنني عدت من العراق حاملا أفكارا اجتماعيه وأدبية وسياسية، وكان بيته اشبه بـــالنوادي الأدبيـــة أو مجتمعات الأدباء. وكان ذلك النادي محط كـــل ميـــال إلى الأفكـــار الجديـــدة، والإطلاع على المنشورات الأدبية والاجتماعية وكتب التاريخ. وقـــد أخـــبرني الصديق الحميم المفكر اليمني الكبير الدكتور عبدالعزيز المقالح بأنه كان ايضا ممن يترددون على بيت عبدالكريم، ولا يزال يذكره بألف خير. وعندما أمر الإمـــام يحي بحبسي مع مجموعة من المفكرين سنة 1941م ثم إطلاقي بعد ثلاثـــة أشـــهر عدت لألازم بيت عبدالكريم، وقضيت معه أكثر من سبع سنوات، وتبادلت معه الرسائل الإخوانية من بيت إلى بيت حتى إذا انتقل إلى بيت آخر يبعد عن بيـــتي مسافة كيلو مترين تقريبا لم أعد أتردد على بيته كثيرا، بل التزمت بيتي. وصعـــب على احمد الشامي وأخيه عبدالوهاب مفارقتي، ومعهما محمد عبـــدالله الفســـيل، وصاروا يشاركونني المقيل في بيتي، وأحياناً يقترحون علي بأن نقضي السهرة معاً. ولأننا كلنا عزاب فقد رحبت بالفكرة. وهكذا أمضينا ليالي لطيفة نقرأ ما وقـع في أيدينا من كتب الأدب والشعر والتاريخ. وقد كانت مجلة (الرســـالة) لصاحبـــها احمد حسن الزيات هي المجلة التي أتخذنا منها مدرسة للأدب، وفيها قرأنا للدكاترة زكي مبارك، والدكتور احمد أمين، والعقاد، والمفكرين البارزين في مصر. وعندمـــا علم الأديب الشاعر عبدالكريم الأمير بأن احمد الشـــامي وأخـــاه عبدالوهـــاب يقضيان بعض الليالي في بيتي جن جنونه، وذهبت به الظنون كل مذهب، وأعتقـــد بأن احمد الشامي قد فلت من أسره وكان شغوفا به، فشكاه إلى والدته وأتهمه بأنه قد أنحرف وفسد. وقد تواجها أمام والدة احمد الشامي، وتصارحا. وكاد احمـــد الشامي يفتك به من شدة غيظه بسبب التهم الوضيعة التي لفقها ضده عند والدته

أو اماكن تجمع ذوي المهن والحرف، لا سيما يومي الخميس والجمعة. وفي المقائل تـــدار أحـــاديث، وتناقش احداث، وقد تقرا فيها كتب تاريخية أو دينية وأدبية.

في جلسة مواجهة أمامها. وقد قابله الشامي بغضب شديد وشهر الخنجر يهدده به، وخرج عبدالكريم من الموقف المتوتر غاضبا. واستفحلت الخصومة بينهما، وانقطعت صلة كل بالآخر. وكان الأستاذ الزبيري رحمه الله قد وصل إلى صنعاء بعد اغترابه في مصر. وبعد أن خرج من السجن أذكر أننا احتفلنا به في بيت احمد الشامي، وأنشدنا أمامه قصائد ترحيب. وسافر إلى تعز لينال إعجاب ولي العهد احمد وبهر الجماهير بقصائده المؤثرة. وقربه ولي العهد، والتقى بالأستاذ احمد محمد نعمان الذي لازمه خلال العمل الوطني. وكان احمد الشامي يومئذ في تعز وكان معجبا بالزبيري بصورة شديدة مما أغاظ عبدالكريم الأمير الذي كنا ندعوه ببحتري اليمن. وكان الأمير غير مرتاح لمجيء الشاعر الكبير الأستاذ الزبيري الذي هز الشعب اليمني بقصائده الثائرة، ومعانيه البديعة، ومفرداته المنتقاة. ومضت الأيام في تعز، والتهب حماس الشباب بالمناظرات التي كانت تجري بين الشعر والنثر، وبين البيان والقريض. واتسعت آمال الناس بانبلاج عصر جديد. وهنا قلب ولي العهد للعصريين ظهر المجن، وهدد الزبيري ونعمان في خطبة دموية، دعتهما إلى الفرار إلى عدن. وهنا تم قيام الجمعية اليمنية الكبرى، إذ لحق بالزبيري ونعمان عدد من المفكرين والأحرار. وصدرت صحيفة صوت اليمن لتخرج الإمام يحيى عن صمته وجموده. وتجمع دعاة الإصلاح وتجاوبت أفكارهم وتسربت صحيفة صوت اليمن ودخلت إلى مخدع النوم للإمام يحيى، وكان ولي العهد احمد لا يمانع من قراءتها عندما تقدم إليه من عملائه على شكل تقرير، بل كان ينتظر صدورها ليطلع على ما فيها من أخبار ومقالات، وما يطالب به الأحرار من إصلاح. وكان الأحرار في عدن قد هيئوا للثورة ضباطا ورجال أعمال، وحكاما شرعيين، واستحدثوا شفرة للتخاطب والمراسلة. وكان الأستاذ الخادم الوجيه من أرباب المال وممن اعتنقوا مبادئ الثورة بعد أن اقتنع بأن بقاء الإمامة الجامدة المتخلفة ستتسبب في بقاء اليمن خارج تاريخ العصر. وقد كان

الأستاذان محي الدين العنسي، واحمد حسن الحورش قد عادا من مصر بعد أن تشجعا بالفضيل الورتلاني، وبموافقة ولي العهد احمد الذي كان قد أحس بأن الإمام يحيى لم يعد قادرا على ممارسة الحكم ومواجهة المتغيرات السياسية والاجتماعية، وحاول أن يقدم نفسه خليفة لوالده، فصار يبدي مرونة في التفاهم مع الأحرار. وعند وصول الأستاذ محي الدين العنسي واحمد الحورش إلى صنعاء. أمرهما الإمام يحيى بالتوجه إلى تعز للعمل مع ولي العهد. وقد مرا بالحديدة في طريقهما إلى تعز والتقيا بالقاضي حسين الحلالي[1] الذي كان يظهر تعاطفا مع المعارضة ولكنه لم يخلص التوجه، ولعلهما قابلاه وسمعا منه أفكارا أو رأيا حول وضعهما. وقد توجها بعد ذلك إلى تعز وقابلا ولي العهد، ولم تطل إقامتهما. فقد اتفق الإمام احمد مع الحلالي على ضرورة عودتهما إلى مصر، وهكذا توجها إلى عدن، ولبثا فيها مع الجمعية اليمنية الكبرى يتدارسان الآراء مع الأستاذ احمد محمد نعمان، والأستاذ محمد محمود الزبيري، وتسارع الأحداث، وما يجب عمله. إذ كانت الأوضاع في اليمن لا تحتمل، فقد عمت المجاعة، وانتشرت الأوبئة، وكثرت الوفيات.

وقد زاد من تسارع الأحداث كشف الأحرار في عدن عن الكثير من تفاصيل مخططهم بعد أن وقعوا في حبائل إحدى الشائعات. وقد جاء هنا في مذكرات احمد الشامي (رياح التغيير في اليمن) في صفحة 218 قوله: ولما أرسلت صورة الميثاق في صيغته النهائية إلى الأحرار في عدن في شهر نوفمبر 1947م لم يمض شهر وبضعة أيام حتى أذيعت الإشاعة الأولى بموت الإمام يحيى، وأن أهل العقد والحل بايعوا السيد عبدالله بن احمد الوزير إماما (دستوريا). ونشر

---

(1) القاضي حسين الحلالي كان من رجال الحكم المرموقين، وكان يتوق إلى الإصلاح والتغيير والتطور، ولكن قتل الإمام يحيى جعله يتخذ موقفا مناهضا للأحرار، فتسبب في اعتقال المفكر الوطني زيد الموشكي، والوطني الشجاع الخادم الوجيه، وغيرهما حيث أعدما بعد ثورة سنة 1948م.

الأستاذان النعمان والزبيري الميثاق وأسماء الوزراء والوكلاء، وأعضاء مجلس الشورى في جريدة صوت اليمن وفي كتيب مستقل، وكذلك نشرت النبأ مع الميثاق جريدة (الأخوان المسلمون) في القاهرة. وكان ذلك في 16 يناير 1948م.

وكانت إشاعة مدسوسة كاذبة فانتشر الرعب وساد القلق في صفوف كتلة الميثاق، ومن نشرت أسماؤهم، وسرت الإشاعات إلى أن ولي العهد سيصل صنعاء وسيعدم فلاناً وفلاناً، ويسجن علانا وفلتاناً. ووقف عبدالله الوزير مع الإمام يحيى موقفا حرجا وصعبا، وأقسم الأيمان المغلظة أن لا علم له بميثاق، ولا طموح له في الإمامة، وإن ذلك من دس (نعمان) و (الزبيري) وحزبهما في عدن. ونشرت جريدة الإيمان الرسمية مقالاً بهذا المعنى (انتهى كلام احمد الشامي).

ولقد كنت يومئذ مديراً للإذاعة الهزيلة التي توليت إدارتها وكانت تفتح كل يوم خميس لمدة ساعة، تذاع فيها آيات من القرآن، ثم كلمة دينية، وبعدها نشرة الأخبار، وقد تلقى قصة قصيرة يتخلل ذلك بعض الأناشيد أو ألحان موسيقية تعزفها فرقة موسيقى الجيش. وكان بعض علماء المناطق الشمالية يعارضون الأغاني التي كانت تبثها بين الفينة والأخرى، وبرقيات الاستنكار تتوالى على الإمام احمد من بعض الفقهاء والعلماء. وكان يرد عليهم (أغلقوا الراديو عند إذاعة الأغاني). واستمرت الإذاعة في تنفيذ برامجها. وقد زار الإذاعة رئيس الاستئناف يحيى محمد عباس وأنا يومئذ المدير المسؤول فيها. وقد طرحت عليه سؤالاً حول رأي الدين في الغناء، فرد عليَّ إذا كان إمام العصر يرغب في ذلك فإنني أستطيع أن أروي عدة أحاديث في الإباحة، وإذا كان لا يرغب في ذلك فأروي عدة أحاديث في الحظر، لأننا ننفذ رغبات الإمام. ولقد أبلغني الأخ حسن العمري بأنه رأى ثلاث برقيات التقطها جهاز اللاسلكي من عدن قبل أن تفتح الإذاعة، وفي البرقيات تهاني من سيف الحق إبراهيم، الرئيس الشرفي لحزب

الأحرار، يهنئ الإمام عبدالله الوزير بانتخابه إماما دستوريا بعد موت الإمام يحيى، وبرقية للأمير علي عبدالله الوزير بصفته رئيس مجلس الشورى، وبرقيـــة للعـــالم السياسي حسين احمد الكبسي بصفته وزيرا للخارجية. وقال حسن العمري لقـــد ارسلت البرقيات الثلاث إلى السيف القاسم الذي تاخر عن الحضور عند افتتـــاح محطة الإذاعة كما هي عادته لمراقبة البرامج المحدودة. ولم يطل تاخره. فقد حضـــر عند بداية تشغيل المحرك الكهربائي، وعندما سئل عن سبب تاخره لم يخـــف مـــا حدث بعد أن قرأ البرقيات. فقد أجاب بقوله: إحنـــا مشـــغولين بشـــيء انتـــو عتسمعوه، ثم أغلق فمه وملأه نفسا حتى تورم خداه. وهنا أطلق نفسه المحبـــوس كانفجار قذيفة مدفع ومثل صوت فرقعة المدفع بقوله (بم) وكـــان مرتبكـــا وفي حالة من الانفعال والتوتر. ونفذنا برنامج ذلك اليوم. وبعد أن أكملنـــا العمـــل الروتيني كان الأخ حسن العمري قد أرسل إلى احمد الشامي من يخبره بوصـــول البرقيتين. وقد أشار إلى ذلك في مذكراته (رياح التغيير في اليمن) حـــين قـــال: وكنت أول من عرف قصة البرقيتين. إذ طرق علي الباب قبيـــل أذان العشـــاء رسول من الفريق العمري وهو ضابط مكلف بحراسة جهاز اللاسلكي، وعليـــه أن يقوم بتبليغي بما يرد من برقيات وأخبار تتعلق بحركتنا الدستورية. وكان الرســـول شبه قلق. وقال بلسان العمري: أذاعت بعض محطات الإذاعة موت الإمام يحـــيى. وقد جاءت برقيات من سيف الحق إبراهيم من عدن تهنئ الإمام عبدالله الوزيـــر، والسيد حسين الكبسي بمنصبيهما في الحكومة الدســـتورية. وكـــانت مفاجـــأة للأحرار في الداخل. وقد حاولوا تلافيها بأعذار مختلفة. وقد أبدى الإمـــام يحـــيى اقتناعه ولم يبد أي سخط أو غضب، غير أنه أسرها في نفسه وبيت للأحرار شرا.

وهنا لم يتمالك الأحرار أنفسهم. فقد قرروا بعد الإشاعة أن يحققوها تلافيـــا لما قد يتخذه الإمام ضدهم. وهكذا كان التسارع في اغتيال الإمام يحيى. وارتبـــك

الأحرار في نشر النبأ. وكنت يومئذ مديرا للإذاعة المحدودة. وقد صغت النبأ بنفسي. وجاء فيه بأنه قد حدث ما قدره الله وقضاه، وذلك وفاة الإمام يحيى. وقد قام بالأمر الإمام عبدالله بن احمد الوزير الذي بويع من قبل أهل العقد والحل. وقد شيع جثمان الفقيد إلى مقبرة جامع الرحمة.. الخ البيان.

وفي اليوم الثاني قررت قيادة الثورة بعلم الإمام الوزير بأن يذاع نبأ اغتيال الإمام يحيى من قبل بعض المتضررين من حكمه، وقد أمرت السلطة بتعقب الفعلة والقبض عليهم وتقديمهم للمحاكمة. ويظهر أن أمر اغتيال الإمام يحيى قد أذيع وانتشر، وأذاعت بعض وسائل الإعلام ذلك، ومن هنا حصل التناقض. ومرت الأيام عابسة قلقة، وهرب أكثر الجنود بأسلحتهم إلى قراهم وبلادهم، ولم يبق في العاصمة غير القليل من الجيش. وبدأت صنعاء تشعر بالحصار. فقد وقف الوارد من الأرياف مثل الحطب والحبوب والسمن. وقد حاولت الحكومة جهدها بنشر الأمان، ودعوة المواطنين إلى العمل والبيع والشراء. ولم تجد الإذاعة ولا الملصقات ولا الإعلانات. ومضت ثلاثة أسابيع والأحرار يحاولون بث الطمأنينة في قلوب الناس، ولكن الناس ظلوا في خوف ورعب حتى حوصرت صنعاء. ولم يكن لي دور معين، فقد عملت في الإذاعة، ثم كلفت بالسفر إلى عدن على الطائرة التي استأجرتها الحكومة الدستورية، وكان معي رسالة إلى السيد حسين الويسي[1] الذي عين في الحكومة وزيرا للمواصلات، كما أظن، ومع الرسالة مبلغ كبير من الريالات لست أدري لأي غرض أرسلت إليه، وعدت إلى صنعاء في اليوم الثاني ومعي رسالة من الويسي وبعض مشتريات للحكومة. وفي الأسبوع الأول كلفت بإعداد المطار الجنوبي لاستقبال الطائرات، وأهمها الطائرة التي جاءت تقل الوفد الصحفي برئاسة السيد فؤاد حمزة والذين لم يمكثوا غير يومين في صنعاء، والتقوا

(1) السيد حسين الويسي عالم آثار وأديب وجغرافي الف كتاب (اليمن الكبرى). ولكن ثورة سنة 1962م اعتقلته ثم أعدم. وكان الذين حاكموه قد حكموا عليه بالمؤبد، ولكن ضابطا حاقدا غبيا أمر بإعدامه.

بالإمام عبدالله الوزير وبعض رجال الحكومة ثم عادوا إلى القاهرة. وأذكر بأن قائد الطائرة كان الجناح عبداللطيف بغدادي الذي رافقته أثناء إقامة الوفد الصحفي إلى أسواق صنعاء حيث حولت له بعض الجنيهات المصرية إلى عملة يمنية، إذ اشترى كوفية مزخرفة بخيوط الذهب والفضة والحرير، وحزاما من نفس الكوفية صنعة وزخرفة. وقد ذكرته بهذه الحادثة عندما لقيته بعد ثورة 1962م في القاهرة أثناء مأدبة إفطار أقامها الرئيس جمال عبدالناصر لوفدي العراق واليمن سنة 1382هـ الموافق 1963م، بعد ثورة البعث ضد حكم عبدالرحمن عارف. وقد لاحظ الرئيس عبدالناصر اهتمام عبداللطيف بالحديث معي، فسأله عما دار بيننا، فرد عليه عبداللطيف: إنه يفكرني بموقف في صنعاء سنة 1948م. كما سألني السيد طالب شبيب وزير خارجية البعث العراقي عن الأستاذ محسن العيني. فقلت له بإشارة خفية:اسأل الرئيس؟وعدت إلى عدن للمرة الثانية ومع الطائرة مبلغ من المال مرسل للسيد حسين الويسي، ورسالة إليه من الحكومة لا أدري محتواها، وقد استغل ركوب الطائرة الأخ عبدالوهاب الشامي أخو الأديب احمد محمد الشامي، فتسلل إلى حمام الطائرة واختفى إلى أن وصلت إلى عدن وظهر. ونزل عنها مع بقية الركاب ودخل ولا أدري أين توجه. وقد أشار إلى هذه الحادثة أخوه احمد الشامي في كتابه رياح التغيير في صفحة 263.

السيف احمد وقميص عثمان لإجهاض الثورة

لقد تسببت الإشاعة الأولى عن موت الإمام يحيى في شهر ربيع الأول سنة 1367هـ اضطرابا وارتباكا في صفوف الأحرار، وكذلك الأسرة الحاكمة. كما جعلت الإمام يحيى يجتمع باولاده السيوف على انفراد، أي بدون أن يشرك في الاجتماع أحدا من خارج الأسرة، وكأنه أراد أن يتدارس معهم الأمر، وقد قيل

بأنه وأولاده قرروا دعوة سيف الإسلام احمد حاكم تعز. وكأنه أي الإمام حرر برقية بالشفرة تتضمن هذا البيت:

إذا كنت ماكولا فكن أنت آكلي وإلا فأدر كني ولما أمزق

وقيل يومها بأن السيف احمد تباطأ في الوصول إلى صنعاء كي يترك للأحرار فرصة الفتك بأبيه ليتخذ من مقتله قميص عثمان. وقد كان له ما أراد. إذ كان على علم بما يحاك ضده وضد أبيه، ولعله كان يتوقع اغتياله مع أبيه لو وصل إلى صنعاء. وهكذا نفذ الأحرار ما أجمعوا عليه وهو القضاء على ذلك الحاكم الذي لا يعرف قلبه الرحمة، علماً بأن أشخاصاً كانوا لا يرون قتل الإمام وقد زاد عمره عن الثلاثة والثمانين. ولكن الفضيل الورتلاني أصر على اغتياله ليمحوا عن تاريخ الشعب اليمني وصمة عار كانت ستلازمه إلى الأبد. ومن جملة من عارض قتل الإمام يحيى الرئيس جمال جميل العراقي كما جاء في كتاب احمد محمد الشامي (رياح التغيير في اليمن ص 251و 253)، حتى قيل بأن الفضيل الورتلاني عاتب جمال جميل وقال له: هل جبنت ياجمال؟ فرد عليه قائلاً: إنها الحيطة والحذر. فقال له الفضيل: إننا نهدم صنماً ونقيم صنماً، حتى إذا استقرت الأحوال كان للعصر رأيه، وللتغيير حكمه[1]، وبالمقابل كان الإمام عبدالله الوزير يضمر للأحرار أمراً غير حميد كما روى عنه أحد حراسه الأمناء، الشهيد عزيز يعني وقال: إنه كان يتوعد ويهدد بالنسبة لمن يطمئن إليهم، وأنه سيتخلص من هؤلاء العصريين. وسواء صحت هذه الحكاية أم لم تصح فقد استشهد أكثر آل الوزير، وذهب معهم أكثر العصريين، وانتصر الطاغية الذي صبغ الميادين من دمائهم. وكان انتصاره على أيدي الشعب الجاهل المضلل الذي من أجله ثار أولئك النفر

(1) كان جمال جميل على بصيرة من الأمر لأنه عرف طباع اليمنيين، لا سيما طبع الرعاع والقبائل الذين لم يكونوا يشعرون بما هم فيه من الظلم والذل والفقر. ولكن جمال جميل لم يستطع إقناع الفضيل ومعه المجموعة القيادية من الأحرار ضباطا ومفكرين وعلماء ومشائخ.

الأبرار، وحاولوا إنقاذه من الظلم والقهر والفقر والمرض والجوع، وإطلاق عقله وتنوير بصيرته. وظن الطاغية بأنه ضمن لنفسه ولعرشه ولأسرته البقاء. ولم يدر بأن التطور كالسيل الجارف لا يبقي على التخلف والتأخر والزيف والدجل. وقد كان شاه إيران يمشي في نفس الخط الذي يمشي عليه كل الطغاة والجبارين. وأن مقاومة تيار التطور حماقة لا يقع فيها إلا المغرورون الذين عميت بصائرهم، ولم يعوا سنة الله في خلقه القائل (وتلك الأيام نداولها بين الناس)[1].

ومضت الأحداث كما رسمها القدر، وسقطت صنعاء في أيدي الجهلاء المضللين فقاموا بنهب كل ما وصلت إليه أيديهم، واستسلم المدافعون عن المدينة المستباحة، وقبض عليهم في سرعة مذهلة، ولم يتمكن أحد منهم الفرار. وهكذا أجهضت الثورة التي لم تعش إلا ثلاثة أسابيع كأنها الأيام البيض في ثورة فرنسا.

السجن المؤقت بتعز وتمارين الأحرار على قطع الرأس

كان سقوط صنعاء في أيدي المتوحشين وأنا في تعز، حيث جئت من عدن لأتولى تشغيل محطة اللاسلكي التي حصل بها عطل جعلها لا تؤدي عملها. وقد قال لي الأستاذ حسين الويسي بأن ألحق بزميلي محمد الريدي لتدارك عمل محطة الإرسال لأنني كنت على علم بهذا الفن. وفعلا اخترت ما تيسر من ثياب وعملتها في صرة، وركبت سيارة خصصها لهذا العمل، وكان سائقها أحد الأحرار هو المرحوم عبدالله عثمان. وما كدنا نصل إلى الراهدة وهي البوابة الرسمية الأولى لمركز تعز حتى رأينا أحد المجانين يسب الثورة وينادي بالإمام احمد ويدعو له بالنصر. وقد تناولنا غداءنا المصنوع من عصيد الذرة والمرق، وكنت متشائماً في هذه الحالة، ولكنني مصر على أن النصر حليف الأحرار. وهكذا

---

(1) سورة الأنعام 140.

وصلت إلى تعز وأمر حاكم تعز بأن ننـــزل بدار الضيافة التي كـــانت المرحلـة الأولى للنـــزول إلى السجن. ويومئذ قيل إن صنعاء قد حوصـــرت مـــن جميـع الجهات. وما كادت تدق الساعة الثانية مساء بتوقيت صنعاء حتى هرع الناس إلى الراديو الموجود بدار الضيافة ليسمعوا آخر الأخبار، وكـــانت نشـــرة الأخبـــار بلسان السيف القاسم الذي كان يتكلم وهو يبكي ويقول: لقد قتـــل إمـــامكم بأيدي الآثمين، وقد قبض عليهم. ثم أعقبه الخطيب محمد بن قاسم أبـــو طـــالب فتناول كلمة السيف القاسم وشرح مصرع الإمام يحيى. وهكذا سمعنـــا إطـــلاق الرصاص، وإشعال الحرائق إشارة إلى انتصار الإمام احمد، وسقوط ثـورة 1948م. وبعد سماعنا لذلك الخبر المحزن أويت إلى فراشي وكان معـــي في الغرفـــة بعـــض أعضاء البعثة التي كانت متوجهة إلى العراق، حيث عادت لتشهد مصرع الثورة. وبعد منتصف الليل سمعنا طرقا على باب الغرفة التي أسكن فيها، ثم فتح ليدخـــل منه ضابط على رأس أربعة من الجنود، وسألوا عني- فأجبتهم نعم أنـــا المـــروني. فقال الضابط علي حميد: (جاوب)، بمعنى أجب الأمر إلى الحبـــــس، فقمـــت ولم استصحب صرة ثيابي. وساقوني إلى حبس العرضي وكان قد أطلق من كان فيـــه من المساجين وقيدوني كالعادة، وأدخلوني غرفة مظلمة لا أدري من كان فيها مـن المساجين، وفيها مصباح غاز (قاز) يتصاعد من ذبالته دخان ذو رائحة كريهة. ولم أنم تلك الليلة لأنني كنت أفكر في مصير الثورة والثوار، وكنت أسمـــع زحـــف البراغيث التي فقدت رزقها بإطلاق من كان في الغرفة من المساجين وهي تتوجـــه نحو جسمي الناحل وليس معي ما يقيني من لسعاتها. وهكذا بقيت إلى الصبـــاح، حتى سمح لي بالخروج للصلاة. وعندما عدت إلى السجن جاء المرحوم احمد محمـد زباره، الذي أصبح فيما بعد مفتياً للجمهورية، وقال لحراس السجن من لديكـــم من الناس؟ قالوا هنا شخص اسمه احمد المروني، فقال أطلقـــوه وفكـــوا قيـــده. وداخلتني فرحة لم تدم. إذ بعد خروجي من السجن جاء بعض حـــراس الإمـــام

فدعوني إلى غرفة الحرس الإمامي في سجن (عرضي تعز). وجاء بعدي اللواء حمود الجائفي مقبوضا عليه، وبتنا ليلتين في هذا المبنى الكئيب. وفي اليوم الثالث جاءنا احد الجنود وقال: هل تحبون الخروج لتتمشوا؟ ففرحت، ولكن حمود الجائفي رفض، وقال: أنا لا أحب التمشية، وكأنه أحس بأن في الأمر شيئا. فرد عليه رئيس الحرس: لا بد من خروجكم للتمشية. وهنا استسلم، وصدق حدسه. وتوجهنا إلى حبس (الشبكة) وسط تعز، وهي عبارة عن مبنى بدائي كان مأوى للغنم أو الأبقار حوله الإمام احمد إلى سجن الشبكة، وفيه حملنا القيود ومكثنا فيه أكثر من شهر، وكان معنا الطبيب محمد علي سري[1]، وعلي حمود الجائفي أخو اللواء حمود. وما هي إلا بضعة أيام حتى سمعنا ضجة خارج السجن، وسبقت الضجة إشاعة بأنه قد قبض على اللواء محمد سري الشائع. ولم تمض دقائق معدودة حتى أشرف على قاعة السجن العقيد محمد حسن غالب رحمه الله، وكان ضابط الأمن بعد إعلان الثورة، وأثقل بالقيود، وقد حذرنا الحراس بأن لا نكلمه ولا نقترب منه، حتى إذا مرت بضعة أيام سمح لنا بأن يجتمع معنا، وكان قوي الإيمان مستسلما لقضاء الله وقدره، وكان يقرأ القرآن بصوت رقيق. وكان يجري تمارين حول قطع الرأس. وكان يمثل دور السياف علي الجائفي حيث كان يقوم محمد حسن بالانحناء، فيقوم هو بضرب عنقه بعرض يده اليمنى. وكان اللواء حمود يتشاءم من هذه الحركات ويعمد إلى النوم. وأمضينا في هذا المستنقع ما يقرب من شهرين، ولم يكن فيه مراحيض لقضاء الحاجة إلا مساحة بسيطة مكشوفة ينشر السجناء حمولاتهم فيها، ويزينوا تلك المساحة بما يخرج منهم وقد يصادف أن يوجد ثلاثة أو أربعة أشخاص في وقت واحد، وأثناء قضائهم الحاجة يتحدثون ويتحاورن، لذلك سموا هذه المساحة بـ(النادي).

---

(1) سخر الله لنا محمد علي سري لناكل معه ما تقدمه والدته له من طعام وشراب، وكان أخوه ندم هو الذي يحمل لنا الطعام، رحمه الله.

وكان في هذا السجن الرهيب (مجنون) يظل هادئا حتى إذا أهتاج نهض من مربضه وصار يكسر ما معه من أواني فخارية، ويشق ما معه من ملابس وفرش، ويصرخ ويزبد ويرعد. وهنا يدخل الحراس فيوسعونه ضربا بالعصى الغليظة حتى يوهنوا قواه ويهدأ هيجانه. وكنا نشفق عليه ولكن (ما باليد حيلة). وكان يأتي صديق لمحمد حسن غالب كل صباح ومعه قرص من الخبز قد شق نصفين وملئ بالسمن ورش عليه السكر المطحون ويقول لنا محمد حسن غالب هذا ممن يرعون المعروف. فقد كان معي جنديا مخلصا. ومن الصدف العجيبة أن دخل السجن الذي نحن فيه شخص من الجيران بصنعاء يعرفني ويعرف أخي، فسلم علي، ولعله أخبر أهلي بأنني في حبس تعز مما جعل أخي عبدالملك رحمه الله يسعفني ببعض الدراهم. وواصل ذلك معي بعد أن نقلنا إلى سجن حجة.

مظاهرة صاخبة في طريقنا إلى حجة

كان نقلنا إلى حجة قد رافقته مظاهرة صاخبة، وكانت ضجة عظيمة لا يتحملها إلا الصادقون. فقد زادوا في قيودنا إذ لم يجدوا سلاسل ليضعوها على أعناقنا كما فعلوا بالعالم الجليل القاضي عبدالرحمن الإرياني، والقاضي محمد بن علي الأكوع، والأستاذ احمد المعلمي، والعقيد حمود الجايفي وغيرهم.

ثم حشرونا فوق سيارة كبيرة للحمول مكشوفة حيث اتجهت بنا نحو الحديدة. وكان سكان تعز وسكان قمامة أرق قلوباً من سكان الجبال القساة غلاظ الأكباد. وأتذكر أن السيارة عندما مرت بنا على آخر منطقة من لواء تعز كان الإمام احمد يشاهد المقبوض عليهم من نافذة بالمكان الذي كان فيه. واستمرت السيارة بمن فيها ماضية نحو المجهول. وقد وقفت في بيت الفقيه، أحد أقضية لواء الحديدة وبتنا ليلة فيها. وكان الأستاذ احمد المعلمي قد رأى في منامه

ان واحدا من الذين معنا يهم بقتل نفسه ليتخلص من العذاب وما ينتظرنا عندما نصل إلى سجن (نافع) في حجة. وعندما كان يقص علينا رؤياه ظهر أن اللواء حمود الجايفي كان يهم بأن يقطع أحد شرايين يده بشفرة من شفر الحلاقة ولكنه أحجم عن تنفيذ العملية.

ومضت بنا السيارة المشئومة نحو الحديدة، وفيها أمضينا ليلة. وقد زارني الأخ صالح محمد عباس وكنت قد عرفته قبل ثورة 1948م. وهكذا استمرت السيارة في طريقها إلى أبشع السجون وأقساها. ووصلنا إلى سجن نافع ونحن في حالة يرثى لها مما عانينا من مشقة السفر على سيارة كانت ترجنا رجا عنيفا وهي تتسلق الطريق المحفورة في عرض الجبل الذي يسمى (عقبة الرصاص). وكنا نتمنى في أعماقنا لو أن السيارة انحرفت عن الطريق الضيق لتهوى بنا إلى أسفل الوادي السحيق لنتخلّص مما ينتظرنا من عذاب وهوان. ولكن إرادة الله كتبت لنا البقاء لكي نشهد نهاية حكم الطغيان، ولنشارك في قيام ثورة السادس والعشرين من سبتمبر الخالدة.

تحت رحمة الموت في مستنقع نافع

عند وصولنا إلى حجة زج بنا في سجن نافع، وهو مستنقع ضيق مساحته لا تتجاوز عشرين مترا طولا وخمسة أمتار عرضا، وحوله غرف بلا أبواب أكبرها طولها أربعة أمتار في عرض متر ونصف. وقد حشرنا فيها حشرا بحيث كان البعض منا ينام واضعا رأسه على قيود من بجانبه. وفي هذه الغرفة كنا نستنشق ما بقي من مخلفات مشايخ الزرانيق الذين أسرهم الإمام احمد، وكان وليا للعهد أثناء تمردهم على حكومة الإمام يحيى وقد قاوموا حكمه بشجاعة نادرة، ولكنه انتصر عليهم بالحيلة وبسلاح أقوى من أسلحتهم. وقد كان من ضباط الحملة العقيد

(الردمي) الذي دخل عاصمة المتمردين على الظلم (بيت الفقيه) وأبرق إلى الإمام يحيى يبشره بالنصر على الزرانيق، حتى إذا لحقه السيف احمد بدخول المدينة أبرق إلى أبيه يبشره بالنصر، فرد عليه الإمام: لقد جاءنا الخبر من غيرك. وعلم السيف احمد أن القائد الردمي هو الذي سبقه بالخبر، فأمر بإحضاره وربطه على ماسورة مدفع واتهمه بشرب الخمر وأنه لا يصلي. وأنه يبغض حكم الإمام، وأمر بجلده ومات (كمدا) وغيظا.

وقد جاء بعد وصولنا إلى نافع أمر من الإمام بجلدنا ثلاثين عصا كل يوم أنا والمرحوم محمد عكارس، والمرحوم العزي صالح السنيدار، والأستاذ احمد محمد الشامي. وأذكر ان مدير السجن أمر بإغلاق أبواب السجن، وعين جنودا أو حراسا فوق سطحه عندما جاء الأمر بتفريقنا ووضعنا في غرف حراس السجن، منهم الأستاذ عبدالسلام صبره. والمرحوم محمد احمد المطاع. وقيل لهم بعد أن تعرضت للجلد بأنني قد اعترفت بالتفصيل عن حركة الأحرار لأجل ألا يسمع منهم شيئا عن الثورة ومدبريها. ولقد كان استجوابي قاسيا وعنيفا. فقد ضربني أحد حراس السجن ثلاثين ضربة بعصا غليظة كادت تكسر أضلاعي، وكنت أصيح عند كل ضربة (الله.. الله) ثم جاءوا بورقة بيضاء وقلم وقال لي الذي أمر باستجوابي: ماذا تعرف عن جمال جميل؟ ومن شارك في قتل الإمام يحيى؟ وماذا وماذا؟ فكنت أنكر وأقول: لا أعلم. فيرد علي الذي يستجوبني: لقد أمر الإمام أن تضرب حتى تموت. وبالفعل تهيأت لاستقبل الضرب العنيف بتلك العصا الغليظة، وكان يشاهد ما ألاقيه أحد المساجين العاديين، وماكدت أتهيأ للضرب مرة ثانية حتى صاح هذا السجين العطوف قائلا:

قل لهم بما يكف عنك هذه المحنة، فقلت: ماذا أقول..؟ هل أقول إنك كنت من المتآمرين؟ فرد علي باكيا: قل لهم اي شيء! ففتحت لي هذه العبارة الباكية

نافذة على الكتابة، فملأت صفحتين من القطع الكبير بكلام كله مغالطة وسلمت ما كتبته للذي كان يستجوبني، وفرح بذلك وأمر بإعادتي إلى غرفتي في السجن الكئيب. وكان ظهري قد تورم من أثر الضرب. وهنا قالوا لعبد السلام صبره ولمحمد المطاع بأنني قد قلت كل شيء فقال لهم محمد المطاع رحمه الله: إنني أوافق على أقوال المروني فألجمهم. واستمر ضربنا الأربعة ما يقرب من عشرة أيام. وقد تعرض الذي كان يضربنا لنقد شديد من أسرته وممن يعرفونه[1]. كما كان الشيخ القارئ احمد عبدالرحمن محبوب يمتعنا بقراءته للقرآن، ونأتم به في الصلاة، وهذا أكسبنا أيضاً عطف من كان خارج السجن علينا، لذلك فلم يعد قاسياً. كما بدأنا نلبس ملابس غليظة واقية. وقد قيل بأن نائب حجة حاول استعطاف الإمام بإيقاف الجلد فرد عليه بأن ذلك أحسن لهم من غيره. يعني أنه أحسن من السيف. كما أنه أمر بخراب بيت والدتي، وخراب بيت محمد عكارس[2]. وكان العزي صالح السنيدار ضعيف البنية ولكنه مستسلم لقضاء الله. وقد جيء به يوماً ليضرب بالعصا وكان يمشي متهالكاً من الضعف والمرض، فقال لمدير السجن: قل للإمام (يحلني)، أي يذبحني كما تذبح البقرة المريضة قبل أن تموت فيحرم أكلها. وكانت نكتة لعلها بلغت الطاغية فمنع الجلد.

---

(1) هو أحد حراس السجن وأقساهم وأشدهم جهالة وغباء واسمه ناصر عي جمامة، وقد تزوج بابنته الدكتور فضل الله الزافوت من سوريا وكان متعاطفا مع الأحرار وتزوج بابنة ناصر علي ليكف عن أذانا ويخفف عنا الضرب بالعصا وقد تعرض الدكتور للسجن بعد حركة سنة 1955 متهما بأنه كان يتعاطف مع الأحرار وقد توفى سنة 1998 عن عمر ناهز الثمانين رحمة الله عليه.

(2) محمد عكارس كان وكيلا للشريعة، اي كان محاميا، وكان بينه وبين من قبض عليه احقاد. وقد تولى مناصب عدة في العهد الجمهوري.

وهكذا استقر بنا الحال في هذا المكان الموبوء الذي كان مرحاضه المكشوف يسيل ماؤه إلى أرض السجن. وقد كان بعض مشائخ إب وتعز[1] يحاولون إصلاح هذا المرحاض ولكن مدير السجن لم يكن ليسمح بذلك. وأخطر ما لاقى المساجين من عنت مدير السجن أنه كان يجلب لنا الماء من خزان يملأ مما يساق إليه من مياه الأمطار فيأسن وتعلوه الطحالب ويصبح غير صالح للشرب. وعندما كنا نطالب المدير بأن يسمح لنا بشراء ماء نظيف يقول لنا: موتوا، فقد جئ بكم إلى هنا لتموتوا. وكان سجن نافع مكونا من مبنيين أحدهما يعلو على الآخر. فمن جيء به من صنعاء يوضع في المبنى الأسفل. ومن جاء من تعز يوضع في المبنى الأعلى مما كان يمنعنا من الاتصال بالذين في المبنى الأسفل. وكانت هناك في المبنى الأعلى نافذة تطل على المبنى الأسفل كنا نطل منها على الأخوة في المبنى الأسفل، ونتفاهم بإشارات الأيدي، حتى إذا شعر حرس السجن بما نفعل سدوا هذه النافذة بالحجر والطين. ومن المصادفات المضحكة المبكية أننا كنا نجري تجربة على بيضة نفرغها من زلالتها بطريقة ثقبها بإبرة ثم ندخل فيه بعض قطرات من الماء ونسد الثقب بشيء من اللبان ثم نعرضها للشمس، فتسري فيها الحرارة فيتبخر الماء الذي بداخلها فتتحرك بحيث ننتظر أن ترتفع إلى أعلى. وقد شاهد أحد الحراس هذه الحركة فنقل للمدير ذلك، وكان المدير فضا غليظ القلب، فأمر بمصادرة البيضة، واتهم المساجين بأنهم يحاولون أن يبعثوا بشفرة إلى خارج السجن[2].

---

(1) كان منهم الشيخ علي بن محسن باشا من مشائخ العدين وكان كريما وهو الذي تمكن من إقناع مدير السجن بضرورة إصلاح المرحاض وتجصيص المكان الذي كان فيه واضحا وأصحابه من مشايخ العدين.

(2) أذكر أن حادثة مشابهة حدثت في سجن القلعة بصنعاء عندما قبض على الشهيد احمد الحورش والمشير عبدالله السلال وأنا، حيث جاء أخ لأحمد الحورش بعلاقة ليضع عليها بدلته، فامسك الحراس بالعلاقة وساقوها إلى مدير السجن ظنا منهم أنها آلة لنقل الكلام، أو هكذا توهموا وصادروها.

الانتقال إلى سجن القاهرة

حدث بعد مرور أكثر من سنة على حبسنا في سجن نافع أن جاءت عاصفة ممطرة مصحوبة برعود وبروق شديدة بدأت معها بعض أحجار السجن تتساقط. وبتنا نخشى سقوط السجن على رؤوسنا فاستغثنا برسائل وبرقيات إلى الإمام وإلى نائب حجة. وكان الأستاذ احمد محمد نعمان قد أطلق إلى المدينة وكان يرافق نائب حجة ويحضر مجلسه، ويسمعه من أحاديثه الشيقة، ويتولى تدريس أولاده. وأذكر يومها أن نائب حجة أطل علينا من على سطح السجن وناشدناه أن ينقذنا من هلاك محقق. وألقى الأستاذ احمد نعمان علينا تحية وقال لنا إن مولانا الإمام لا يرضى بأن نتعرض للموت تحت أنقاض السجن، وكأنه أبرق إلى الإمام بالحالة فأمره بنقلنا إلى قاهرة حجة[1]. وكان قد سبقنا إليها القاضي العلامة عبدالرحمن الإرياني، والأستاذ احمد المعلمي، والأستاذ إبراهيم الحضراني، والقاضي محمد الأكوع رحمه الله، والأستاذ علي ناصر العنسي رحمه الله، وبقي من آل الوزير السيد محمد بن احمد الوزير وأولاده، والمرحوم عبدالملك المطاع أخو الشهيد احمد بن احمد المطاع، كما بقي في نافع الشيخ علي محسن باشا، والشيخ صالح المقالح، والشيخ عبدالواحد بن حميد، والشيخ عبدالحميد مقبل، والعزي صالح السنيدار رحمهم الله جميعاً، ولا أدري سبب بقائهم، وربما قد ظنوا أن الذين نقلوا إلى سجن

---

(1) قاهرة حجة مثل قاهرة تعز حصن منيع كان يلجأ إليه الأئمة أيام الحروب الخلية، وفيه عدة برك لحفظ ماء الأمطار ومخازن للحبوب والحطب، ومدفع. وكان حكام اليمن في هذه المدينة يتخذونه ملاذاً إذا حصلت حروب. وقد قيل بأن ممر سرياً قد انشيء يؤدى إلى المدينة.

القاهرة سيعودون بعد ترميم سجن نافع وقد اخطأوا، ولكنهم أطلقوا معنا. وكم كانت فرحتنا بخروجنا من مستنقع (نافع) حيث ساقونا إلى حصن القاهرة والقيود تحدد خطواتنا. وقد شعرنا بسعادة غامرة ونحن نشاهد المروج الخضراء، والناس يتحركون من حولنا، لأننا عندما كنا في حبس نافع لا نشعر بالحياة وبأننا أحياء إلا إذا سمعنا نباح الكلاب أو نهيق الحمير.

هذا الذي حدث قبل أن ننقل إلى قاهرة حجة حيث تنفسنا الصعداء، وتمكنا من أن نقرأ ونكتب عندما سمح للراحل العظيم القاضي عبدالرحمن الإرياني، والأستاذ عبدالله عبد الإله، بدخول بعض الكتب كمراجع عندما شرحا ديوان الآنسي.

وقد أصدرنا صحيفة أسميناها (السلوة) وأعقبناها بمجلة سميناها (الندوة). وأعتقد أن الأستاذ المعلمي لا يزال يحتفظ بشيء منهما. وصغنا قصائد كثيرة، وكنا نستعطف الإمام بقصائد تذوب لها الصخور، وقد نشر بعضها الأستاذ المعلمي في كتابه (دماء وأغلال في سجن حجه). وقد أنشأنا شبه مدرسة في قاهرة حجه تعلم فيها أنجال الإمام عبدالله الوزير وعلي عبدالله الوزير، وممن استفاد من المدرسة بعض أبناء المساجين مثل العميد عبدالله عبدالسلام صبره، والعميد علي عبدالله السلال، وكذلك بعض أبناء الحراس الذين وقفوا مع ثورة 26 سبتمبر سنة 1962م. وكنا قد قضينا في قاهرة حجه خمس سنوات قبل إطلاقنا، وعانينا فيها بصورة أكبر من التفتيش[1] المفاجئ للأماكن التي نعيش فيها.

ومن بين ما لا أزال أتذكره أيضا عن هذا السجن والفترة التي عشناها فيه، أنه كان يقوم فيه أحد السجانين بممارسة نوع من التجارة البسيطة، مثل بيع السجائر

---

(1) كان نائب الإمام في حجه السيد عبدالملك المتوكل والد السيد محمد عبدالملك الأديب الذي انضم للمعارضة في حكومة الثورة. كان يبعث من يفتش عن الكتب والرسائل وما تكتبه عن محنة الدستور، ولكن ولده محمد يرسل من ينبهنا إلى أن حملة تفتيش سنفاجأ بها فنحذر ونتخذ الحيطة.

والتنباك وبعض الحلويات، وكان يبيعنا بالدين إذ كان يصرف لنا خمس عشر بقشة في اليوم لشراء ما نحتاجه من لحم وخضره، وقد يرسل لنا أهلنا مبالغ زهيدة ولكنها كانت تنفعنا. وقد حدثت لي خلال تلك الفترة حادثة مضحكة مبكية، إذ حاولت في ظهر أحد الأيام أن أتعلم السباحة في البرك المخصصة للوضوء المملوءة بطبقة من الطحالب لأنها لا تتجدد إلا إذا هطلت الأمطار، وكان ممنوعاً على المساجين أن يسبحوا فيها، وقد كان قيدي قد فكت حلقة منه فصرت أخلعه وأبقيه معلقاً بالحلقة الأخرى. وكان معي ولد المرحوم محمد بن علي الغفاري الذي سمح له ولبعض أبناء المعتقلين بالبقاء مع آبائهم في السجن. وقلت لأحمد الغفاري نبهني إذا رأيت أحد حراس السجن متجهاً إلينا لأطلع من بين الماء بسرعة، لأنه لو شاهدني أحد الحراس وأنا وسط البرك ربما يضاعف لي القيد فوافق الولد الطيب. وعندما حاولت بسط يدي لأبتدئ في تعلم السباحة غطست إلى الأعماق ثم طفوت وقد شربت من ذلك الماء الآسن، ثم غطست للمرة الثانية والثالثة حتى تمكنت من مد يدي إلى حافة البركة بعد أن شاهدت الموت. وكان احمد الغفاري يضرب بيديه على فخذيه إشفاقاً علي، ولم يحاول أن يستنجد بمن كانوا قريبين منه لأنني قلت له لكي لا يدري أحد الحراس بمخالفتي للمنع، وهكذا نجوت من موت محقق وفي بركة آسنة. وعندما صعدت من البركة عاتبت احمد وقلت له مالك لم تصرخ وتستغيث لأجل أن يأتي من ينقذني، فرد علي قائلاً أنت قلت لي بأن لا يعلم أحد بأنني أسبح في البركة. وكانت هنالك ثلاث برك مخصصة للشرب والقهوة والطبخ، وكان يأتينا شخص بماء من سوائل حجة نظيف إلى حد ما وندفع له أجرته. وكان بعضنا يستغفل شاوش القاهرة ليلاً ويملأ صفيحة بالماء ويحميها بوابور الغاز ليغتسل. وكنا ننشد شعراً يعارض قصيدة الشاعر احمد شوقي:

أبا الهول طالت عليك العصر وبلغت في الدهر أقصى العمر

فنقول أبا الهول طارت عليك البرك، لأننا كنا نسمي شاوش الحبس (أبا الهول) واسمه النقيب صالح النهدي، وكان ضخم الجثة فارع الطول قلما يبتسم أو يضحك. وكان الأخ حسن العمري ملازما له في مكانه، ويشتغل بالخيط والأبرة فنايل وكوافي، وأبدع في هذه الصنعة. وكان أحد الجنود الذي سرح من الخدمة في الجيش يبيع لنا أقلاما وأشياء نحتاجها ويقسط لنا قيمتها. وأذكر أن الأخ عبدالله السلال رحمه الله اشترى منه قلما وظن أنه نال شيئا ثمينا، وقد عرض القلم علي قائلاً: هل ترى أنه (باركار) فقلبته في يدي وقلت له هازلاً: هذا (بعاركار). وكنا ندخل العين لنسخر من كلمة لا معنى لها. فمثلاً سأل أحدنا هل في الدولة الفلانية برلمان وهي دولة متخلفة يحكمها بدو، فكان الجواب إن لديهم (بعار لمان). وأذكر أن الأخ محمد الفسيل اكتشف زهرة القرع وقطف منها عدداً لا بأس به ثم غسلها وغطسها في البيض المخفوق وكان قد أحمى المقلاة وفيها زيت السمسم، فطرح كمية الزهر تلك حتى نضجت، وطعمناها فإذا هي ألذ من (الزلابيا). وكان حراس السجن يستغربون عندما يروننا نقطف زهر القرع، ونقلع (الخبيز) وهي نبتة ليس لها ساق وأوراقها ناعمة ونطبخها. وكان المرحوم علي الغفري يحاول أن يصنع ما يشبه (العود) الطرب، فيأخذ علبة من العلب التي تفرغ من محتواها وهي من الصفيح، وقد يوحي لبعض الذين يقومون بخدمتنا فيشترون ما نحتاجه من مؤنة العيش ويطلب من أحدهم أن يأتيه ببعض شعر من ذيل أحد الخيول، ويستجاب لطلبه فيصنع من تلك الشعرات أوتارا بطريقة ما مشدودة على تلك العلبة التي من الصفيح، ثم يحرك الأوتار وتطلع نغمات لا بأس بها. وكان يمارس هذا الاختراع في غرفة المرحوم عبدالملك المطاع والغرفة بجانب غرفة السيد محمد بن احمد الوزير رحمه الله، وكان محافظا إلى درجة

التزمت، وكان عندما يخرج إلى الحمام ليتوضا يصيح غاضبا عندما يسمع علي الغفري يدندن بذلك الطرب الغريب، وهنا يلتقي بالقاضي عبدالرحمن الإرياني رحمه الله ويقول في استنكار: أبجانب سيرة الإمام الهادي يسمع دندنة الطرب يا قاضي عبدالرحمن، وهنا يدور كلام حول إباحة السماع، ويكاد القاضي عبدالرحمن يقنع السيد محمد الوزير بأنه لا ضير مما فعله المرحوم علي الغفري. وكان معنا في سجن القاهرة السيد محمد الحوثي الذي كان مكلفا بمنع الإمام احمد من الاستيلاء على مدينة حجة ولكنه وقع في قبضة جنود احمد، وكان الحوثي كريما، فعندما يأتيه القات (النجري) نسبة إلى قرية اسمها نجره لا يبخل بتوزيعه على المساجين. وكان فيه سذاجة؛ فقد تحاور في أحد الأيام مع الأخ محمد الفسيل الذي استفزه بصراحته ومنطقه، فلم يتورع أن لطمه، وهنا صرخ الفسيل في وجهه واحتج وشكا ما فعله الحوثي إلى القاضي عبدالرحمن حيث عاتب الحوثي وقال له ما كان من اللائق أن تلطم العزي الفسيل، فرد عليه الحوثي قائلا: أنا لطمته بحسن نية. فكان هذا القول مثارا للتندر والضحك. حتى أن البعض منا كان يتعمد إيذاء صاحبه فإذا احتج قال: أنا آذيته بحسن نيه.

وكان محمد الفسيل حين يتحاور مع الآخرين قوي الحجة والمنطق، حتى أنه تصادم مع الشيخ احمد محبوب رحمه الله صداما فكريا حول كروية الأرض ومسائل فلسفية، وكاد الصفي محبوب يأخذ بتلابيب الفسيل مع أن الفسيل على حق ولكنه يستفز الآخرين بقوة منطقه. ولقد خطرت له فكرة البيع والشراء فكان يشتري علبة البوبنوني (المليم) ويعرض على أصحابه بضاعته فنشتري منه استدانة وقد لا نسلم له الدين اعتمادا على تسامح صاحبنا، بل كان يوزع علينا بضاعته ونشكره ونقول في الخفاء إنه لو يطلق ويشتغل بالتجارة فإنه سيفلس في وقت قصير، ولكنه تمكن من تحقيق أرباح لم تكن على البال. وهنا أذكر اللواء

حمود الجايفي رحمه الله إذ كان (أمة) وحده، فلم يكن يشاركنا النشاط الثقـــافي، ولا يساهم معنا في ممارسة الخطابة والكتابة والمطالعة ومناقشة بعـــض النظريـــات الفلسفية، حتى أنه أوصى بأن يد فن في حديقة منـــزله، وقد أصيـــب بصدمـــة عنيفة عندما وقع انقلاب سنة 1955 بقيادة صديقة وزميله المقدم احمد يحيى الثلايا الذي أعدم مع الضباط والعلماء الذين تضامنوا معه، وكان يواسي اللواء الجـلئفي وهو في الحبس.

أما ما كان من حكاية الرجل المناضل الكبير الأستاذ عبدالسلام صبره فـــهي حكايات تدعوا إلى احترامه وحبه. فقد كان يسلينا ونحن نعاني من محنة الســـجن، ويذكر العظماء من الناس وما لاقوا في سبيل تحرير أوطانهم وشعوبهم. وكان يشير في أحاديثه إلى (السعادة الخالدة) التي يعيش في ظلها المخلصون والمنـــاضلون في سبيل تحرير شعوبهم. وأذكر أننا أطلقنا عليه صفة (السعادة الخالدة) وقد عمـــد إلى جعل القات كالشاهي، فكان يقطف الأوراق الناعمة ثم يعرضها للشمس حتى تجف ثم يغليها كالشاهي. ولكنه لم يستطع أن يقنع بها هواة القـــات. وأذكـــر أن الأخ عبدالله السلال كان مولعاً بالقات إلى درجة الهوس، فإذا مضـــى يـــوم ولم يحصل على القات أصيب بخفقان القلب. واضطراب الأعصاب. وكان أصعب ما يواجهه من الأزمات انقطاع القات في المواسم التي يشح فيها وجوده. وكـــان إذا جاء موسم القات ويرخص سعره: يقطف منه كمية ويعرضها للشمس حتى تجـف ثم يحتفظ بها في كيس لوقت الشتاء حيث ينقطع القات، وكان يأخذ من القـــات الذي جفت أوراقه، ويضعها في كوب من أكواب الشاهي ويملأه بالماء حـــتى إذا أكل طعام الغداء عمد إلى القات المنقوع بالماء وحشا فمه بأوراقه الـــتي فقـــدت نكهتها ولكنه يشعر بلذة. ولعله يقنع نفسه بأنه قد حصل على ما يصبـــو إليـــه. وكان معنا الحاج علي تلها إذ قبض عليه مع المرحوم علي الغفـــري وســـيقا إلى

نافع. ونقلا مع من نقل إلى قاهرة حجه، وكان صاحب نكتة؛ فقد كان يسمي الأستاذ الحلبي ببغلة البريد، واطلقنا عليه لقب (الناقة). وفي يوم من الأيام استفزه الأستاذ الحلبي، وكنا نتوقع أن يحصل بينهما كلام يضحكنا، وكنا نقف في صف الأستاذ الحلبي رحمه الله ونضحك لأي نكتة يقولها ضد الحاج علي تلها. أقول في يوم من الأيام كان الحاج علي تلها يقرأ في كتاب، وبدأنا نحرض الأستاذ الحلبي على إثارة الحاج علي تلها. فقال الحلبي خلوها- أي الناقة- إنها تطالع في أوراق القضب بدلا عن كتاب (أوراق الورد) لمصطفى صادق الرافعي، وكانت نكتة مثيرة ضحكنا لها كثيرا.

ومن حكايات سجن نافع أن بعض المساجين الذين جيء بهم من صنعاء أنزلوهم في سجن نافع الأسفل، ومن جيء بهم من تعز وصنعاء هم في الحبس الذي فوق السجن الأسفل، وكنا نتخاطب بإشارات الأيدي، وكنا نستعمل كيسا أسود وقد علق فيه خيط طويل وكنا نسميه الدلو. وفي العشي يخرج أحد المساجين في الحبس الأسفل ويقول: لا إله إلا الله فنسمعه، وهي إشارة إلى أن الدلو قد حشوناه بأوراق فيها الأخبار التي تصلنا من صنعاء، وفيها تفاؤل بقرب إطلاقنا، وكلام فيه أسئلة إلى من في السجن الأسفل. وكان الشيخ أمين نعمان رحمه الله هو الذي يتولى البريد ويراسلنا بما نحب أن نسمعه. ونسمع إشارة: إن الدلو مهيأ لجره إلينا، ومن الصدف المضحكة المبكية أن المرحوم اللواء حمود الجائفي أطل على الحبس الأسفل فرأى الأستاذ إبراهيم الحضراني، فسأله بالإشارة عما هنالك من الأخبار؟ فأشار إبراهيم بأصابع يديه وأنه حصل على أشياء كأنها تشير إلى الحبال التي يربط بها من يخرج من السجن للإعدام، فتغير وجه اللواء حمود كمن اصيب بخبر مخيف يتعلق بمصير عشرين من المساجين سيعدمون. وشاع الخبر بين مساجين الحبس الأعلى، وانتظرنا في قلق إلى اليوم الثاني، ولكن لم يحصل شيء مما توهمه حمود الجايفي. ومضت شهور ونحن نتذكر تلك الحادثة، حتى إذا اجتمعنا في قاهرة حجة والتقينا إبراهيم الحضراني وسألناه عن تلك الإشارة التي

أفزعتنا وجعلتنا نقضي ليلة نتصور فيها من سيعدمون، فضحك إبراهيم وقال: أنا أشرت للواء حمود بأن رسولا وصل من تعز ومعه عشرون ريالا وكوت مرسلة من والده. وكنا نعيش أسرى الأوهام، ونتفاءل بالرؤيا إذا كانت تشير إلى الإفراج عنا، ونتشاءم إذا كانت تشير إلى أن مدة السجن ستطول، كما كنا نلجأ إلى المسبحه ونستنطقها الفال الحسن. وكان النقيب محسن الحيدري الملاذ لتفسير الأحلام وما يتعلق بها.

قيام حركة 1955م وإطلاق بقية الأحرار

عندما قامت حركة سنة 1955 بقيادة البطل احمد يحيى الثلايا[1] لم نكن على علم بها حتى جاء البدر ولي العهد إلى حجة عندما حوصر الإمام في تعز، عملا بنصيحة من كان معه مثل الأستاذ احمد محمد نعمان وولده الشهيد محمد والأديب الكبير احمد محمد الشامي الذين قالوا له: أعمل كما عمل والدك حين لجأ إلى حجه بعد مقتل الإمام يحيى. ويومئذ كنت في مستشفى حجه أنتظر الإطلاق وقد لقيت الشهيد محمد احمد نعمان وقال لي هذا الأمر بإطلاق من بقي في سجن القاهرة أحمله إليهم وبيننا غداً الحديث[2]. وكانت فرحتي عظيمة عندما طلعت إلى حصن القاهرة أحمل البشرى لمن بقي من الزملاء. وقد كان خطأ الشهيد الثلايا عندما حصر الحركة في تعز ولم يحاول التفاهم مع من كان سيقف إلى جنبه. وأذكر أن مدير السجن في قاهرة حجة قال وأنا أسلمه الأمر بإطلاق من بقي في السجن: لو كان لدينا خبر بثورة الثلايا لتجاوبنا معه. وهكذا تجمعنا في حجة

---

(1) هو معلم الجيش، وقد أعدم بعد فشل الحركة بأمر من الطاغية الإمام احمد، وكان من بين من أمر هذا الطاغية بإعدامهم أيضا كل من أخيه السيف عبدالله والسيف العباس.

(2) كان الإطلاق بقلم الأمير البدر ولي العهد.

حتى أذن لنا ولي العهد البدر بالتوجه إلى صنعاء. وبالفعل توجه اكثرنا إلى صنعاء. والبعض بقي مع البدر.

وفي صنعاء تعينت مراقبا للإذاعة، وكانت قد توسعت وصارت تسمع في اكثر أقطار العالم، بعدما كانت محدودة الطاقة لا تسمع إلا في بعض دول البحر الأحمر. ومضت الأيام بطيئة ثقيلة، ولم يكن قد تقرر لي مرتب، ولم أعد أذكر كيف واجهت الحياة حتى كانت سنة 1959م، وكنت يومها قد عينت مديرا عاما لإذاعة صنعاء بعد المرحوم محمد احمد عبدالرحمن الشامي الذي لم يكن ولي العهد محمد البدر ليأنس به وقد قتل في حادث سيارة بتعز، وكان يقول لا أبقاني الله بعد موت الإمام احمد، لأنه كان يشعر بأن كثيرا ممن عرفوه لا يقدرونه لسوء أخلاقه وقد كنت عينت المرحوم الفنان قاسم الأخفش ليسجل بعض الأغاني الشعبية لإذاعة صنعاء بمرتب مجز، وعندما تعين المرحوم محمد احمد الشامي مديرا للإذاعة قبلي كان يغيظه الأخفش حيث يتقاضى مرتبا ولا يحضر إلى الإذاعة إلا عندما يطلب منه، فقال له الشامي مرة لماذا لا تداوم في الإذاعة؟ فقال له: أنا آتي إليها عند الطلب، فرد عليه الشامي مغاضبا: كن احضر ولو من أجل تعلمنا الرقص!

تحذير من نوايا الطاغية ومغادرة صنعاء للإقامة بعدن

وعندما سافر الإمام إلى روما للعلاج سنة 1959 كان الأمل في عافيته ضئيلا حتى قيل بأن عبدالناصر كان يراهن على البدر خليفة لأبيه لأنه كان يميل إلى تطوير الحكم في اليمن ويهوى الإصلاح. وأذكر أن البدر دعاني بعد أن تعينت مديرا للإذاعة وأطلعني على برقية في ظرف كان مكتوب عليه سري للغاية وفيه برقية من الرئيس جمال عبدالناصر فيها كما اذكر إننا معكم في مسيرتكم الإصلاحية، وكل إمكانيتنا نضعها تحت تصرفكم. وقلت له بعد أن فهمت

فحوى البرقية إذا فعلى بركة الله نمضي. وهكذا كادت الأمور تجـري في صـالح نهضة اليمن لولا أن الطاغية أحس بأن هناك مساعي لتقليـص نفـوذه. بـل إن عبدالناصر كان يعد لاستقباله في أحد قصور مصر ليعيش فيها للعلاج وليـترك فرصة للبدر ليتمكن خلالها من تطوير الحكم في اليمن، ولكنه لم يستسلم، فـترك العلاج في روما وعجل بعودته إلى صنعاء ليخطب خطبته المشهورة التي جاء فيها: وهذا الفرس وهذا الميدان، ومن كذب جرب. وكان القاضي عبدالرحمن الإريـاني برفقته في روما، إذ أستصحبه معه خشية أن تقوم ثورة فيكون القاضي الإريـاني رئيسا. وقد كتب القاضي رحمه الله إلى من كان في مصر يطلب منهم أن يسرعوا في حثي على مغادرة صنعاء خشية أن أقع في قبضة ذلك السفاح بتهمة أنني كنت أحرض في الإذاعة على الالتفاف حول البدر ومقاومة العهد البائد. فقد سمعه مـن كان حوله يقول سنريحه من العهد البائد. وجاءت في نفس الوقت انتفاضة الجيش في صنعاء وفي تعز، واتهم أخي المقدم شرف بأنه حرض الجيش على التمرد، وأنـه يقوم بدور الشهيد المقدم احمد يحيى الثلايا، فقال السفاح سنلحقه بأخيه. وهكـذا جاء من عدن من يصحبني إليها عبر تعز حيث هيئت لي سيارة بواسطة آل نعمـان الكرام فنقلتني من تعز إلى التربة، وقضيت ليلة في ضيافة آل نعمان. وفي اليـوم الثاني استأجرت حمارا وضعت عليه بعض ملابسي، وسرينا الليل وتخطينا حـاجز الرعب مع بائعي القات. ووصلنا لحج صبح ذلك اليوم، ونجـوت مـن سـيف الطاغية. وفي عدن استقر بي الحال، وأمضيت فيها من 1959 إلى آخر سنة 1962 حيث اشتغلت بالتدريس في المعهد العلمي الإسلامي، وفي كلية بلقيس. وعملـت مع الشيخ المناضل سنان أبو لحوم في صياغة المنشورات وتحريض الجيش والقبـائل على الثورة؛ وكنت معه في أكثر الأوقات التي تتاح لي بعد التدريـس إلى أن تم رجوعي إلى صنعاء في سياق سأتحدث عن تفاصيله في الفصل القادم.

الفصل الرابع

ذكريات عن الثورة السبتمبرية ومحطات حياتي اللاحقة

المكتبة التاريخية اليمنية
www.yemenhistory.org
رفع وتصوير
مختار محمد الضبيبي

عرض يؤمن الرجوع إلى صنعاء ومعايشة فجر الثورة السبتمبرية

جاءني آخر سنة 1961 صديق وقال لي: إن الأمير الحسن بن علي يريد أن يراك. فقد نزل في مطار عدن لأن الطائرة لم تستطع النزول في مطار تعز لكثرة الغيوم. وهذا الأمير السيئ[1] الحظ كان ميالاً إلى حركة التحرر، وكاد الإمام احمد يقطع رأسه لولا أن الله نجاه، لأن الإمام كان يرى فيه حراً لولا جناية والده عليه السيف علي الذي قتل في ثورة سنة 1962. وقد استجبت للقائه وكان يحترمني فقد شاركت في تدريسه وتهذيبه. وعندما قابلته في فندق المطار قال لي: الآن يجب أن تعود إلى الداخل، فالإمام صار كما يقال: نمراً من ورق، فهو مهدد بالموت في أية لحظة. قلت له ومن يضمن لي بأن لا يفتك بي بعدما هاجمته في صحافة عدن، فقال إنه الآن يحاول أن يجمع الأشخاص القادرين على العمل حول ابنه البدر ليضمن له البقاء بعد موته، وكان حواراً ساخناً فاقتنعت إلى حد ما، ووافقته على التوجه إلى تعز بعد أن أعد العدة لأهلي وأولادي، وكنت قبل ذلك

---

(1) الأمير الحسن بن علي كان شخصا وطنيا، وكان يستقطب الأحرار. وأذكر أن البطل الشهيد عبدالله اللقيه، وصاحبه البطل محمد العلفي قد كانا ممن التقيا بالأمير الحسن، وكان يشعر بأن مصير العائلة المالكة في كف عفريت، ولكنه لسوء حظه هرب ليلة الثورة إلى منطقة جدر لعله ينجو من الموت فخاب سعيه. ولقد تألمت لمقتله لأنني كنت أعرف ميله إلى العمل الوطني، رحمه الله.

قد اتصلت بالأخوة الأحرار وقلت لهم إن العمل عن قرب أجدى من غيره فاستصوبوا رأيي، وقالوا لي: إذا ضمنت السلامة فتوكل على الله. وكان التصميم على مواجهة الواقع، فركبت الطائرة العُقاب من عدن إلى تعز، بعد أن وعدني الأمير الحسن بن علي بأنه سيستقبلني في مطار تعز، ولكن الطائرة التي أقلتني تاخر موعد إقلاعها فاضطر الأمير لمغادرة المطار إلى مقام الإمام لأمر ما، وما كدت أنزل من الطائرة حتى رأيت العسكر الإمامي وصور الجواسيس، فشعرت بالقلق وكدت أعود إلى عدن لأستصحب عائلتي وأولادي. وما كدت أطلب قطع تذكرة في الطائرة إلى عدن حتى تداركني ضابط المطار العقيد محمد تلها، وهو من الوطنيين الصادقين وقال لي: لا تتراجع فأنت الآن تواجه الحقيقة، وقد أنتظرك الأمير الحسن فتأخر وصول الطائرة فطلب إلى القصر. فتوكل على الله فالأمور الآن تتسارع لوضع النهاية، واقتنعت وقلت في نفسي متمثلا بقول الأول:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب والموت واحد

وجاءت سيارة نقلتني إلى قصر العرضي الذي يسكن فيه الوحش، وأمضيت فيه ليلة كنت أشعر باطمئنان وسكينه. في الصباح جاء الدويدار ليسألني: أين شرف المروني؟ قلت له: في سجن حجه. فرد علي: لا. لا. أنا اقصد الذي وصل من عدن، قلت: أنا هو. فرد علي جاوب الإمام. وكنت قد استعرت عمامة أحد الأصدقاء ولحفته واكتفيت من ملابسي بالكوت، وقلت في نفسي قد يستفز الإمام لأنني بملابس أفرنجية. وهكذا مشيت وراء الدويدار حتى وصلت إلى باب الحجرة التي يسكنها الوحش المريض فألقيت التحية فقال بعض من كانوا حوله: هذا الولد احمد المروني، فاستوى نحوي قائلاً: أهلا بمن يخاف من

(غومه)[1]. فقربت منه وقبلت يده، وقلت له: إنكم تسرعون في الحكم على الشخص ولا تمهلوه حتى يدافع عن نفسه، فقال: أين كنت؟ قلت كنت في مصر. حاولت أن التمس عفوكم بواسطة السفارة، فقال: ماذا يعمل الزبيري ونعمان؟ قلت: إنهم يعيشون أزمة في العيش ولا يعملون شيئا. ثم التفت إلى من حوله وقال لهم: هل سمعتم البيضاني أقماه الله؟ إنه يتناول الأعراض بكل وقاحة! ثم قال لي: هيا توكل على الله وسافر إلى صنعاء فالبدر بحاجة إليك. قلت له: نريد ثقتكم، فرد علي: سيوفق الله، ثم تناول قصاصة من ورقة وجر القلم وكتب حوالة بمائة ريال، وتسلمتها وانصرفت. وكان أخي[2] محمد رحمه الله في انتظاري، وكان موظفا في المقام ومديراً لمكتبة الإمام الإمام، وسلمته الحوالة ليستلمها ويتصرف بها.

وتوجهت حينها على الطائرة (مأرب) إلى صنعاء وكنت نهبة لهواجس كثيرة أهمها ما العمل الذي سيناط بي؟ وماذا أفعل وأنا مراقب من جهات عديدة؟ ووصلت إلى صنعاء وسكنت في بيت ابن عمي حسين الحبشي، لأنني لم أكن أملك بيتا غير بيت والدتي الذي ولدت فيه والذي تعرض للخراب بأمر الإمام.

وكان بيت عمي حسين الحبشي رحمه الله يجمع المفكرين والمثقفين، وكنت أتردد عليه لقضاء الوقت ومطالعة الصحف التي كانت تأتيه من مصر. وذات يوم وأنا في هذا البيت الكريم أقبل عبدالله السلال وعبدالله الضبي وقالا لي: إن البدر يدعوك للحضور إلى مكتبه، وسألتهما ماذا يريد؟ فقالا: إنه يدعوك ولا ندري لماذا.

ومشيت برفقتهما إلى دار البشائر حيث كان البدر يسكن، ودخلت عليه. وبعد أداء التحية قال لي: إنك ستتسلم إدارة الإذاعة، فدهشت وقلت له: إنها

---

(1) الغوم: الظل ولعل الكلمة مشتقة من الغمام

(2) قال لي أخي بعد قيام الثورة لقد مات الإمام ودعوني لأقوم بغسله، وتفكرت في قدرة الله كيف مات هذا الوحش وسكن واستسلم للموت.

الوظيفة التي تسببت في تشردي وكادت تقضي علي وأنني لا أحبذ العمل فيها فرد علي قائلاً: إنه اختيار الإمام. فقد عرضنا عليه عدة أسماء ليختار منها من يراه. فرد علينا قائلاً: إن لديكم الولد احمد المروني فهل نخالف الإمام؟ فقلت للبدر: إن هذا قدري وحسبي الله ونعم الوكيل. وغادرت مكتب البدر وأنا في حيرة من أمري، إذ أن (عيد النصر على الأبواب) ولا بد أن يكون لي حديث حول العيد الذي يذكر الناس بالكارثة ونهب صنعاء التي أباحها الإمام احمد للقبائل المتعطشة لما في صنعاء من بضائع وأموال. وماذا سأقول؟ هل أختفي وأدعي المرض؟ إنه أمر مكشوف. وتوجهت إلى مبنى الإذاعة وأنا في ذهول. واجتمعت بالموظفين والمذيعين وأخبرتهم بما أمرني به البدر، وكان في يدي الأمر بقلم البدر بتعييني مديراً للإذاعة، وكان ممن اطمئن إليهم وأبوح لهم بما يعتلج في صدري الدكتور عبدالعزيز المقالح الذي كان همزة الوصل بيني وبين الضباط الأحرار. وشاءت الأقدار أن يأتي خبر موت الإمام، وهذا ما سبب انفراج الأزمة بالنسبة لي خاصة. وقد انشغل البدر وأعوانه بنبأ موت الإمام، وكان الأمل في البدر وبأنه سيغير في سياسة أبيه، ولكنه استمع لمن حوله من أعمدة العهد البائد، فألقى خطبته الضيقة في الجامع الكبير بعد صلاة الجمعة، وأدرك الضباط الأحرار بأن هذه العصا من تلك العصبة، ولا تلد الحية إلا حية. وجاءت ليلة الـ 26 من سبتمبر ليعلن الأحرار للعالم بأن الثورة قد قامت، وأن الجمهورية اليمنية هي خاتمة حكم الطغاة.

وأذكر أنه كان هناك قبيل الثورة إحساس بأنها أصبحت على الأبواب، كما أذكر أنني التقيت بالبطل علي عبدالمغني رحمه الله(1) في ميدان التحرير وسألته في

(1) عندما جاء بعض المعروفين من صنعاء إلى عدن، لقيته قبل عودته إلى صنعاء وقلت له، فضلاً سلم على الأخ علي عبدالمغني، وعندما بلغه السلام بعث إلي برسالة مؤثرة لو وجدها مخبر من جنود الإمام لما كانت ثورة لأنه شرح لي ما يحضر وإخوانه للثورة.

حذر، ماذا وراءك يا عزيزي، فرد علي باقتضاب إنكم قد أديتم الواجب وتحملتم محنة الانتكاسة سنة 1948م، وعلينا اليوم أن نؤدي الواجب وأن نتحمل تبعة ما سنقوم به. فقلت له اسألونا فقد جربنا الخطأ فرد علي، لقد درسنا كل الاحتمالات وعلى الله التوكل. فقلت له أعانكم الله ونحن شركاؤكم، وافترقنا ولم نزد على ذلك. وهكذا بقينا نفكر ونتذكر حركة التاريخ، حتى كان صباح يوم الخميس 26 سبتمبر سنة 1962 حين دوّت المدافع تدك قصر البشائر، وأعلن المذيع هنا صنعاء إذاعة الجمهورية العربية اليمنية، وتم استدعائي لأتسلم إدارة الإذاعة لأنني كنت مديراً لها(1)، وكان معي الأستاذ محمد الفسيل، والأستاذ الدكتور عبدالعزيز المقالح، والأستاذ عبدالله حمران، والأستاذ عبدالوهاب جحاف، وبقية العاملين في الإذاعة.

الأيام الأولى للثورة وما تسببه قدوم البيضاني

بعد وصولي إلى الإذاعة أتذكر أننا في هذا اليوم الخالد اجتمعنا لنرسم خطة العمل، ونوزع الواجبات. وقد تمكن بعض الأخوة من استدعاء القاضي عبدالله

---

(1) جاء ليلة الـ26 من سبتمبر سنة 1962م أحد ضباط الارتباط بين الأحرار وبين من في الإذاعة من المثقفين وعلى رأسهم الدكتور عبدالعزيز المقالح، وهمس في أذنه بأن الليلة ستكون فيها ساعة الصفر واقترح الضابط بأن نطيل البرامج أكثر من ساعة على المعتاد لأجل أن يأتي البلاغ الأول فيذاع أثناء نشرة الأخبار، ولكن البدر اتصل بي شخصياً بصفتي مديراً للإذاعة وقال لي: هيا غلقوا الإذاعة فقلت له إننا ننتظر قرارات مجلس الوزراء الذي كان يرأسه تلك الليلة فرد علي لقد انتهت الجلسة، ولعله كان يحس بأن شيئا سيحدث. وكان ضابط الإذاعة المقدم حسين الحرازي يلاحظ المذيعين، حتى أنه رأى عبدالوهاب حجاف يجتمع بحرس الإذاعة (فوج البدر) وقال لي في انفعال: إن عبدالوهاب جحاف يجتمع بحرس الإذاعة ولا أدري ماذا يقول لهم، قلت إن أكثر أفراد الحرس من حجة ويسألون عبدالوهاب عن رسائل تأتيهم من أهلهم كونه من اللواء، ثم طمأنته حين قلت له: أنا هنا المسئول عن الإذاعة وما يجري فيها؟ قال لي: نعم ، ثم دعوت في الحال عبدالوهاب جحاف وعاتبته لترك عمله، وكلفته بإعداد برامج الغد، وتلافينا هكذا ما كان يضمر الحرازي من شيء ضدنا.

الشماحي وهو سائر في الطريق قرب مبنى الإذاعة، وقلنا له اليوم يـــوم الثـــورة الخاتمة، فقال على بركة الله. وأمسك بالمكرفون ودوى صوته يخـــترق الأجـــواء، ويدعوا الجماهير للالتفاف حول الثورة الخاتمة. وكنا ندعوه في الأوقات المناســـبة ليشاركنا الأفكار، ويكرر خطاباته بصوته المجلجل، ليحث الجماهير على نصـــرة الثورة التي قامت من أجل يمن حر لا يحكمه الدجل والخرافة، بل يحكمه الدســتور والقانون. وهكذا تداعى المخلصون ليشاركونا في إيقاظ الجماهير التي كانت قـــد تعلمت من ثورتي سنة 1948م و 1955 بأنه يجب على كل اليمنيـــين أن يـــهبوا لمساندة الجيش وقادة الثورة. وأذكر أنه في اليوم الثاني وصـــل المـــلازم عبـــدالله عبدالسلام صبره ليحرك الدبابة التي كانت قد وصلت فجـــر اليـــوم الســـادس والعشرين لتحرس مبنى الإذاعة، ووجهها نحو الدار التي كانت تطلق الرصـــاص وفيها بعض من بقى من عائلة بيت حميد الدين. وأطلق أول قذيفة فأصابت محـــول الخط الكهربائي فأحدثت فيه ضررا بالغاً ثم حول مدفع الدبابة إلى بيت الســـيف علي بن يحيى وأطلق نحوه قذيفتين مما جعل السيف علي يسلم نفســـه وســـيق إلى ثكنة الجيش المجتمعة فيها قيادات الثورة فكان ممن أعدموا. وفي اليوم الثـــالث أو الرابع توجهت إلى مبنى قيادة الثورة لكي أبارك للقائد عبدالله الســـلال وبقيـــة الضباط بالنصر، وأشد على أيديهم. وقال القائد وهو يبتسم "ابسر على فعلـــة"! قلت له: إنها (فعلة) يباركها الله، فقد حدثت في موعدها. وقال هل تريد أن تـــرى مصارع الرجعيين؟ قلت يكفي أنهم قد لقوا مصيرهم. وفي هذه اللحظـــة جـــيء بالأمير الحسن بن علي رحمه الله، وكدت أتدخل لكي لا يقتل، ولكنني خفت مـــن أن يقال بأنها عاطفة هاشمية، ولا سيما وفيها بعض المتهورين أمثال هادي عيســـى عفى الله عنه. وعدت إلى مقر الإذاعة لنواصل العمل. وفي اليوم الرابع اتصـــل بي قائد الثورة عبدالله السلال وقال لي: شكلوا الوزارة، فقلت له إنك تعرف رجـــال اليمن وعلماءها، والأحرار الذين نادوا بالثورة. فقال: إننا في عمل مرهق، وأنـــت

تعرف الأحرار علماء وأدباء وثواراً. وكان معي المناضل القـــاضي عبدالســلام صبره، والأستاذ محمد الفسيل، والأستاذ عبدالعزيز المقالح. وأخبرتهم بمـــا قـال القائد عبدالله السلال، فأخذ كل منا ورقة، وكتب ما دار في ذهنه من أسماء يمكن أن تشكل منها الحكومة.فاتفقنا جميعاً على أن يكون:

الأستاذ محسن العيني	وزيراً للخارجية
والقاضي محمد محمود الزبيري	وزيراً للتربية والتعليم
القاضي عبدالرحمن الإرياني	وزيراً للعدل
د. عبد الغني علي احمد	وزيراً للمالية– للخزانة
العميد حمود الجائفي	وزيراً للدفاع– للحربية
عبد الغني مطهر	وزيراً للتجارة
يحيى منصور بن نصر	وزيراً للزراعة
الملازم الأول محمد الأهنومي	وزيراً لشئون البلديات
علي محمد سعيد	وزيراً للصحة
احمد المروني	وزيراً للإرشاد القومي
عبدالله الكرشمي	وزيراً للأشغال
النقيب عبداللطيف ضيف الله	وزيراً للداخلية

وعندما قرأنا أسماء الوزراء قال الزعيم عبدالله السلال لمـــاذا لا تجعلـــوني رئيس مجلس الوزراء، فاعتمدنا ذلك قراراً.

وفي اليوم الثالث استدعاني القائد عبدالله السلال وقال لي إن الأستاذ محمد محمود الزبيري سيصل غداً، أرجو أن تخرج إلى المطار لاستقباله. وقد كان استقباله استقبالاً حافلاً، وقد رأيته وهو يغادر الطائرة ويمس تراب اليمن، ثم رأيته ينحني بحيث لا مس وجهه التراب وقبله. وكان البيضاني[1] في مكان بعيد من هذا المنظر المؤثر، وسألني البيضاني: من شكل الوزارة؟ قلت له: مجلس قيادة الثورة، فرد علي في امتعاض إنكم ستسمعون الليلة القرار الجديد. وفعلاً أذيع بأن البيضاني نائب لرئيس مجلس الوزراء ووزير للاقتصاد، ثم عين نفسه وزيرا للخارجية بدلا عن الأستاذ محسن العيني الذي انتدب إلى الأمم المتحدة ليحتل مكان المملكة المتوكلية. وقد حدث امتعاض واعتراض من وجود البيضاني في صفوف الثوار والأحرار، وأن يتصدر منصب نائب رئيس الجمهورية ووزير للخارجية والاقتصاد. وقد انكشف من أنه يحمل نزعة طائفية حاول بها شق صفوف الأحرار، مما جعل المشير السلال يرسله إلى مصر، يرافقه اللواء محمد الجرموزي والأخ حمود بيدر مع رسالة إلى الرئيس جمال عبدالناصر يشكو فيها

---

(1) في أواخر سنة 1961 تيسرت لي زيارة القاهرة وكان معي المناضل الأستاذ يحيى الكحلاني رحمه الله. وكان معنا ابن أخيه وولد الشيخ سنان عبدالوهاب سنان أبو لحوم حيث تولى إيواءه الأستاذ الشهيد محمد محمود الزبيري، وسعى لإلحاقه بإحدى المدارس في القاهرة. ونزلت في شقة بالقاهرة، ويومئذ اتصلت بالأستاذ احمد محمد نعمان، وكان الأستاذ الزبيري في الإسكندرية. وقد التقيت بالمناضل العنيد الأستاذ محمد احمد نعمان رحمه الله الذي استصحبني إلى بيت والده الأستاذ الكبير رحمه الله. وهناك تدارسنا حالة الأحرار وما يجب عمله من أجل التخلص من حكم الإمام احمد. وكان البيضاني قد رشح نفسه ليكون عضواً في الجمعية اليمنية الكبرى (حزب الأحرار اليمني) ولكن الأستاذ محمد محمود الزبيري عارض انضمامه إلى الحزب، وعرض على البيضاني ان يكون مستشاراً. وقد دعانا البيضاني إلى شقته الفاخرة لتناول طعام الغداء وليستعرض أنه رجل "مهم". وكان معه حارس مسلح بمسدس، ولم نتأثر بذلك الاستعراض السخيف. وقد شكى علي قائلاً: بالذمة هل يعينني الإخوة مستشاراً؟ فقلت له إنه منصب له اهميته، فرد علي في غيظ إنه من الممكن ان يعينوا أي شخص من أي ملة؟ وحاولت إقناعه ولكنه لم يقتنع. وكان يخفي شيئاً خطيراً وهو إيجاد خلاف طائفي، وهذا ما انكشف اخيراً.

مساعي البيضاني لشق صفوف الثورة بنزعته الطالفية، ممـــا اقنـــع عبدالنـــاصر باستبقائه في مصر في قصة طويلة. وكان أول عمل طائش قام به البيضاني هو طرد القائم بالأعمال في سفارة المملكة العربية السعودية وكنت يومئذ برفقته بصفـــتي وزيراً للإعلام. وكان القائم بالأعمال السعودي الأستاذ إسماعيل المعني[1] متعاطفاً مع المثقفين اليمنيين، ويعمل في كل ما يحسن العلاقات بين اليمـــن والســـعودية. وأذكر يومها أنني عارضت تصرف البيضاني وقلت له: لا يجوز أن نفقد شـــخصية من الممكن أن تلعب دوراً في تحسين العلاقات بيننا وبين المملكة، ثم لا يجـــوز أن تقول له: إنك يجب أن تغادر الأراضي اليمنية في ظرف أربع وعشـــرين ســـاعة ولسنا مسئولين عنك، حيث رد عليه قائلاً: إن هذا مخالف للعرف الدبلوماســـي، وأنه مخالف للشريعة الإسلامية. فرد عليه في حنق وفظاظة: هذا قـــرار لا رجعـــة فيه. وكانت بداية تصرف لا تبشر بخير. ثم غادرنا مقر السفارة السعودية لأسمـــع من البيضاني بأنه سينذر السفير البريطاني بمغادرة اليمن ولم أعلق علـــى كلامـــه. وسارت الأحداث متلاحقة. وكاد البيضاني يخرب الثـــورة ومبادئـــها بحماقتـــه وشعوره بأنه أحق بالثورة وزعامتها، ولكنه جنى على نفسه وعلى الثورة.

---

(1) هو الأستاذ إسماعيل المعني، وقد كان طرده سبباً من الأسباب في أن اشتد غضب المملكة ووقفت مـــع الملكيين بكل ثقلها.

موقف عبدالناصر من البعث والبقاء لفترة تحت الإقامة الجبرية بالقاهرة

انشغل الرئيس عبدالناصر بمواجهة البعث في العراق وسوريا وترك إسرائيل وعملاءها ينتهزون الفرصة للتسرب داخل الجمهورية العربية المتحدة حتى كانت الكارثة بحرب سنة 1967 التي تمكنت فيها إسرائيل من توجيه ضربة مؤلمة للجمهورية العربية المتحدة كما هو معروف، وما أعقب ذلك من سحب قواتها من اليمن. وهكذا نشطت الفلول الملكية، وحاولت محاولات يائسة لإسقاط النظام الجمهوري، ولكن الجماهير كانت متماسكة. وكان للجيش الشعبي دوره وقد تعرضت صنعاء لقذائف الفلول الملكية الهاربة ومعها من يعاونها على زعزعة الأمن والاستقرار، ولكنها باءت بالفشل[1].

وهنا أترك التفاصيل حول الثورة وما عانته، وما واجهت من صدامات وصراعات، ولأشير إلى ما أسهمت به في رحلة حياتي بعد أن بسطت في الفصول السابقة الأدوار التي قمت بها منذ النشأة الأولى إلى قيام الثورة.

لقد عينت وزيراً للإرشاد القومي يوم كانت رئاسة مجلس الوزراء تسمى "المجلس التنفيذي" تمثلاً بما هو موجود في الجمهورية العربية المتحدة. حتى (العلم) كان المجلس التنفيذي قد اقترح أن يكون فيه اللون الأخضر إشارة إلى اليمن

(1) يمكن هنا الرجوع إلى منشورات مركز الدراسات والبحوث الخاصة بحصار صنعاء.

الخضراء، واللون الأحمر إشارة إلى الثورة، واللون الأسود إشارة إلى الحكم البائد، ولكن المستشار المصري الذي شارك في المداولة اقترح أن يكون مثل العلم المصري وتتوسطه نجمة خضراء، فوافق الجميع على ذلك. ومن النكت الظريفة أنني أدليت بشهادة عن حزب الشعب الاشتراكي وكان فيه عبدالله الأصنج، ومحمد سالم باسندوه واللذان أختاراني عضواً في الحزب إشارة إلى مستقبل الوحدة اليمنية، وقلت في سياق الكلام عن الحزب لقد كنت عضواً في حزب- البعث- الشعب الاشتراكي وأسفت للخطأ، إذ تداركت الكلام وقلت حزب الشعب، فقال المراقب المصري في سخرية (زي بعضه) وضحكنا للتعليق.

ثم عينت عضواً في وفد إلى مصر ضم القاضي عبدالرحمن الإرياني، والشيخ محمد علي عثمان، واللواء حمود الجائفي، وعدداً آخر من وجهاء اليمن. وكان أخي شرف المروني قد نقل إلى مصر بعد خروجه من سجن حجه لتجرى له عملية في إحدى كليتيه حيث كانت سبب وفاته. ويومها عدت بجنازته إلى صنعاء، وقد ترحم عليه كل من عرفوه إذ كان ضاحك السن، اجتماعيا متعاوناً، درب الكثير في سجن القلعة وسجن حجه على صناعة الأحزمة وزخرفتها بخيوط الحرير والفضة، كما كان معلماً للجيش في تعز بعد استشهاد المقدم احمد الثلايا. وقد كانت مرافقتي لعثمان أخي سبباً لبقائي في صنعاء. ولكنني لم أمكث غير بضعة أيام حتى صدر قرار بتعييني سفيراً في جمهورية الصين الشعبية، وبالفعل استلمت جواز السفر وركبت إحدى الطائرات المصرية إلى القاهرة، ولكن أوامر صدرت ببقائي في القاهرة بدون أن أعرف السبب. وفي هذه الأثناء طلبت مقابلة أنور السادات، وكان رئيس مجلس الشعب والمسئول عن شئون اليمن، وقلت له إنني أريد العودة إلى صنعاء، فرد علي قائلاً ألا تحب أن تبقى في مصر، قلت له: إن البقاء في مصر أمنية غالية ولكن لا أرى في بقائي فائدة، وعودتي إلى اليمن

ستجعلني اشارك في العمل على نشر الوعي بين الجماهير المتخلفة، كما لا يجوز لي ولأي يمني أن يتغيب عن اليمن والقوات المصرية تواجه المؤامرات وتمرد القبائل المغرر بها من قبل الرجعية. فقال لي لا باس بسفرك إلى صنعاء لمدة أسبوع، وقلت في نفسي المهم أن أعود إلى صنعاء وبعد ذلك لله في خلقه شئون. وفعلاً سافرت على إحدى الطائرات الروسية ووصلت إلى صنعاء لأسمع إشاعات وكلاماً حول الحكومة، والخلاف القائم بين المشير السلال والفريق العمري، ورأيت الجو مليئا بالغيوم السياسية. وهنا نصحني بعض الاخوة بأن أعود إلى مصر تفادياً لما قد يحصل من قبل القياديين المختلفين. واقتنعت بالعودة مستصحباً أهلي وأولادي. وقد تسهل سفري مع من معي، وركبنا إحدى الطائرات المصرية التي أقلتنا إلى القاهرة، وحطت رحالها في المطار العسكري حيث بقينا من الظهر إلى قبل الغروب ننتظر سيارة تقلنا إلى المدينة. فحصلنا عليها بعد جهد وانتظار، وأوصلتنا إلى بيت الصديق صالح جحيش رحمه الله، إذ كانت بينه وأهله صلة ببيت الحبشي أصهاري. ومكثت لدى هذه الأسرة الطيبة أكثر من نصف شهر حتى حصلنا على شقة مفروشة في الدقي بإيجار باهظ. ولم نستمر في هذه الشقة كثيراً فنقلنا إلى شقة أوسع في نفس الشارع. وعندما رأيت بأننا سنمكث إلى أجل غير مسمى اتصلت بالعميد وحيد الذي عينه المشير عبدالحكيم عامر مشرفا على شئون اليمنيين، وقلت له إنني لا أستطيع تحمل الإيجار الباهظ فقال لي: ما رأيك في أن نحجز لك شقة في إحدى عمارات مدينة نصر، ويومها كان العميد محمد الجرموزي المرافق العسكري للمشير السلال قد سبقني وحجز له شقة تطل على شارع الطيران، وقبلت العرض فدفعت مائتين وخمسين جنيها مقدماً من قيمة الشقة وتقسيط باقي الثمن بدفع عشرين جنيها شهرياً. وهكذا بدأت في تأثيث هذه الشقة بصعوبة. وكان السفير محمد احمد المطاع رحمه الله قد عرض علي بعض الأثاث من شقة الشيخ محمد القوسي الذي أرغم على إخلائها لعدم وفائه

بإيجارها، وكنت قد طلبت إلحاق أولادي بمدرسة الأورمان في شارع الدقي قريباً من الشقة التي سكنت فيها أول الأمر، وصدر قرار من وزير الحربية المشير عبدالحكيم عامر إلى مكتب شئون اليمن للاتصال بوزير التربية والتعليم ليأمر بقبول أولادي في تلك المدرسة. ومن هنا تأكدت بأن بقائي وأهلي في مصر سيطول، وسلمت الأمر لله، وهكذا أمضيت ما يقرب من شهرين تمكنت خلالها من تسكين أولادي في المدرسة. وكنت أطوف بالأسواق لشراء بعض ما تحتاجه الشقة من أدوات المطبخ وأثاث لتكملة ما أشتريته من مخلفات الشيخ القوسي وكنت أتردد على سفارتنا بالقاهرة لأستطلع ما يستجد من أخبار. وذات يوم وأنا عائد من السفارة التي تبعد كثيراً عن سكني، وعندما دخلت شقتي قالت لي زوجتي وهي ترتجف: لقد جاء إلينا ضابط وسألنا عنك فقلنا له إنك في السفارة. وتوقعت شراً. وما كدت أخلع ملابسي وأرتدي البجامة وانتظر الغداء حتى دق جرس باب الشقة، فقمت وفتحت الباب وإذا بشخص يرتدي ملابس مدنية وقال لي: أرجو أن ترافقني إلى قسم عابدين، فقلت له لماذا؟ قال أنت مطلوب إلى القسم. ولم يشرح لي السبب، فقلت بأن من المفروض في هذه الحال الاتصال بمكتب شئون اليمن، فقال لا مانع: وفعلاً اتصلت بالمكتب فرد علي ضابط لم يقل لي اسمه، وسألته عن العميد وحيد الموكل بشئون اليمنيين في مصر فقال إنه غير موجود. فقلت له: إن شخصين جاءا إلى شقتي وطلبا مني مرافقتهما إلى قسم شرطة عابدين لا أدري لماذا، فرد علي الضابط قائلاً: إذا تأكدت من هويتهما فلا مانع من مرافقتهما. وفعلاً لبست بدلة الخروج وودعت أهلي وطمأنتهم، وكنت قد أمنت احتياجاتهم، وركبت مع الضابطين وقد جعلاني بينهما كما في عادة من يقبضون عليه خشية أن يحاول الهرب. وبعد أن أوصلاني إلى إدارة قسم عابدين لم أعد أذكر من هو المسئول الذي سأقابله، غير أن بعض الموظفين كانوا قد هيأوا لي غرفة ملحقة بالمكاتب في القسم، ووضعوا على مائدة فيها مسجلة كأنها مخصصة

لاستجواب وتسجيل كلامي. ثم غيروا هذه الخطة فدعوني إلى غرفة اخرى مجهزة بسرير للنوم، ولم أدخلها فقد كان الوقت قريباً من منتصف الليل حين دعيت إلى مقابلة رئيس القسم، وكان شاباً يقرب عمره من الخامسة والعشرين عاماً. فدخلت عليه وحييته وأنا رابط الجاش لم أشعر باي شيء يجعلني في رهبة وخشية لأنني على يقين من سلوكي المستقيم. وقال: تفضل اجلس، وجلست على كرسي في مقابلة ذلك الشاب الوسيم، وسألني قائلاً: ماذا كنت تقول في السفارة يوم كذا وحدد لي التاريخ، فقلت: لقد قلت كلاماً كثيراً يدور حول مشاكل عديدة أهمها ما تواجهه اليمن من مؤامرات. قال لي: لا بد أنك قلت شيئاً يسيء بسمعة مصر، قلت له: هذا ما لم يحصل. فكرر علي قائلاً تذكر فأنت رجل مسئول: قلت إنني اليوم غير مسئول وقد صرت مواطناً. قال لي: بل لا زلت من رجال اليمن المسئولين: قلت له إنني لا أذكر بأنني قلت كلاماً يسيء إلى الجمهورية العربية المتحدة. وهنا أعطاني مجموعة من الورق وقلماً وطلب مني أن أشرح ما قلته يوم كنت في سفارتنا بالقاهرة. وكتبت كلاماً كثيراً كله يدور حول مجيئي من صنعاء مع أولادي، وما تعانيه اليمن من مشاكل ومؤامرات. وهنا قال لي: إن ضباطاً سيستصحبونك إلى بيتك، قلت شكراً. وهكذا غادرت مكتبه وأنا رابط الجأش لم أشعر باي قلق لأنني واثق من نفسي. وقد واجهت عنتاً وأنا في انتظار من سيرافقني إلى شقتي. وأذكر عندما كنت في انتظار بعض الإجراءات وقد شعرت بالتعب والجوع أن سحبت خشبة مسطحة ملصقة بحائط اخل الذي أنتظر فيه وكدت أجلس عليها، فتصدى لي جندي خشن الطبع لئيم النفس، وصاح قائلاً قم. وابتلعت غيظي وقلت في نفسي إنه من القطيع الذي يساق بالعصا والذي لا يعرف سوى الركل والبصق والإذلال. فهو يصب جام غضبه علي دون ما يوجب ذلك.

وجاء من يرافقني من الضباط ومشيت معهم إلى خارج مبنى قسم عـابدين. وركبت معهم سيارة شرطة حيث توجهنا إلى قسم مصر الجديدة، وهناك أمضيت مع حراسي أكثر من ساعة ننتظر. وقد كان الوقت منتصف الليل وكنا ننتظر مـا سيأتي به الضابط الذي كان معي. وفعلاً خرج من مكتب القسـم وقـال لي إن أوامر صدرت بأن أبقى في شقتي ولا أغادرها إلا باستئذان من الحـارس الـذي سيعين باب شقتي، وفعلاً وصلت إلى الشقة ووجدت أهلي وأولادي في حالة مـن القلق والخوف، وكان معهم الطيار الوفي (علي القباطي) وأهله يواسـون أولادي وأهلي، ويطمئنونهم، فشكرتهم على وفائهم.

وامضيت سنة وثلاثة أشهر محجوزاً في الشقة لا أغادرها حتى ولو إلى بـاب العمارة، لأن العسكري الحارس بباب الشقة يحصي من يـزورني أو يتصـل بي. وأذكر أن الأستاذ عبد التواب يوسف جاء لزيارتي ولم يكن قد علم بما جـرى لي وأنني في الإقامة الجبرية، وعندما علم بما حصل ودعني وانصـرف. وقـد لقـي الحارس وقال له: هذا اسمي، وهذه بطاقتي، أكتب لمن تشاء بأنني زرت صديقـي المروني. وقد ظل حينها مكتب شئون اليمن يرسل لي المرتب وكان في حدود مائـة جنيه أو أقل، وكان الجنيه قيمته الشرائية جيدة، وكانت زوجتي تخرج لشراء مـا نحتاجه. وكان القاضي العلامة عبدالرحمن الإرياني، والقاضي الوفي عبد السـلام صبره يزورانني مرة في الأسبوع وأسعد بلقائهما، واسمع الأخبار منهما ولا سـيما أخبار اليمن. وكان الجندي الحارس مثل الكابوس يشعرني بأنني محبوس، مما جعلني اضيق واشعر بالملل، وكنت أطالع في بعض الكتب التي اقتنيتها قبل أن احتجـز في سكني، وأجد فيها سلوة وراحة لا سيما كتب التاريخ.

نكسة 1967 والعودة إلى اليمن

بعد مضي سنة وبضعة أشهر على احتجازي وقعت الحرب الإسرائيلية المصرية سنة 1967م ولم أصدق حدوثها لولا أن أولادي أخبروني بأن إذاعة صوت العرب تذيع أنباء الحرب. واستمعت إلى المذيع المشهور احمد سعيد وهو يجلجل بصوته ويقول إن الجيش المصري أسقط عدة طائرات للعدو. وكان يدين إسرائيل لأنها تدمر المساجد والمساكن. وما هو إلا يوم وليلة حتى فوجئنا بأخبار هزيمة الجيش المصري التي بكيت عند سماعها وقلت في نفسي: أين الصواريخ القاهر والظافر، وأين جيش مصر المجهز بالدبابات والمدرعات والمدافع البعيدة المدى.. أين ما كنا نظن بأن الجمهورية العربية المتحدة ومعها الجمهورية العربية السورية لن تهزما، وأين الاتحاد السوفيتي الذي أبرم معاهدة الدفاع المشترك بينه وبين مصر وسوريا. وكانت أسئلة كثيرة بلا جواب. وقضينا في هذه المدينة عدة ليال يحظر علينا إشعال المصابيح، وكان الحرس من الجيش الشعبي يراقبون العمارات، ويصرخون بقولهم: اطفوا النور إذا شاهدوا أحد الشبابيك يلمع فيه ضوء مصباح. وثاني يوم الحرب خرجت من شقتي أتحدى الحارس الذي رآني خارج العمارة وصاح: أنت رايح فين؟ فقلت له في سخرية أنا رايح أسجل اسمي في سجل المقاومة الشعبية. فرد عليّ: ما يصحش تخرج من الشقة: قلت له: هذا كان زمان، لقد اهتمت القيادة المصرية بمطاردة الأحرار العرب وانشغلت

بملاحقة البعثيين، وكانت إسرائيل تخترق مصر بجواسيسها ومخابراتها مع الأسف.[1] وفي اليوم الثالث من النكسة جاءني جندي برتبة شاوش وقال: إذا تحب تخرج تتمشى أو تذهب للسوق أو تصلي في المسجد فلا حرج عليك، قلت له: شكراً وفي اليوم الرابع لم يعد الجندي المكلف بحراستي يظهر في باب العمارة التي أسكن فيها، وقد اتصل بي أحد الضباط في مكتب شئون اليمن وقال لي مبروك فقد صدرت الأوامر بإطلاق الفريق العمري وجماعته، وأنت الآن في حل من أمرك تستطيع أن تأخذ حريتك، فشكرته.

وقلت في نفسي مسكين جمال عبدالناصر وإخوانه، وقعوا في الفخ ولم يتبصروا في العواقب. ولقد تركت النكسة في قلبي جرحاً لا يزال ينزف إلى اليوم، لأن هزيمة الجمهورية العربية المتحدة كانت هزيمة كل العرب. وذهبت في اليوم الخامس إلى بيت الفريق العمري وهنأته بإطلاقه وإخوانه من السجن، وقلت له ما رأيك في زيارة القاضي عبدالرحمن الإرياني ولنسمع ما عنده فقال لي هذا ما كنت أفكر فيه. وتوجهنا إلى المبنى الذي كان يسكن فيه القاضي، ووجدنا عنده مجموعة من الإخوة وزراء وضباطاً، وهنأ الذين خرجوا من السجن، وقلت له أرجو أن تتأنوا بالنسبة للعودة إلى اليمن، فلا تزال الأمور مرتبكة، فرد علي قائلاً إن هنالك إجماعاً من المشايخ والضباط على ضرورة عودتي، ولا بد من تدارك الموقف قبل أن تسود الفوضى. ولم يعد مجال للحوار ما دام القاضي قد اقتنع!

وهنا قلت للفريق العمري ما رأيك في عودتنا إلى الوطن لنشد من عضد القاضي فبقاؤنا في مصر لم يعدله مبرر، فرد علي بقوله لنفكر، ولعل عودتنا أصبحت ضرورة. ومضى يومان حتى استقر رأيه على العودة. وحجز لنا مكتب شئون اليمن كرسيين على إحدى الطائرات التي استمرت في العمل بالنسبة لليمن.

---

(1) اكتشفت المخابرات المصرية في إحدى عمارات القاهرة جهاز إرسال واستقبال لخدمة إسرائيل.

ولقد وصلنا إلى صنعاء، واستضافني الفريق العمري لليلة ثم استأذنته في اليوم الثاني وتوجهت إلى بيت عمي حسين الحبشي حيث كنت قد تزوجت بإحدى بناته، وسكنت لديه حتى استأجرت مسكنا في شارع 26 سبتمبر وكان البيت ملكا لبيت (إسحاق)، ورزقت فيه بالمولودة الأولى.

بين صنعاء وبغداد وقصتي مع المقدم إبراهيم الحمدي

كلف الفريق العمري في الأثناء بتشكيل الوزارة، وقد أسندت إلي وزارة التربية والتعليم وأمضيت فيها بضعة أشهر، بعدها استقال الفريق وعينت بعدها سفيراً لدى العراق حيث أمضيت ما يقرب من تسعة أشهر. وفي هذه الأثناء شكل الوزارة عبدالله الكرشمي وكانت مفاجأة لي حيث عينت في الوزارة وزيراً للتربية والتعليم. وفوجئت بغداد باستدعائي، وودعت المسئولين في بغداد وعدت إلى صنعاء وأنا في حالة نفسية متأزمة. ولم يمض شهر حتى سافرت إلى المغرب لحضور اجتماع وزراء التربية والتعليم العرب لتدارس توحيد المناهج، وتبادل الخبراء وطلب العون لليمن في مجال التعليم[1]. وقلت في كلمة في الاجتماع: إن

---

(1)- عندما توجهت إلى المملكة المغربية كان يرافقني الأستاذ احمد هاشم رئيس اللجنة الوطنية لليونسكو في وزارة التربية. وقد وصلنا المغرب وتوجهنا إلى الدار البيضاء حيث سيعقد اجتماع وزراء التربية العرب. وكان هناك الأستاذ احمد الروضي سفيراً في الجزائر والمغرب، وكان في استقبالنا وقد حجز لنا في فندق خمس نجوم يسمى فندق المأمونية. فقلت له ابحث لنا عن فندق على قدر ما معنا من مصروف، فرد علي في ثقة إن رؤساء الوفود ضيوف على حكومة المغرب. وكررت عليه السؤال هل أنت متأكد فرد علي في يقين: نعم نعم، فقلت على بركة الله. وحططنا الرحال وشاركت في اجتماع الوزراء العرب، واعتقد أننا مكثنا ما يقرب من ثلاثة أيام. وفي هذه الأثناء وصل وفد من الجنوب اليمني برئاسة عبدالله فاضل الذي مكث ومن معه ليلة وحضر جلسة واحدة من جلسات المؤتمر. وفي اليوم الثاني غادر المغرب عائداً إلى عدن. وعندما انتهى المؤتمر وحزمت حقيبتي وجاء السفير احمد الروضي ليرافقنا ونفضت مابقى من مصروف لعامل التلفون وللفراشين وقلت إنهم أحق بالإكرام، وعندما توجهت إلى بوابة الفندق، كان السفير الروضي يراجع المسئول عن الحساب فاستوقفني وقال

اليمن تحتاج من قطعة الطباشير إلى بناء المدارس وتوفير الكتب. وشكرت في كلمتي كلاً من مصر والعراق على ما قدمتاه من عون سخي. وأعتقد أن الكويت وعدت بمعونة لا أعرف مقدارها، ولا كيف وصلت لليمن لأن وزارة الكرشمي استقالت، وأعيد تعييني سفيراً لدى العراق حيث قال لي القاضي عبدالرحمن الإرياني رئيس المجلس الجمهوري إنني لا أحتاج إلى أوراق اعتماد فإنه لم يتعين سفير بعدي. ووافقت وتم سفري مع أهلي وأولادي حيث مكثت أربع سنوات. كنت وأنا سفير ببغداد أقوم ببعض النشاطات، ولا سيما فيما يعود على اليمن بالفائدة، وكانت الباخرة 14 رمضان تنقل بعض المعونات مثل البترول والتمر وبعض ذخيرة الأسلحة. وكان المقدم إبراهيم نائب رئيس الوزراء للشئون الداخلية، وقد كتب لي في إحدى المرات عتاباً حول ما ظنه تقصيراً في عملي ولم اجب عليه، بل حررت رسالة لرئيس مجلس الوزراء الأستاذ محسن العيني وشكوت له ما حصل من عتاب ونقد من قبل المقدم إبراهيم. ولعله اتصل به ونقل إليه شكايتي، فكتب لي المقدم إبراهيم رسالة مطبوعة اعتذر فيها إليَّ وذيلها بقلمه قائلاً: لقد ذهبتم بعيداً يا سيدي الصفي مع أن لكم مكانة عالية أو بما معناه، (انظر ملحق الرسائل). وقد احتفظت بذلك الجواب حتى لقيته في بيته بعد عودتي من العراق، وبعد أن صار رئيساً لمجلس القيادة. وقد رحب بي بمودة ولطف وتناولت القات في مجلسه، وتحدثنا عن العراق وتعاطفه مع الثورة. وعندما استأذنته آخر النهار سألني قائلاً: هل معكم سيارة؟ قلت له: لا. فقال لا بد من تعيين سيارة، وأمر سائقه الخاص بأن يوصلني بسيارته إلى بيتي، وقد عين لي سيارة قديمة ولكنها نفعتني، وكان يظهر نحوي مودة واحتراماً، وظل يبدي نحوي عطفاً

لي إنهم يطلبون مائتي دولار. قلت له هذه فعلتك. وفتشت جيوبي واخرجت ما كنت احتفظ به للعودة، وكانوا في الفندق يسقوننا من ماء (سيدي حرازم). وذكرت لي صنعاء العنب المحرصم (فقلت. نعم سيدي حراصم) حيث يوصف البخيل بقوله فلان محرصم اي بخيل.

وتقديراً. وقد قال يوماً هل تريد أن ترى بلادك المرون؟ قلت يا شوقاه. فقال لي إنني سأرسل لك سيارتي صباح غد لنتوجه معاً لافتتاح الطريق التي شقها المواطنون في جبل الشرق، وطلبوا منه أن يحضر الحفل الذي سيقام بمناسبة افتتاح الطريق. وفعلاً أرسل لي سيارته الخاصة وركبت متوجها إلى بيته، وعندما صعدت إلى الغرفة التي يستقبل فيها الضيوف سلمت عليه، وقال لي باسماً: لقد تهيأتم للسفر إذ وجدني قد لبست بدلة قريبة من ملابس الضباط، فقلت له: هذا ما تعلمناه في الجيش. وكان قد استعد للرحلة، وقام ليتوجه إلى خارج منزله وأنا معه، وركب سيارته وركبت إلى جانبه ومضت بنا السيارة نحو جبل الشرق، وما هو إلا وقت قصير حتى اختفت الطريق المعبدة، وظهرت الطريق الوعرة، وبدأت السيارة تتسلق ذلك الجبل فتصعد بنا ثم تهبط فتهزنا هزاً عنيفاً فسألته بعد أن قطعت بنا السيارة شوطاً كبيراً: وهل سنعود من نفس الطريق؟ فضحك ضحكة عميقة وقال لي: هل تعبتم؟ قلت لا. ولكن كنت أظن بأننا سنترك هذه الطريق ونتحول إلى الطريق المؤدية إلى (حمام علي) فرد علي قائلاً: إننا سنعود من نفس الطريق. وهكذا وصلنا إلى المكان المعد للحفل. وقد ألقى كلمة مؤثرة يشيد بما قام به المواطنون ويدعوهم إلى الاعتماد على النفس، وقال: إن الثورة لن تأتي ثمارها إلا إذا اعتمد الشعب اليمني على نفسه.

وقد عدنا بعدها إلى صنعاء بعد أن استرحنا قليلاً وتناول الجميع بعض الفواكه وشرب الشاي.

وكنت أحضر المقيل في وزارة الأشغال حيث نلتقي بالأصحاب وأكثرهم من موظفي الوزارة، وعلى رأسهم الأستاذ علي أبو الرجال، والأستاذ عبدالبلري صالح، والعميد علي العدلة، والمرحوم المهندس عبدالله الشرفي رحمه الله، وأخوه محمد وغيرهم من موظفي وزارة الأشغال. وفي يوم من الأيام فاجأنا ونحن في

المقيل المقدم إبراهيم الحمدي واجتمع بنا، وسأل القاضي علي أبو الرجال وهل تقيلون كل يوم هنا، فرد عليه. نعم إننا نقضي أوقاتا ونتجاذب الأحاديث في شئون شتى. ثم غادر مجلسنا ورافقه إلى باب الوزارة القاضي علي أبو الرجال. وعندما ودعه عاد إلينا وفي وجهه علامة الدهشة. ولم يخبرنا بما حدث ولكننا سمعنا في الإذاعة تلك الليلة قراراً من مجلس القيادة بتعيين القاضي علي أبو الرجال محافظاً لصنعاء. وصادف أن كان شهر رمضان على الأبواب: وقد أمر المقدم إبراهيم الحمدي بتهيئة مقر المحافظة للسمر في ليالي رمضان، وحدد الأشخاص الذين يستأنس بهم في جلسات السمر، منهم العالم الجليل احمد محمد زباره رحمه الله والذي كلفه المقدم بقراءة بعض كتب الأحاديث في أول السمرة، ثم تدور الأحاديث في شئون شتى. وكان ممن يأنس بحضورهم السمر كل ليله القاضي احمد صبره والد الأستاذ عبدالكريم صبره. صاحب صحيفة الحرية وأنا، كما كانت تعرض عليه أسماء أشخاص يوافق على حضورهم بعض الليالي.

حتى حط الرحال بمركز الدراسات والبحوث اليمني

كنت أثناء هذه الفترة قد عينت رئيساً لمركز الدراسات والبحوث اليمني، وبقيت أحرس المركز بدون مرتب إلا ألف ريال في الشهر نثريات، حتى عاد من مصر الأستاذ الدكتور عبدالعزيز المقالح الذي تعين معي نائباً. ويعلم الله كم كانت فرحتي بمصاحبة هذا الصديق الذي كانت بيني وبينه صداقة تتنامى عبر السنين. وأثناء عملي بالمركز تعينت سفيراً لدى دولة الإمارات العربية المتحدة، واستلم المركز الأستاذ الدكتور عبدالعزيز المقالح الذي نهض بهذا المرفق الثقافي المهم ووسعه، وأنشأ فيه مكتبة صارت مرجعا للباحثين والدارسين. وأذكر أن الأستاذ احمد جابر عفيف أهدى للمركز جناحاً زجاجياً يضم عدة كتب نفيسه،

تاريخية وأدبية، وهي الآن في إحدى قاعات المركز. وعندما استدعتني وزارة الخارجية من عملي كسفير في الإمارات العربية المتحدة وبصورة غير لائقة اعتذرت عن ترك عملي حتى أودع رئيس الدولة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ورجال الدولة. وكان وكيل الخارجية في بلادنا الأخ الأستاذ غالب علي جميل الذي قال لي: ودع الرجل الثاني في أبو ظبي. فقلت له ليس من اللائق أن أودع الرجل الثاني، بل يجب أن أودع الرجل الذي قدمت إليه أوراق اعتمادي. وقد كنت أنوي زيارة بغداد والعراق يومئذ يخوض معركته مع جارته إيران. وقد صارحت الأخ غالب علي جميل بما نويت عمله. وفسرت كلمتي على أنني أريد تعييني سفيراً في بغداد، ويعلم الله ما كان هذا غرضي، ولكنني كنت أحب أن أشارك بأية طريقة في إنهاء تلك الحرب التي استمرت ثماني سنوات. وعاد سمو الشيخ زايد إلى أبو ظبي واتصلت بوزارة الخارجية وطلبت تحديد موعد لزيارة رئيس الدولة وبقية حكام الأمارات وتوديعهم، وقدتم ذلك. وعندما قابلت سمو الشيخ زايد لتوديعه قال لي: استعجلوا بطلبكم، قلت لعل عملاً داخل الوطن ينتظرني. وقد أقامت لي وزارة الخارجية حفلاً تكريميًا دعي إليه سفراء الدول العربية، وتسلمت هدية كريمة لي ولزوجتي، وشكرت الذين أقاموا الحفل والحضور الذين شاركوا فيه. وحجزت مقعدين على الطائرة اليمنية وعدت إلى صنعاء وأنا في غاية التأزم، لأن طلبي لم يكن له معنى غير أن رئيس دولة الإمارات قال لي ونحن نودع رئيس الجمهورية علي عبدالله صالح بعد ما أنهى زيارته لدولة الإمارات قال لي سموه: لقد شكرتك عند الرئيس، فقلت له هذا من كرمكم ولطفكم، ولكنني قلت في أعماقي إن لهذا الشكر ما بعده. ولم ألبث غير بضعة أسابيع حتى استدعتني وزارة الخارجية بصنعاء، وقلت في نفسي هذا تعبير رؤياي.[1]

(1) قبل استدعائي بشهر اتصل بي بعض اليمنيين المهاجرين في ابو ظبي وعرضوا علي أن اقوم بزيارة رئيس

نعم عدت إلى صنعاء آخر سنة 1982م، ولم تتح لي فرصة لمقابلة الرئيس علي عبدالله صالح حتى قيل لي بأنه سأل عني، ويومها عدت إلى مجلس الشعب التأسيسي بصفتي عضواً لم تسقط عضويتي كما بلغني. وكنت أتردد على مركز الدراسات كزائر، وحاولت إقناع صديقي الكريم رئيس المركز بأن أعود للعمل في المركز، وكان يعتذر ويقول لا يمكن أن تعمل إلا في درجة تليق بك. قلت له: شاكراً إنني قانع بأن أظل معك ويا حبذا لو صدر قرار بأن أعين مستشاراً للمركز. وهذا ما تم وهو حاصل إلى اليوم.

الدولة الشيخ زايد بن سلطان في جنيف حيث كان يجري بعض الفحوصات الطبية، كما عرضوا علي نفقات السفر. وكان غرض الزيارة يتعلق بمسألة منحهم جوازات إماراتية، وقد كنت سعيت في ذلك وأنا في أبو ظبي. وأصدر سموه مرسوماً بمنحهم جوازات السفر. وفي أثناء زيارتي لسموه في جنيف جاء قرار استدعائي إلى صنعاء. ويومها اتصل بي السفير عبدالقدوس الوزير الذي سمع خبر استدعائي وأخبرني بالقرار. وكان الأستاذ احمد نعمان يومئذ مقيماً بجنيف، وقد رافقني لزيارة سمو الشيخ زايد، وطرحنا عليه تلك المسألة من جديد.

ملاحق

وسام على صدر الرجل الوسام

إنه الوفاء أجمل شيء في حياتنا، وأجمل شيء في الحياة كلها وفاء الإنسان لوطنه ووفاء الوطن لإنسانه، وفاء الأبناء للأباء، ووفاء التلاميذ للأساتذة، ووفاء الثوار للثورة ووفاء الثورة للثوار، إنه الوفاء هذا النادر، أو الذي أصبح نادراً والذي كدنا نفقد لمساته الحانية في حياتنا فصارت أو كادت تصبح معطلة فاقدة لكل ألق الحياة وعطرها وألوانها الجميلة، إنه الوفاء يعود إلينا على أجنحة هذه الأوسمة النبيلة التي يزيد من نبلها أن توضع في أنبل الصدور وعلى أكرم الأشخاص تقديراً واعترافاً بما قدموه للوطن والمواطنين.

لقد تذكرت هذه المعاني وامتلأت بها نفسي وأنا أشاهد أستاذي الجليل الشاعر المناضل الأستاذ احمد حسين المروني يتقلد وسام مأرب أولى ثمرات العرفان والامتنان للدور الأدبي والنضالي الذي قام به طوال نصف قرن من الزمان لم يكل ولم يمل ولم يضعف أو يستكين، كم قاسى وكم عانى، حمل القيود صابراً وتلقى سياط الطغيان باسما، وحاول أن يفتدي رفاق العمر الذين سبقوا إلى ميادين السلخ بحياته لو أن الفداء كان مقبولاً، وخرج من سجنه الطويل في منتصف الخمسينيات ليواجه الطغيان الإمامي بمواقفه البطولية الصامدة التي قادته إلى التشرد في الوقت الذي كانت فيه أبواب العز مفتوحة على مصاريعها.

لقد كان الأستاذ احمد حسين المروني من أبرز المناضلين الذين اسهموا في وضع قواعد الثورة مع زملائه الحورش والعنسي والبراق والثلايا والجايفي والسلال، وكانت رحلتهم إلى بغداد وعودتهم إلى صنعاء بداية النور الذي بدد الظلام وأنهى حياة التعسف والإذلال.

كان الأستاذ احمد حسين المروني وما يزال من أبرز أساتذة الأجيال التي تلاحقت وصنعت التغيير الشامل الذي يكبر ويتعمق ويتجسد بالعطاء الخصب المتلاحق، وإنني لأعترف وأعتز أنني كنت واحداً من تلاميذ هذا الأستاذ الجليل من المحظوظين برعايته الدائمة طيلة ثلث قرن، وأعترف كذلك أن خربشاتي الأولى في عالم الكتابة قد خضعت لتقويمه وتهذيبه،وقد كتب في منتصف الخمسينيات تقديما شعريا مشجعا لأولى محاولاتي الشعرية وقد نسيت تلك المحاولات ولكنني احتفظت بذلك التقديم كما يحتفظ المرضى بالتمائم.. وفي أواخر الخمسينيات، وقبل أن يفر من بطش الإمام، كنا نتحلق حوله في ساحة المدرسة الثانوية وفي مسجدها لنتعلم منه مبادئ الفلسفة وعلوم البلاغة و البيان. ومن ذلك النبع الفياض لسنوات ما قبل الثورة، ومن تلك المحاولات التي انتصرت على العقم والفراغ، خرج جيل سبتمبر، وذلك هو الدور العظيم الذي يقوم به الرواد الذين كانوا هم الضوء الذي استنار به كل المستنيرين. إنني سعيد بهذا الوسام الذي ارتفع على صدر أستاذي الجليل وكل تلاميذه سعداء بهذا التقدير.

د. عبدالعزيز المقالح

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الصديق النبيل الأستاذ أحمد جابر عفيف حفظه الله

تحية تحمل إليك أصدق مشاعر المودة مشفوعة بدعاء إلى الله أن يمنحك الصحة والعافية ويزيدك وجاهة و[قبولاً].. وبعد فزيارتك الأخيرة لي كانت كجرعة دواء سكن أكثر أوجاعي، وترحيبك بما عرضته عليك من كتاباتي لتضفي عليها من ملاحظاتك الذكية وإخراجها كما يراه ذوقك المبدع .. إذ أنك وضعت عني ما كان يثقل عاتقي وخلقت لي أملاً كان بعيد المنال بسبب اعتلال صحتي وكبر سني منذ تلقى العلاج في الأردن. إنك شخصية يفاخر بها اليمن، ولست جديداً على معرفتي بك فبيننا صداقة قديمة متينة تتجدد بمرور الزمن. ولست أملك في مقابلة فضلك إلا أن أدعو الله أن يزيدك قدرة على ما تنوى من مشاريع وأعمال، وأن يكتب لك النجاح في كل توجهاتك الخيرة. والسلام عليك ورحمة الله .

في 2000/5/31

أخـــــوك

أحمد بن حسين المروني

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى صديقي العزيز الأستاذ أحمد جابر عفيف رئيس مؤسسة العفيف الثقافية حفظه الله وأطال عمره. أحييك بكل معاني المودة والمحبة وأحيي جهودك في كل ما تبذله في سبيل تحرير الشعب من قيود الجهالة والخرافة وما تنفقه في إحياء التراث اليمني التاريخي وأطلب منك أن تعينني في جمع ما نشر في صحيفة الثورة تحت عنوان [في سبيل الدستور] وما نشرت في نفس الصحيفة من يوميات كنت أتناول فيها ما يلفت نظري من تجاوزات إدارية وشعبية وما كنت انتقد به الجمهور من مخالفات اجتماعية وصحية، وإذا سمحت بطبعها فلك الفضل وأنت أهل له لئلا تضيع وهي جهد أعتز به. أما ملف رسائل الإخوان فأتمنى أن تلحقها باليوميات أو مذكرات [في سبيل الدستور] وإنني وبكل ارتياح أفوضك في الترتيب والتبويب والحذف والتصحيح لأنك في العمل الدائم ناقد فذ البصيرة تستوحي ما تعمله من تجارب كثيرة يحكمها ضمير حي يقظ وعقل نابه رشيد، وإذا قدر لهذه الحصيلة الأدبية أن تطبع لك حق التصرف في نشرها واهدائها لمن تحب كل ما أرجوه هو أن ترى النور وأن لا يتراكم الإهمال عليها فتضيع وفقك الله إلى كل عمل كبير يزيدك ويزيد المؤسسة شهرة وجلالا وسلام الله عليك وأعانك على كل ما تنوى عمله في سبيل إحياء العلم ونشر الثقافة بين أوساط الشعب الذي عاش طويلا في ليل من التخلف والجهل وتقبل خالص حبي وامتناني وشكرا.

(في 17 مايو سنة 2000 الموافق 12 صفر 1421هـ)

التوقيع

احمد بن حسين المروني

سيدي وأخي المناضل الصامد السيد احمد المروني الأكرم

تحية اللقاء خارج السجن الكبير وقبلة الوفاء على جبينك اللامع الشامخ وتهنئة النجاة والسلامة لكنز الوطنية الغالي في شخصك الحبيب.

ربما استبطأت يا سيدي رسالتنا اليك وتحيتنا لك ولك ألف حق في ذلك ولكن.. ولكنك لا تستطيع مهما حاولت أن تتصور عظيم فرحتنا بك واغتباطنا بنجاتك ليس لأنك نجوت بحياتك كإنسان عظيم ولكن لأنك قوة وطنية كبرى شدت من أزرنا ورفعت من رؤسنا وسدت ثغرة في تجمعنا وتكتلنا ما كانت لتسد إلا بك.

تلك هي نظرتنا إليك في هذا اللقاء التاريخي أما إننا لم نسرع إليك بالتحية فذلك دأبنا وديدننا ولا فخر- مع كل الأحبة وإن شئت فقل أنها مأساتنا في خضم النضال العاصف الذي لا يدع لنا إلا مجالاً ضيقاً في الاختيار بين اختصاصين اثنين الأول أن نضع حياتنا وأوقاتنا نهبا للطوارئ وطعما للمصادفات ووقفا على النجوى بيننا وبين الأحبة وتبادل مشاعر الود البديهية المفروغ من أمرها.

والثاني أن نختار بين واجباتنا الكثيرة أهمها وأوجبها وأجدرها بالتقديم على أساس أن نرجئ الواجبات الأخرى في ذمة القدر إلى حين.

على أنني معك منذ غادر الجزار- السلخانة- حتى غادرتها أنت ناجياً بنفسك.

لقد كنت أتتبع أنفاسك في الإذاعة وكلماتك وكنت أعتبرها وحياً وطنياً لأني أومن بك وبوطنيتك وشجاعتك وإخلاصك وما كنت قط اعتبرها كما اعتبر كلام الكثيرين مجرد خضوع لإرادة السلطة الحاكمة لأنا نعرفك أبياً شديد العناد لا تقول ما تقوله إلا عن عقيدة وإخلاص واقتناع لهذا جعلتنا نضرب أخماساً في أسداس لأنك تطالبنا بالتجاوب مع ذلك العهد دون أن تكون لدينا المعلومات الكافية المقنعة وكنا نخشى على وضعكم أن ينهار لتركككم أزمة الأمر في يد البدر

يعالجها على هواه وبميوعته وتذبذبه وإصراره على استبقاء الطبقة الفاسدة وحثالاتها وعملائها وجواسيسها يسرحون ويمرحون ويلعبون في الموقف الخطير الدقيق كما يشاءون.

وبعثنا بعدة رسائل نسأل ونستفهم ونقترح عليكم اتخاذ الاحتياطات والضمانات التي تكفل لنا ولكم حماية المكاسب المرحلية التي وصلتم إليها وللأسف لا ندري هل وصلت الرسائل وعجزتم أنتم والأخوان عن تنفيذ مقترحاتنا وعن الإجابة علينا أم أنها لم تصل إليكم بتاتاً.

وكان ملخص رأينا في تلك الفترة أن ما يحدث في صنعاء تلك الأيام لا يقل عن الثورة وقد ارتاعت لذلك كل الطبقة الفاسدة في الخارج والداخل واعتبرتكم ثواراً وخافت منكم وجاملتكم وتماوتت لكم وتظاهرت بأنها تسير في تياركم وهي في الواقع تعمل للقضاء عليكم وتكافح في بأس لكي تعيد أنفاس الحياة إلى جثة الطغيان في غفلة منكم، كما فعلت عام 48 وكما شهدتم التجربة أنتم بالذات وكنا نرى أن الثورة الناقصة ضرب من الإنتحار وأن مجاراة البدر والانتظار لإجراءاته المايعة المذبذبة، يشكل موقفاً بالغاً الخطورة عليكم وعلى البلاد وعلى الفرصة الذهبية التي كانت تمر يومئذ.

وكان رأينا ضرورة السيطرة على البدر بالقوة وإبعاده عن قصره وحرسه إلى قصر جديد وحرس من الأحرار ثم اعتقال طبقة الفساد كلها كإجراء وقائي والسيطرة على كل المراكز الهامة.

ولو تم ذلك لكان من المستحيل أن يعود الإمام وكان من البعيد جداً أن يقاوم ما دام ابنه على رأس الحركة ولو في ظاهر الأمر وكان من المتوقع جداً أن يتخلى حاشية الإمام عنه ووزراؤه في الخارج خوفاً على مصالحهم وعائلاتهم في الداخل أو على الأقل ينصحون الإمام بالرضوخ للأمر الواقع تلك كانت هي الصورة

الموجزة لرأينا ويبدو أن الذين اندفعوا للحركات الهوجاء كانوا يحسون بضـــرورة الإجراءات الوقائية ولكنهم عبروا عنها تعبيراً سيئاً خاطئاً.

والأمر الذي لا يزال لغزاً بالنسبة إلي هو الحيرة والعجز عن فهم الســـبب في أن الذين كان بأيديهم السيطرة في الفترة الذهبية لم يصنعوا شيئاً من تلك الإجراءات البديهية التي كنا اقترحناها.

فما هو السبب؟

إنني اكتفي بهذه الرسالة التي أكتبها من الإسكندرية متعجلاً وكان خطابك ن قـد وصل إلى القاهرة إلا أني لم أقرأه حتى الآن لأن أستاذنا الزعيم أبقاه الله لم يطمئـن لإرسال خطابك إلى عن طريق البريد وسوف أقرؤه عند سفري إلى القاهرة.

فإلى اللقاء يا سيدي العزيز والسلام عليكم ورحمته وبركاته.

هناك أمور كثيرة في شؤونكم لم أتعرض لها بهذه الرسالة لضيق الوقت فإلى فرصـة أخرى.

محمد محمود الزبيري

62/2/14

إليكم قصيدة التعليق على خطبة الإمام خطبة الموت وقد طـــالت لأني أردت أن أستوفي موضوعات الخطبة بالتعليق تشاوروا أنتم وولدنا الأستاذ محمد فيما يحسـن نشره منها ومالا يحسن فإن لكم الرأي الأول والأخير لأنكم قريبوا عهد بـــروح الشعب.

تحياتي مكررة إليكم والى الأستاذ محمد مدير الفجر وسوف احيا معكم أبداً

(مع أصدق تحياتي وأصفى وأنقى قبلاتي يا حبيب القلب).

احمد محمد نعمان

أخي الأستاذ الجليل السيد احمد بن حسين المروني

سلام الله عليك وبعد فلا أملك عبارة تصور لك ما يفيض به قلبي من حب وتقدير وإكبار لوقفتك التاريخية يوم افتتاح كلية بلقيس، لقد أسمعني ولدك محمد تسجيلاً لحفلة الافتتاح وصوتك يجلجل ويدوي ويصرخ في سمع الشعب كله ويهز الضمائر ويحرك المشاعر وينطلق من أعماق نفسك الثائرة المؤمنة الصامدة ومن أعماق التاريخ اليمني المشرق المضيء.

لقد كنت يا سيدي الصافح المحكي بحق وكنت اللسان المعبر عن كل من يريد الإصلاح الحقيقي ويريد الخير والسعادة لليمن، فوالله ما بقي هناك سبيل أوضح ولا أقوم من أن نتجه جميعاً لنشر العلم والمعرفة، وإن نتعاون في هذا السبيل تعاوناً إيجابياً فما أضاع اليمن سوى الجهل، وما أضاع جهودنا وطاقتنا وفرصنا سوى الجهل، وقد كان تخبطنا وضياعنا وجرينا وراء السراب والأوهام وكانت النتائج كما لمسناها جميعاً، إنها في مزيد من الضحايا ومن التشرذم والتمزق، ومن الشقاق والخلافات والأحقاد.

سيدي أن واجبنا جميعاً أن نضع حداً للأخطاء والغلطات وأن نتخذ من العلم والتعليم نقطة انطلاق لنشاطنا وتحركنا وأن نتبين الحقيقة المرة وهي أن جهل الحاكمين والمحكومين هو الذي وصل باليمن إلى الوضع الذي لا تحسد عليه اليوم ومالم توجد حكومة صالحة من أبناء الشعب المتعلمين الواعين المدركين المستبصرين يعالجون الوضع متحررين من روح الانتقام والحقد.. نعم مالم توجد حكومة تتحقق فيها هذه المزايا فإننا هالكون لا محالة.

وأين هم الرجال اليوم الذين تتحقق فيهم هذه المزايا؟ إنهـــم لا يزالـــون في ضمير الغيب فعلينا أن نبني هؤلاء ونربيهم من أجل المستقبل حتى لا تلحقهم لعنـة الجهل التي حملت على آبائهم من قبل، وعلينا أن نقاوم هذه اللعنة ببناء المـــدارس لأبناء اليمن في أي مكان يمكن بناؤها.

وليست كلية بلقيس سوى البداية فلتكن بداية طيبة مثمرة، وأنـــا آليـــت علـــى نفسي منذ اليوم أن لا أضيع جهداً ولا فكراً ولا نشاطاً إلا في سبيلها وقد كان لكلمـــة السيد العميد أثر في نفسي دفعني للخروج إلى وزير التعليـــم العـــالي الـــذي تحولـــت مذكرتكم إليه عقب برقيتكم للرئيس، ووعدني وعداً قاطعاً بتحضير كل المطلوبات.

1- 4 مربيات

2-- مكتبة عامة للكلية

3-جميع الكتب المطلوبة لجميع المراحل وعلى قدر الحاجة.

4-المختبر

وسيأتي هذا كله، إلا أنني ألفت نظركم إلى عدم خلق الاتكال عند اليمنيـــين بل أفهموهم أن كل ما تحتاجه الكلية فإن ذلك عليهم.. وهم قادرون على ذلك.

إننا كما طالبنا الحكومة بأن تنفق الأموال في المصلحة العامة فإننـــا نطـــالب الذين أثروا ثراء فاحشاً من أبناء الشعب نطالبهم بأن يتصدقوا علـــى الفقـــراء الكادحين وأن ينفقوا على تعليم أولاد الفقراء.

نطالب أولئك الذين كسبوا من وراء الكادحين أكثر مما كسب بعـــض الحكـــام وأن نحاسبهم على الثروات التي كسبوها من وراء التجارة بقـــوت الشـــعب وغذائـــه وكسائه.

وسلام الله عليك وعلى السيد العميد وعلى الرجل الـــذي ضـــرب المثـــل الأعلى في العمل الصالح من أجل وطنه وهو شمسان عون وزملائه الأبـــرار وإلى اللقاء، مع تمنتني لكم بعيد رمضان.

أخـــوكم

احمد محمد نعمان

مع تحياتي وما زلت بانتظار الرد

وأنكم لتستطيعون وأنتم قلة قليلة أن تغيروا تاريخ بلادك

وأن تعيدوا للمواطنين الثقة في القضية التي تقمصها أشخاص لا يحسنون في الحياة إلا السباب والشتائم دون أن تكون لهم عقيدة أو فكرة أو رأي حتى أصبح الناس جميعاً يتقززون من سماع القضية الوطنية.. ويجعلون أصابعهم في آذانهم حين يتحدث المتحدثون عنها، بل يتبرؤن منها ويفرون من الداعين إليها فرار السليم من الأجرب. معاذ الله أن نمحق الشخصية اليمنية وأن يتحول أبناء اليمن من أدميتهم وإنسانيتهم إلى قطيع من الكلاب لا تحسن غير النباح.

والله لو تجتمع كلمة الأحرار على أن يؤسسوا مجرد كتاتيب لمكافحة الأمية وتعليم حروف الهجاء لكان هذا. اكرم لهم ولوطنهم من السباب والشتائم التي يذبحون بها صفحات الجرائد الرخيصة المبتذلة التي لم تجد ما تملأ به أعمدتها غير السخف والهراء ودعوة الشقاق والنفاق.

إننا لا نريد أن يحكم الناس علينا بأننا شعب من الدواشين لا مهنة لهم سوى المدح أو القدح فإن رضينا عن أحد بالبقاء في مدحه إلى أن رفعه إلى السماء وأن سخطنا بالغنا في شتمه حتى نهبط به إلى الحضيض

لهذا مر مرث فلا نسمع عن صانع ولا مهندس ولا طبيب ولا فنان ولا مؤلف ولا مخترع الخ ولكن نسمع عن شعراء بلا حساب ومداحين وهجائين.

كنا نعتقد أن العرب حرروا بلادهم بلعن الاستعمار وشتمه في صحفهم وخطبهم وأشعارهم. فقلدناهم في ذلك وظننا أننا سنحرر بلادنا باللعن والشتم ولكن العرب واجهوا الحقيقة فغيروا أساليبهم واتجهوا اتجاها آخر ونحن من جديد مصرون على الأسلوب القديم لأننا لم نتطور ولم نتعلم ولم نقرأ. حتى الذين حملوا الشهادات وكان ينتظر منهم أن يصححوا أخطاء السابقين ولكنهم رأوا طريق

التضحية والبطولة طويلة جداً عليهم فاثروا أن يختصروا الطريق إلى طريق الظهور والبطولة وأن يهرجوا كما هرج السابقون عن جهل.

واليوم تتجه أنظارنا إليكم أنتم أيها القلة القليلة المؤمنة لتصححوا الأسلوب وتسلكوا طريق الفعل وتنيروا السبيل للحائرين والضائعين والتائهين أنتم في وسط المعركة فليكن سلاحكم الحق والعقل والفكر والإيمان بالعمل أنتم أيها القلة القليلة المؤمنة تستطيعون أن تقولوها صريحة مدوية.

(قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)

نعم لتكن طريقنا جميعاً طريق البناء. البناء الصغير الضئيل ندعو إليه على بصيرة.

والله يؤيدكم ويثبت أقدامكم.

أحمد محمد نعمان

بسم الله الرحمن الرحيم

في 75/5/15

أخي الحبيب الزميل السيد احمد بن حسين المروني

هذا مع أبر الأبناء الذي يمثل وفاءكم ويعبر عن مشاعركم نحو أخيكم ووالله يا سيدي أنه اتصل بي تليفونيا يحمل تحيتكم في نفس الوقت الذي كنا نتحدث مع الأستاذ إبراهيم رشدي عن فضائلكم ومزاياكم والذي جرنا إلى الحديث عنكم هو أني عثرت هذه الفترة على آثار معظم أولئك الشهداء الأبرار رسائل وأراء ومقالات وأشعار بأقلامهم جمعها أخوكم محمد رحمه الله وهي ذخائر بحق وكنوز مدفونة.. الزبيري الموشكي، المسمري، الحورش، الوادعي، المروني، إلى ركام على ركام قلت في نفسي أين ذوي الهمم يدرسون كل هذا ويعملون على نشره من مصر أيام الدراسة من عام 37 من عدن من حجه من بعدها في مصر وهلم جر رسائل ( ) جري من مهاجر شتى إلى غير ذلك وكان المرحوم يهيئ نفسه لدراستها وإعدادها للنشر فقال لي إبراهيم رشدي أن السيد المروني من أقطاب الدارسين والباحثين وأنه استمع محاضرة لكم في نادي الضباط ووجوه تتحدث عن أوائل الكفاح والمكافحين والمروني في طليعة هؤلاء بحق وحقيق، وأقترح أن تكونوا أنتم ممن يوضع هذا التراث بين يديه، هذه تحية إلى حديث أخر.

وتحياتي وقبلاتي إلى أن أراكم أيها الأخ الحبيب، مع تحياتي للأخ العلامة البحاثة أسعد احمد عقبات والى اللقاء

أخوكم

احمد محمد نعمان

الرقم: 172

التاريخ 69/2/19

السيد/ سفير الجمهورية العربية اليمنية في بغداد

الأخ احمد حسين المروني حياكم الله

وبعد فقد أطلعنا على رسالتكم التي أشرتم فيها إلى تعاطف حكومة وشعب العراق الشقيق مع القضية اليمنية كذلك رؤساء وأعضاء السلك السياسي العربي والأجنبي وأن الاقتناع الذي بدأوا يشعرون به كحقيقة لصمود الشعب اليمني ليشجع كثيراً ويؤكد أن الشعب اليمني بحمد الله سبحانه قد فرض إرادته وفوت الفرص على أعدائه.

وأشكركم على شعوركم نحونا والحقيقة أننا لم نقدم لبلدنا أكثر مما يفرضه علينا واجبنا جميعاً، وبالنسبة للموظفين فقد حررنا إلى السيد/ وزير الخارجية بسرعة اتخاذ اللازم وتلبية الطلب وأكدنا ضرورة الإجابة على كل رسائلكم أولاً بأول ونشكركم مرة اخرى على جهودكم التي نرجو أن تضاعفوها مستقبلاً نظراً لما تتطلبه المرحلة الحاضرة من كل مسئول والسلام عليكم."

ولم تصلنا الرسالة المطولة

عبدالرحمن الإرياني

رئيس المجلس الجمهوري

بواسطة الأخ الكريم القاضي/ إسماعيل بن علي الأكوع حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

معالي الأخ الكريم السيد الأديب الكاتب القدير احمد بن حسين المروني حفظه الله

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أرجو أن تكونوا وجميع من تحبون كما تحبون

أطلعت على بعض حلقات مسلسلكم، في سبيل الدستور، والذي أرجـــوه هو أن يستمر التسلسل بأسلوبكم الصافي الراقي حتى ثورة 26 سبتمبر ثم يجمـــع ويصدر في كتاب ليكون مرجعاً لمن يريد أن يعرف كيف كنا وكيـــف أصبحنـــا فالملاحظ أن من يكتبون عن ثورة 48 وما بعدها من الشباب الذين يجهلون الماضي أو لا يستطيعون أن يتصوروه كما كان ينظرون إليها بمناظير اليـــوم ويحكمـــون عليها بمعاييره وحيثياته وقد لا يقتصر هذا الخطأ في دراسة الأحداث التاريخية على الشباب بل ويتجاوزهم إلى بعض الكهول الذين يدفعهم حب الظهور إلى التصابي وتجاهل ظروف الماضي وحقائقه إننا لا نريد من الباحث المنصف أن يسب ويشتم الذين قد أفضوا إلى ما قدموا وحسبنا وحسبه ذكر الحقائق كما كـــانت وهـــي نفسها ستسلق من يستحق السلق بألسنة حداد، أرجو أن يمنحكم الله ذاكرةً قوية ونشاطاً قويا وقلما سيالاً والله معكم وعونكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخـــوكم/

عبدالرحمن الإرياني تجاوز الله عنه

1983/11/27

سيادة الأخ الكريم السيد الأديب الحصيف الكاتب المجيد احمد بن حسين المروني حفظه الله وأعانه ورعاه..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أرجو أن تكونوا أنتم وجميع من تحبون كما تحبون.

اغتنمت فرصة سفر الأخ الأديب والزميل والشاعر الأستاذ احمد بن عبدالرحمن المعلمي لأبعث إليكم هذه العجالة محيياً وشاكراً أما التحية فهي ما تندب إليه السنة المحمدية وأما الشكر فلأنني أتابع ما تكتبون حول (في سبيل الدستور) ما يصلنا من الصحف وقد لا تصلنا كلها وقد وجدت أنكم تقومون فيه بواجب تشكرون عليه ومنه يعرف الشباب الناشئ سير الحركة الوطنية والقفزة التي قفزتها بها ثورة 67–48 بدون تزيّد ولا غمط فقد ولع بعض كتابنا سامحهم الله بالكتابة عنها من صفٍ معادٍ إلى درجة اتهامها بالعمالة للإنجليز بحجة أن الأحرار كانوا يقيمون في عدن ولم يكافحوا من صفوف الجماهير في الداخل أنه بهذا يجهل بل يتجاهل الأوضاع التي قامت فيها الحركة الوطنية وواجب الباحث أن ينتقل بفكره وقلمه إلى زمن الحدث وظروفه ومن منطلقهما يقيم الحدث والقائمين بدلا أن ينقل الحدث إلى زمن التحليل العليل بعد مضي ما يقرب من 35 عاماً تطورت فيها الحياة تطوراً كبيراً ومن هذه النقلة جاء انتقاده للثورة بأنها استبدلت إماماً بإمام وفاتها أنها أنهت حكم إمام هو كل شيء في الحكم وفي الشعب أيضاً وجاءت بإمام له دستور يقيده ومجلس شورى يقاصر خطاه وحكومة لها صلاحياتها ونفوذها، وقد استحسنت جدا جعلكم العنوان في سبيل الدستور فالدستور المقيد والمحدد للصلاحيات هو مطلب وطني في كل الشعوب وإعلانه مكسب كبير ويعتبر في تلك الظروف ثورة كبرى.

وبقى أن نتمنى عليكم أن تكملوا الشوط ثم تجمعوا هذا المسلسل وتصدروه في كتاب يستفيد منه الكاتب ويفهم شبابنا وطلابنا المخدوعون بما يكتبه البعض الذين لجهل دوافعهم إلى تعمد غمط الحق وتزييف الحقائق يفهمون الثورة بانصاف ومرة أخرى نشكركم ونرجوا لكم من الله التوفيق والسداد والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم

عبد الرحمن الإرياني

1984/1/11م

بسم الله الرحمن الرحيم

سيادة الأخ الكريم السيد العلامة الشاعر الناثر ذو الفكر المنير والرأي السديد احمد بن حسين المروني حفظه الله وأمده بعونه وعنايته وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته سيدي لقد سعدت كثيراً برسالتكم الكريمة وبمشروع الرسالة السابقة وكان لكم فضيلة السبق إلى العهاد وأنتم دائماً سباقون إلى كل فضيلة كما أنكم دائماً على البال فأنتم من لزم الوفاء للأخوان وللمبادئ للوطن في وقت قل فيه الوفاء وتشعبت فيه الأهواء.

فلا الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت أعهد

وما عشت رأيت عجبا ورحم الله القائل

إذا ما مضى الجيل الذي أنت منهم وخلقت في جيل فأنت غريب

وقد أطلعت على بعض ما جاء في ( ) وقيل لماذا لا تفندون كلامة فقلت إني لم أعد أحفل بما يقال ولا بمن قال ولسان الحال ينشد

لو كل كلب عوى ألقمته حجراً لأصبح الصخر مثقالاً بدينار

لقد سمعنا يا سيدي الكثير من أبنائنا الثوريين من الاتهام بالرجعية ومن أخواننا وأبنائنا الأصوليين أو على الأصح الوصوليين من الاتهام بالشيوعية ولم نأبه لذلك .. والذي يعلم ما تكنه نفوسنا وما تخفي الصدور ولا خير يا سيدي فقبلنا كثيرون بلو بمثل ما بلينا به حتى قال الشيخ الإمام محمد عبده وهو الذي لم يبل بعشر ما بلينا به: لعن الله السياسة وسائس يسوس وقبله قال الشاعر العراقي:

من مخبر القوم شطت دارهم ونأت إني رجعت إلى كتبي وأوراقي

عفت السياسة حتى لا ألم بها وقد رددت إليها كل ميثاق

لأنها جشـــمتني بكـــل غاســـلة أنها كلفتـــني غـــير أخلاقـــي

أحوال أخيكم الصحية ليست كما يرام وقد تلمسون ذلك من هذه الرسالة أسلوباً وتحريراً. نسأل الله تعالى العفو والعافية وحسن الختام ونتواصى بالدعـــاء فإن من أرغب الرغائب دعاء غائب لغائب ولنتذكر دائماً قول الأول

إذا ما مضى الجيل الذي أنت منهم وخلقت في جيل فأنت غريب

ولتصبر على بلاء الغربة لتعطى أجر الصابرين إن شاء الله

والله تعالى يتولى إعانتكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

6 ذي القعدة سنة 1407 الموافق 1987/7/2م

أخـــــوكم/

عبدالرحمن الإرياني

أحر القبلات وأعنفها وأشدها ضغطاً أطبعها على وجهك أيها الحبيب

أخوك/ احمد محمد نعمان

القاهرة في أول سبتمبر 1958

أستاذي الكبير السيد احمد بن حسين المروني حياك الله ورعاك تحيـــة وحبـــاً وشوقاً..

كم كانت سعادتي وأنا أتلقى نبأ وصولكم عدن.. لقد كنت انتظر هذا الخبر منذ فقد الجزار أعصابه في ايطاليا وثغره بعبارات الوعيد والتهديد.. لقد كـــانت فرحتنا طاغية أنستنا حتى أن نكتب لكم.. لقد اكتفينا بالبرقيـــة الـــتي ســـحبها أستاذنا النعمان.. رغم الصلة الروحية التي تربطني بكـــم.. إني لم أهتـــم كثـــيراً بالكتابة.. لأني أعيش معكم بكل عواطفي ومشاعري.. ولأني أعد الأيـــام الـــتي سأراكم بعدها.. لقد مرت سنوات كثيرة منذ رأيتكم فيها.. ولكن هذا الوقـــت لم يؤثر على إعجابي بكم وحبي لكم.. بل على العكس.. لقد تنقلت بين مـــــدارس لبنان ومصر بل وفرنسا.. ولكني أقسم بالله أن أحداً من أساتذتي لم تحتل في نفسي المكانة التي يحتلها السيد احمد المروني..

إن رسالتي هذه ستصلكم متأخرة.. والسبب ليس هو الإهمال أو التقصـــير.. بل لأني كنت آمل أن أصل عدن بعد وصولكم بأيام قليلة.. وهاهي الأيـــام تمـــر وشئون المعهد الإسلامي لم تنته بعد هنا لدى بعض الجهات التي وعـــدت بتقـــديم المساعدات سيدي.. كنت أحب لكم الحياة الهانئة الهادئة في القاهرة.. وإذا كنـــت أحب أن تسمح لكم الظروف لزيارة القاهرة والالتقاء بإخوانكم فيـــها.. فـــإني

أفضل لكم البقاء والاستقرار في عدن وجعلها نقطة الارتكاز فهي جزء حبيب من بلادنا.. وإذا تعذر العيش في صميم البلاد فلا أقل من أن نبقى في الأطراف.. وليس لدي أدنى شك في أنكم ستجدون في عدن العمل الذي يجعل الإقامة محتملة.. وكم سيكون جميلاً لو التقينا في المعهد الإسلامي.. أني أمني نفسي بالجلوس على مقاعد الدرس والاستماع إليكم من جديد..

لقد أنهيت دراستي هذا العام، وكان العمل مبشراً في المغرب العربي وليبيا والكويت.. ولكني لا أستطيع مجرد التفكير في العيش بعيداً عن الميدان الطبيعي للعمل.. وأنا قادم عدن رغم كل ما في ذهني من صور منفرة للحياة فيها..

إن حزني لما وصلت إليه الأحوال في اليمن لا يعاد له إلا سعادتي بنجاتكم من قبضة هذا الوحش.. لقد كنت أمسك أنفاسي وأنا استمع إليكم من راديو صنعاء.. أنني لا أهنئكم بسلامة الوصول ولكني أهنئ نفسي وأهنئ الأحرار جميعاً وأهني الشعب الذي قدمتم له زهرة العمر.. إن الحديث طويل وموعدنا قريب إن شاء الله.. وحتى نلتقي أتمنى لكم طيب الإقامة وراحة البال وتحيتي للأخ محمد احمد نعمان والأخ عبدالله عبدالوهاب وجميع الأخوة وسلام عليكم.

المخلص دوماً

محسن العيني

أخي وأستاذي أحمد بن حسين المروني وزير الإعلام والنشر

بالجمهورية العربية اليمنية

تحية وشوقاً وحباً.. وكنت قد تسلمت رسالتكم الرقيقة الكريمة من بغداد.. ولم اتمكن من الكتابة اليكم بسبب العزلة التي فرضتها علـــى نفســي في هــذه الظروف العصيبة.. لقد كنت أظن أن شئوننا هنا ستستقر بعد وصولى إلى القاهرة وإيضاحي لطبيعة الصعوبات التي نواجهها.. ولكن كل شيء خاب.. فلم تصلنــا أوراق الاعتماد إلا قبل انتهاء الجمعية العامة بأربعة أيام.. واستمر تجاهل برقياتنــا وخطاباتنا.. وأخيراً وصل السيد الخرباش "المندوب الرسمي" وممثل وزير الخارجيــة كما يقول الدكتور البيضاني.. وصل بشفرة خاصة واتصالات خاصة.. وهــذا في الوقت الذي مازلنا نطالب بالشفرة وبتنظيم الحقيبة السياسية منذ وصولنا هنا.

إنني أكره العمل في مثل هذا الجو.. لقد تحملنا حتى احتلت الجمهورية مقعــد اليمن ولا أدرى إلى أي مصير تسير بلادنا بهذا الشكل. أن الصمت خطأ عظيــم. عليكم أن تتنبهوا في رفق.. نبهوا الأخوة من الجمهورية العربية ونبهوا الرئيــس ونبهوا وزير الخارجية نفسه. إن الأمر أخطر من مجرد السخافات والتفاهات.. أن الجمهورية يجب أن تبنى على أسس صحيحة.. أما نحن فإننا بعيدون عنكم جميعــاً. تحياتي لكم وللأخوة الأصدقاء جميعاً، والله عونكم. وحارس رجال الثورة جميعــاً وحفظ الله اليمن وسلامي عليكم وعلى الجميع .

أخـــوكم

محسن العيني

سيدي الأستاذ السفير احمد حسين المروني الأكرم

تحية وحباً وأشواقاً

وهذه بعد وصول رسالتكم الرقيقة مع الولد احمد وشكراً لكل عواطفكم القلبية وعونكم. والعجيب أنه غادر بغداد قبيل برقيتي بيوم واحد..

أخبار الوطن لا شك أنكم أكثر إلماماً بها- فلعل راديو صنعاء مسموع في بغداد، وقد وصلنا أن القاضي رئيس المجلس الجمهوري سيزور أثيوبيا بين 25 و 29 الجاري وهذا مفيد لليمنيين المهاجرين هناك على وجه الخصوص.

الفريق رئيس الوزراء سيزور كما يبدو براغ في 10 يوليو القادم. أما من الداخل فأظن أن المتاعب المالية لن نجد لها حلاً إلا إذا خفضت نفقات القوات المسلحة التي يقال أنها وصلت.. وهماً- إلى 46 ألف جندي! والغيت مصاريف وميزانيات القبائل الجمهورية والمجمهرة.. فالبلاد تعيش السلام الآن ولكن بميزانية الحرب.

والحقيقة أن معالجة المشاكل أمر غير متيسر في ظروف البلاد الراهنة ولا بد من معجزة، وهذا في الواقع هو الحال بالنسبة للأوضاع العربية كلها ورغم كل شيء.. فلن نفقد الأمل.

إنني أعرف جو بغداد في الصيف.. كان الله لي عونكم، وأظن أنه لا بد من خروجكم والأسرة إما إلى جبال الشمال أو إلى سوريا ولبنان للهروب من الحر ولو لفترة.. أما موسكو فهذه أجمل أيامها بعد شتائها القارس.

لكم وللأسرة أصدق تحيات هيثم وهدى وأمهما وتحياتي وخالص التمنيات والسلام عليكم

أخوكم/

محسن العيني

1969/6/5

سيدي الأستاذ الكبير احمد حسين المرواني..

تلقيت رسالتكم الرقيقة المؤثرة شاكراً، ورغم البعد فأننا نعيش نفس الأفكار والخواطر.. ومهما أحرقنا أعصابنا فيبدو أنه لا بد مما ليس منه بد.. الأمور تأخذ مجراها، والناس يعيدون النظر في مواقفهم وقناعاتهم، ويدركون بالضبط ماذا يريدون، والحلقة مفرغة، وستستمر الدائرة تدور.. حتى يلتف المهتمون بأمور الوطن حول برنامج معقول مقبول واضح يكون أساس التعاون، والحديث اليوم يدور حول هذا من فئات كثيرة..

على كل حال.. لقد اغتنمت فرصة أعياد الميلاد والعام الجديد والأضحى فبادرت بهذه التحية العاجلة ومعها أطيب التمنيات لكم شخصياً وللأسرة الكريمة مني ومن أم هيثم والأولاد.. وسأكتب لكم مطولا في أول فرصة يكون عندي فيها جديد.. تقبلوا خالص المحبة وعميق التقدير وسلامي عليكم.

محسن العيني

1973/12/15م

سيدي العزيز الأستاذ احمد حسين المرواني حفظكم الله، وعافاكم تحية وشوقاً ومحبة.

تسلمت بسعادة وغبطة رسالتكم الكريمة وتأثرت أيما تأثر بعواطفكم الرقيقة،، والحق أني كنت عاتباً عليكم وصولكم ومغادرتكم لصنعاء دون أن نلتقي ( ) وعلى كل حال فظروفنا وطبيعة عملنا في اليمن تفسح المجال أمام التصورات والتفسيرات والاستنتاجات التي لا حدود لها.

والذي أود أن أؤكد لكم أن إعجابي وحبي وتقديري لكم لم يتأثر ولن يتغير مهما باعدت بيننا المسافات أو ظروف العمل.

وأنا اعترف دائما أني مقصر نحو الأصدقاء وهو تقصير ناجم عن متاعبي ومشاغلي وظروفي، وعن افتراض أنهم سيعذرون ويصفحون، ولكن لا أتغير، لا أتعمد الإهمال أو التقصير.. أما بالنسبة للعمل في الداخل فإني يا سيدي لم أتردد ولا أتردد أبدا، ولكن المأساة أن من نعمل معهم لا يقدرون الظروف، ولا يريدون أن يفكروا ولا أن يعترفوا بحقائق اليوم، ويومهم كأمسهم، وما إمام إلا الإمام احمد أو يحيى، وكل محاولة لمعالجة القضايا العويصة بالأساليب الناجعة.. توجع الأصدقاء والزملاء، ويرفضون أن يفهموا وينقلبون معارضين ومحاربين ولا يعطون الفرصة حتى لاستعراض الموقف.. ناهيك عن أن تطلب منهم تضحية أو تنازلا عن مركز أو مصلحة.. حتى لو كان ما تفعله من أجلهم ولصالحهم...

وكان أمامي إما أن أبقى أسيرا، أدور في حلقة مفرغة لا أملك الحق في التغيير، أو أن أترك.. وقد فضلت التخلي على احتمال.. أني قد أكون مخطئا، وقد يكونون على حق، ولديهم العلاج.. وأرجو الله أن يسمعنا كل خير..

أنا الآن في لندن مع الأولاد.. وقد انشغلنا في الشهر الماضي بالإخوان الأحمر، والمطري والإرياني والحمدي وغيرهم.. وفوجئنا باغتيال الشيخ محمد علي عثمان رحمه الله، ونتسقط أخبار البلاد باستمرار، والاتصال بصنعاء سهل ولا سيما بالتلفون،

أما أخبار العرب، فأنتم أدرى بها، وما شاء الله كان.

محسن العيني

أستاذنا الكبير احمد حسين المروني الأكرم

تحية ومحبة وأشواق

لفت نظري بعض الأخوان هنا للكلمات الرقيقة التي تفضلتم بها في يوميات الثورة،

وكنت قبلها أنتظر الفرصة للكتابة إليكم، للتعبير عن تقديري وتأثرى للمشاعر الكريمة التي غمرتموني بها أثناء وجودى في صنعاء.

وقد شعرت بالدين مضاعفا.. ويبدو أن كثيرين من الأصدقاء يعرفون عمق الصلة الروحية، والأعجاب الذي أكنه لكم منذ عهد الدراسة المبكر.. فاتصلوا بي من أكثر من مكان يلفتون نظرى إلى يوميات الثورة..

لقد تأخرت في الاتصال أو الكتابة إلى العديد من الأحباء فقد انشغلت بالاستقرار والمدارس وحوادث افغانستان وإيران هنا..

وهانا أبعث لكم بهذه التحية شاكرا لكم الفضل مرتين.. بل ومرات وما بيننا هو أقوى وأرسخ..

وأهنئكم أو أهنئ العمل الجديد بكم، وأرجو لكم وللأسرة الكريمة الهناء والسعادة، وأن كان مركز الدراسات والجو العبق الذي أوجدتموه بالتعاون مع الأخوه، كل هذا . قد يتأثر بغيابكم..

تحياتي وتقديري وأصدق تمنياتي سلام عليكم

المخلص

محسن العيني

1980/2/1

استاذنا الكبير العزيز السيد احمد حسين المروني حفظكم الله ورعاكم وعيد قلدم سعيد.. ارجو ان يعيد الله عليكم والأسرة بالصحة والهناء والسعادة..

وقد تعذر علي خلال الزيارة القصيرة لصنعاء حتى مجرد الحديث الهاتفي.. والسبب مواعيد رمضان.. وعدم التأكد من الوقت المناسب للزيارة والاتصال..

إنني أتابع نشاطكم وكتاباتكم، بإعجاب واحترام.. وفي وقت يعاني الكثيرون مرارة الخيبة والفشل والضياع.. بعد كل ما جرى ويجري في عالمنا وبالذات في منطقتنا.. ترى.. هل نستفيد، وهل نستطيع أن نعالج قضايانا بالعقل والموضوعية.. وهل نقول وداعا للارتجال والتهويش والتفرد باتخاذ القرارات الهامة..؟

هذه تحية عاجلة أبعثها، اعتذارا عن حرماني من لقياكم في صنعاء..

ومعها أطيب التمنيات بالصحة والنشاط الدائم..

وخالص التحية لكم ولجميع الأخوان

91/4/13

محسن العيني

بسم الله الرحمن الرحيم

أستاذي الكريم الجليل الأستاذ احمد حسين المروني

تحياتي وتقديري وأشواقي، وأعجب كيف لم تصل إليكم رسالتي السابقة جوابا على رسالتكم ولا رسالتي اللاحقة وكلا الرسالتين تم إرسالهما عن طريق المركز، وتستطيعون أن تتأكدوا عن طريق الأخوان المسؤولين في المركز وعلى رأسهم الأخ عبدالرحمن الأمير الذي تسلم الرسالتين وأستلمهما في فترات متتابعة إلى حسن سواك وحملهما ابنه إلى البريد الأول بعد أن تسلمت رسالتكم بيوم واحد فقط والأخرى بعد أن تأخر ردكم.

ومنذ فترة لم أكتب انتظارا لرد منك إلى انتظارا لوصولكم فكل يوم يذهب السائق ويعود ليقول الأستاذ سوف يصل خلال يومين أو خلال أربعة أيام، في هذا الأسبوع سوف يصل الخ.

مما جعلني أتوقف عن الكتابة..

أستاذي العزيز.. إنني مشغول بالأفكار وقلق بالأوهام لكن هذا لا يعني أنني لا أجد وقتا ولو قصيرا للكتابة إليكم أو الرد على رسالتكم، وقد اتصل بي الأخ محمد سالم باسندوه يقول الأستاذ احمد يشكو من عدم الرد على رسائله وقد مضى وقت ربما منذ سافرتم لم أعد أذهب للتخزين في مقيل الأخ محمد سالم ولا حتى في الاتحاد، واقتصر وقت التخزين على الخميس والجمعة في أماكن متواضعة وبعيدا عن الدخان الذي يسبب كثيرا من المتاعب الصحية..

كنت أرغب في إجازة إلى بعض الأقطار العربية والأوربية مع العائلة بقصد التحليل الطبي والمعالجة لكني لم أجد موافقة من أحد وليس لي من الامكانيات ما يساعد على القيام بهذه الرحلة وفضلت البقاء والاحتمال، وقد أصبح عندي من

الصبر والتغلب للمشاكل أيا كان نوعها ما يثير استغرابي أنا نفسي، وبدات الحساسية المرهفة والزائدة عن حدها تتلاشى بالمواجهة، وقد قررت أن اتجنب المجاملات على حساب أعصابي واتمنى أن انجح في هذا الرجيم النفسي وقد يكون فيه العلاج الشافي من كل الأمراض.

وقد تأكد لي أخيرا أن الإنسان يمكن أن يغادر بلادنا مائة سنة ويعود إليها ليجد أن مشاكلها هي نفس المشاكل وأن أحزانها وأفراحها هي هي لم تتغير إلا إذا تغير نقم عن مكانه وعيبان عن مكانه وهذه القناعة رغم ما تصنعه من مرارة في النفس تشكل مناعة ضد الأوهام والمخاوف العاطفية، وتجعل كل شيء بلا جدوى.

أكرر هنا ما ذكرته في رسالتي الأولى أن المركز سيظل ينتظركم وأنه قد يكون أهدأ الأماكن لمن يريد أن يعمل شيئا صغيرا خالدا وباقيا ومن يوم سافرتم إلى الآن وأنا أحس وجودكم في هذا المبنى وفي كل مكان في صنعاء، وفي حالة تأخركم سأهجر المركز للعمل في الجامعة فأنا كما تعرفون لا أصلح لأي عمل إداري كما أنني أحس بسحب الغيرة والحقد تتجمع كالطوفان.

تحياتي لكم وتقديري البالغ وأرجوا أن تصل رسالتي هذه إليكم وألا تتوه في الطريق وإذا كنتم تكتبون للأخ الشاعر الكبير الأستاذ احمد الشامي فأرجوا أن تخبروه بأنني كتبت إليه رسالة في نفس اليوم الذي بعثت به إليكم ردى السابق وقد تكون رسالتي إليه ضلت طريقها هي الأخرى ودمتم بخير

التلميذ المخلص ابدا

عبد العزيز المقالح

بسم الله الرحمن الرحيم

أستاذي الكريم الجليل الأستاذ احمد حسين المرواني

تحياتي وتقديري وأشواقي، وبعد،

وصلتني رسالتكم الكريمة، وهي الأولى منذ سفركم وبعد أن بدأتم العمل سفيرا للجمهورية العربية اليمنية في الإمارات العربية المتحدة هذا البلد الشقيق العزيز، وأسعدتني الإشارات في رسالتكم إلى التحولات التي تشهدها مدينة "أبو ظبي" والتطور العمراني الذي يكاد يلحقها ببعض العواصم الأوروبية وحقا أنه إذا وجد المال والحكمة فإن في مقدور الشعوب والحكام أن يغيروا أوضاعهم في وقت قصير من الزمن.

لا جديد بالنسبة لي، أذهب كل يوم إلى المركز وأواصل محاضراتي في الجامعة ثلاثة أيام في الأسبوع من العاشرة إلى الثانية عشرة، وبعد الظهر يلتئم شمل الأحبة في المقيل بكل حسناته وعيوبه وفي مقدمة العيوب الدخان والزحام. أحاول مع بعض الزملاء أن نفرض عادة القراءة حتى وإن كانت الأغلبية لا تتابع. أما أحاديثنا عنكم فهي لا تنقطع والسؤال من الجميع وكأنكم لم تغادرونا فأنتم الأستاذ والقدوة لهذا الجيل الذي لم يتصل اتصالا وثيقا ومباشرا بأي رمز من رموز حركة الأحرار الذين كانوا بعد الثورة أما في المنافي أو في المناصب.

يبدو أنني لن أطيق البقاء طويلا في صنعاء وأرغب في إجازة طويلة مع العائلة إلى أي قطر عربي منها للعلاج وللهروب من بعض الأشياء وبعض الأشخاص، رغم ما اكتشفته في نفسي أخيرا من قدرة على الاحتمال والصبر وإن كان ذلك يتم على حساب أعصابي وصحتي.

أستاذي العزيز: أظن- وأرجو أن تخيب ظنوني- أن الإنسان يمكن أن يغادر بلادنا ويعيش بعيدا عنها مائة سنة ثم يعود ليجد المشاكل نفسها ما تزال قائمة بالصورة التي كانت عليها قبل أن يرحل، وأن أحزانها وأفراحها هي هي لم ولن تتغير إلا إذا تغير نقم من مكانه وعيبان عن مكانه، وهذا الإحساس بقدر ما يخلقه من مرارة في النفس قد يشكل مناعة ضد الأوهام والمخاوف العاطفية ويجعلنا نقنع بما قسم الله لنا ولهذا البلد العزيز.

نواصل في المركز- بجهود بطيئة- عملية التوثيق والطبع لبعض الكتب، ونحاول ألا تتوقف مجلة "دراسات يمنية" وأن يتم صدورها في مواعيدها الفصلية وإن كان الطبع في الخارج مع النقل يكلف الكثير وأعتقد أننا سنستمر في الطبع في بيروت أو دمشق إلى أن تبدأ حركة الطباعة والنشر في بلادنا في الظهور.

تحيات وتمنيات الزملاء جميعا وتقبلوا خالص تحياتي وعميق احترامي،،،

التلميذ المخلص أبدا

عبدالعزيز المقالح

1981

عزيزي السيد احمد حياك الله أشكرك على إعلامي بوصول والدي إلى القاهرة فإنه لم يخبرني أحد والحمد لله على صحته.

أما عبدالكريم الإمير فإني وجدته في وزارة الإعلام أثناء ذهابي ولكن لم يعد تلك الشخصية المتميزة بالعناد.

كما يقولون: لكل زمان دولة

عبدالعزيز المقالح أقرأ له بين الفينة والفينة أشعارا في مجلة الحكمة التي تصدر في عدن ولكني ما أدري ماذا يصنع في القاهرة وهل أكمل دراسته والشعر الحديث لم يثبت جدارته إلى الآن وما زال الجمهور يفضل الشعر العربي وقد كتبت الصحف كثيرا عن البردوني وأشادت ولو كانت قصيدته من الجديد لما صادفت هذا الإعجاب وله حديث في مجلة الصياد مع القصيدة..

عزيزي أما محاضريّ في جامعة الكويت فقد كانت عن العصبية في الشعر اليمني وكانت موفقة كما كانت الإجابات على الأسئلة التي أنهالت على موفقه أيضا وإذا تمكنت فسألخصها لمجلة الحكمة

السيد احمد الحبشي وصل وقضينا معه ومع علي العكام ليلة طيبة في بيت موالى وذكرناك كثيرا وما زال في الكويت الغريب احمد الشامي لم يكتب ولم يسأل وأصبح كأنها لم تعد تربطه بنا أية رابطة فهل لديك خبر عنه؟؟

أما أخر ما قلته فهي هذه الأبيات نشرتها في مجلة الكويت بعنوان هدية أب

قالت تسائلني ابنتي أبتاه أين هديتي

أو ما علمت بعيد ميلادي بيوم مسرتي
هذا أخي يختال كالطاووس جم الفرحة
يجري إلى الدكان مزهوا لصنع الكعكة
وحديث أمي وابتسامتها تضاعف غبطتي
ترنوا فأرنوا نحوها بتحنن وبرقة
وأخي الصغير أخي الصغير يدب مثل القطعة
ويشاغب الفتيات من حولي يداعب وجنتي
هذا العطاء السمح يا أبتي هدية أسرتي
وأنا جمعت لك الزهور وضعتها في كلمة
اودعتها روحي ترانيمي حنان أبوتي
أن تقبليها يا بنتي بلقيس فهي قصيدتي
أولا فيكفي أن طبعت على جبينك قبلتي

وقد قالت لي بعد أن اطلعت عليها في المجلة لا تغالطني: أين الهدية؟

أنا أفكر في الصيف إنشاء الله أن اقضي مع الأولاد بعض الوقت في سوريا نظرا إلى لطف الهواء من جهة وإلى رخص المعيشة من جهة أخرى فما رأيك هل تصلح لنا معا فندبر ذلك من اليوم لأن هواء العراق في الصيف كالكويت ثم لا أدري ماذا صنعت في السؤال عن الدكتور محسن جمال الدين؟

وختاما تقبل خالص التحية لك ولسائر أفراد الأسرة الكريمة منا جميعا ودمت لأخيك.

71/1/8

إبراهيم الحضراني

حضرة الأخ الكريم السيد احمد حياك الله

لقد سعدت بوصول رسالتك كما سررت بتجديد سؤالك لي عن بعض القضايا.. أما فيما يتعلق بالمؤتمر ومهرجان الشعر فإني لم ألحظ أنه برز أحد يصلح أن نطلق عليه اسم نجم، كما أن مستوى الشعر عامة كان أقل من المتوسط. الفيتورى ونزار لم يصلا المؤتمر.

أما بالنظر إلى كتابة مذكرات الثلاثين عاما وما يقتضينا الواجب الوطني من نشرها فليس هذا من واجبي وحدي وإنما هي أمانة في عنق كل من ساير هذه الأحداث وأنتم من قادتها وأظن أننا لو اجتمعنا لقطعنا شوطا في هذا المجال وأذكركم أنني كنت جادا عندما أجبتكم في صفوان بالموافقة.

وقد ذكرتني سيرة الإمام الهادي أيام حجة والسيد محمد الوزير والمطاع وعلي الغفري عندما سمعهم السيد محمد (يدندنوا) صاح بأعلى صوته: أنا وثق سيرة الإمام الهادي يا قاضي عبدالرحمن. هذا كيف السبيل إلى الإطلاع عليها مطبوعة؟ وقد سألتني عن وفد العراق إلى المؤتمر ومع الأسف أنني لم أعرف ولم اجتمع إلا بالجواهري أما بقية الأسماء فلم أعرفها ولم اجتمع بها ومن بينهم: السيد شفيق الكمالي وإبراهيم التيم وسامي مهدي وجميل نصيف الخ..

هذا ما عندنا وفي انتظار أخباركم.. تحياتي وتمنياتي لكم..

إبراهيم الحضراني

عزيزي السيد احمد

ماذا أقول لك؟ تصور- وبعد هذه الفترة الطويلة من الانقطاع ليس عندي أهم من أن أقول لك: إني مشتاق إلى لقائك.

أما ما عدا ذلك فإن الكلام كثير ولن يشفي غليلا في أثناء العيد والزملاء في السفارة يكتبون التهنئات دنا مني أحد الأخوة وبيده عدة بطاقات ليملأها باسمي وطلب مني أسماء الأصدقاء فقلت له: ابعثها لغير الأصدقاء أو على الأصح لإنصاف الأصدقاء فاستغرب الأخ لهذا المنطق ولعله اقتنع به بعد ان قلت له: إن الأصدقاء أكبر من هذه الشكليات.

وبعد فهل اقتنعت أنت أيضا بأن المراسلة وخاصة في حياة راكدة متشابهة مثل حياتنا لا تقدم ولا تؤخر.

عزيزي:

الجديد أني اطلعت على كتاب أخير للسيد احمد الشامي أسماه الياذة من صنعاء. ألم فيه إلماما جيدا بحوادث ثورة 48 وما سبقها من إرهاصات وأشار إليك وإلى الفسيل والآخرين على هذا الأسلوب:

وذات يوم كنت..

وشعراء مخلصين

الشاعر المبدع شاعر الشباب عبد الوهاب

وشاعر الجيش، فتى المعتقلات السيد احمد المروني والفيلسوف الثائر الفسيل

إلى آخر ما جاء في هذه الإلياذه وهي ممتعة تعيد وفيلسوف الثائر الفسيل إلى أذهاننا ذكريات 48 وقد ربما أنك اطلعت عليها

عزيزي:

أما فيما يتعلق بالقضية العربية الكبرى وبالانتفاضة الرائعة التي أعـــادت إلى نفوسنا الثقة بأمتنا وبتاريخها- فقد كان لها أعظم الأثر في نفسي ومشـــاعري وأني مدين لها طالما حملت يدي قلما وأني الآن في دور الحمل وسيأتي دور المخاض. فـلا أدري من أين تسرب إلى نفسي بأن الإنتاج الأدبي كغيره من عناصر الطبيعة لا بد أن يمر بمراحله المقدرة له حتى ما تقوله ارتجالا تكون بذوره قد تفاعلت زمنا.. من حيث ندري ومن حيث (لا ندري) وقد يقول قائل: أوليـــس قضيتنـــا الكـــبرى بأبعادها تعيش فينا وتتفاعل معنا؟ نعم إنها تعيش فينا وتتفاعل معنا ولكنه قدر جـد جديد لم يكن في حسابنا أنه سيكون.. وهذا هو الذي يريد أن نعطيه حقـــه، إذا أسعف الخاطر وواتى التوفيق (وقد يتمخض الجبل فيلد فاره)

عزيزي الأولاد يسلمون عليكم بلقيس تواصل دراستها في الـــنة الثانيـــة آداب إنجليزي وحاتم ثالثة ثانوي أما الحارث فسيكون إدخاله الروضـــة الســـنة القادمة إن شاء الله.

هذا وقد قضينا أوقاتا ممتعة مع الأخ المحويتي وتمنينـــا لـــو أســـعفنا الخـــط بوصولكم وإلى اللقاء أيها العزيز.

أخـــــوك

إبراهيم الحضراني

عزيزي السيد احمد تحياتي وأشواقي الحارة حقا: إنها لجفوة أن ينقطع بيننا الاتصال هذه الفترة الطويلة ولكنها النفوس يا عزيزي قد تجدب أحيانا حتى لا يدرك لها حس، هذا من جهة ومن جهة أخرى أن ما استنفذ في الماضي من الطاقات كان له اثر في حياتنا اليوم والذي يعزينا ويملأ بالغبطة قلوبنا هو أن القلوب مفعمة بالود والإخاء ولا بد أن تأتي الأيام التي تزول فيها أسباب هذا التباعد فنجتمع على أحسن ما يكون عليه الاجتماع.

لقد سألتني عن أشياء كثيرة وأهمها واجبنا حيال بلدنا فيشهد الله أننا اليوم أكثر حبا له وتعلقا به والذي تغير هي التجربة وما يترتب على التجربة فلقد كنا وفي أيام الشباب الجامح نندفع كما تندفع العاصفة ولا نبالي في أي هاوية نقع فأدى ذلك إلى ما ترى وأدى بقضيتنا أيضا افتريد أن نعيد الكرة؟؟ هذا محال لقد تبين لنا اليوم.

إن قضيتنا أكبر مما كنا نتصور بل وأكبر من أن ينهض بها أفراد، إنها تخلف تاريخي مزمن ما صارعه أحد إلا صرعه، والأدهى من هذا أن بلادنا فتحت أجفانها ولكن على ماذا؟ على اردأ ما في عالمنا العربي من متناقضات فزادت المشكلة إشكالا.

وتفرقوا شيعا فكل قبيلة فيها أمير المؤمنين ومنبر والكلمة حتى الكلمة فقدت قوتها وضاع مفعولها في هذا الضجيج الفارغ.

تأمل يا عزيزي ثورة 48 ويصح أن نسميها ثورة الخاصة الواعية ولم تكن ثورة الشعب فجاءت كمولود جميل ولكنه لم يستكمل عناصر الحياة فمات في أسابيعه الأولى ثم جاءت الثورة الكبرى فكانت ثورة الشعب الشعب بجميع فئاته المتخلفة الجائعة المكبوتة فكان ما كان

أليس هذا كفيلا بأن يجعلنا أكثر وعيا وحنكة الآن.

يجعل لنا حصيلة كبيرة من التجارب يتصرف على ضوئها من تفده عبرا أيامه كان العمى أولى به من الهدى.

عزيزي لقد لمست في رسالتك الأخيرة شيئا من الاهتمام الزائد حول المستقبل وعلى الأخص مستقبل الأولاد لا تقلق يا سيدي فبلادنا لو ضاقت عنا فلن تتسع لبشر غيرنا، فأنا على ثقة بأنه لا يضيع عمل عامل فنحن عشنا لهذا الوطن تفكيرنا فيه حزننا له مصائبنا من أجله فهو لن يتنكر بل لا يستطيع أن يتنكر.

والآن وبعد هذا الحديث الممل الثقيل ما رأيك في عشرتين خياليتين

عندي بعض إنتاج أدبي ينشر في الصحف وآخره هذه المقطوعة بعنوان (أنت الجمال)

لست كالغصن إذا ما انعطفا ... لا ولا كالبدر حسنا وصفا

وصفوا الحسن بما طاب لهم ... إنما أنت حبيبي وكفى

فإذا البلبل في الروض شدى ... فهو صوت لحبيبي شنفا

وإذا الروضة بالحسن زهدت ... فهو قد ألقى عليها المعطفا

والطلى همت بها لما حكت ... يا حبيب القلب منك المرشفا

أترى؟ أي جمال زعموا ... إنه القلب إذا ما انعطفا

انكر الحسن إذا ما لم يكن ... كبدا حنت وقلبا شعصا

أنكر الحسن إذا ما لم يكن ... رغبة همت وقفا

فما رأيك

- طلب مني إلقاء كلمة في الجامعة عن الأدب اليمني وذلك يوم الخميس القادم ربنا يعين
- بلغني أن البردوني مع آخرين وصلوا العراق ليشتركوا في المؤتمر الأدبي أرجو لهم التوفيق.
- بلقيس وحاتم يجاهدان في الدراسة ويسألون بإلحاح عن حنان واخوتها وأين يدرسون وكيف تقدمهم؟

هذا ورجائي لا تنقطع رسائلكم ولكم جميعا منا جميعا خالص التحية والشوق.

أخـــــوك

إبراهيم الحضراني

ملحق

عزيزي كتبت للسيد الدكتور محسن جمال الدين في جامعة بغـــداد/ كليـــة الآداب رسالة جوابية تهنئة بعيد الفطر فلم يرد مع أنـــه مـــن أعـــز الأحبـــاب والأصدقاء وكان قد أهدى إلي ديوان الجواهري الأخير أيها الأرق.

أما التهنئة فقد كانت تعبيرا عما أكنه له من حب وتقدير قلت:

سلاما يـــاخدين المكرمـــات وشوقا ملء دجلة والفـــرات

وتهنئة بعيـــد الفطـــر تحكـــي صفاتك أنها أغلى الصفـــات

وما أن زلت ماجورا بشـــهر تودعـــه ومســـروا بـــآت

وللدكتور بعض اهتمامات بالأدب اليمني فقد كتب مقـــالا مطـــولا عـــن الشاعر جحاف في مجلة (العرب) السعودية فأرجوا أن تسأل عنه وتبلغه خـــالص تحياتي وأشواقي، كما أنك ستجد فيه خير أخ.

إبراهيم الحضراني

بسم الله الرحمن الرحيم

1978/3/21م

أخي الأديب الشاعر أحمد بن حسين المروني حفظكم الله

والسلام عليكم ورحمة الله وارجوا أن تكونوا وكل من يلوذ بكم كما تحبون في صحة وحالا

أكرمتني برسالتك المؤرخة 78/3/12 التي نقلتني إلى عوالم جميلة مفعمة بأحلى الذكريات والطف الصور منذ عرفتك أديبا المعيا تتهاداه المحافل إلى المؤمن الصبور تتجاذبه السجون إلى الصديق الوفي إلى النديم الأديب إلى تلك الصداقة الخالصة التي شدتني إليك منذ أول لقاء. وحتى جلسة "كمبرج" وأنت ولاشك تعلم أني لا أقول هذا اطراءا ولا مجاملة ولا دون أن أعني ما أقوله كلمة كلمة بل حرفا حرفا. ومن العجيب أني كنت اقرأ منذ أيام قصيدتك "الكلمة" في مجلة "الكلمة" والتي قال من قدمها أنها أول محاولة في كتابة القصيدة الجديدة وهي رائعة وبديعة ولا اعتقد أنها أول محاولة فطالما مارسنا ما كنا نسميه "الشعر الحلمنيش" أو النثر المشعور وقبل نزار ونازك. على كلّ أنا لي ديواناً جديداً تحت الطبع اسمه لزوميات الشعر الجديد وله مقدمة ستعجبك وسأبعث إليك بنسخة منه قريباً.

لقد تذكرت وأنا أقرأ رسالتك الكريمة تلك الرسائل التي كنت تبعثها إلى جارك استاذي الشاعر عبدالكريم الأمير. ومن الغريب أنني لا أتذكر الآن شكل واسلوب الرسائل الجوابية التي كان يردّ بها عليك استاذي عبدالكريم ابقاه الله لكني أكاد أتذكر كل شيء عن رسالتك: لون الأوراق.. والغلاف والخط. وتلك التحيات التي لا تترك جمالاً في الأرض ولا في السماء إلاّ واستمدت منه روعتها وجلالها؛ من أريج الزهر، وصفاء السماء، وخطرات النسيم حيناً، وتارة من

همسات الأشواق، ومدامع العشاق وطوراً من الأخلاص "للكلمة" تتراقص في تفاعيل "الشعر"، وابتهالات "الشعر" يصلى للحب في محاريب الطبيعة.

نعم يا صديقي .. لا يمكن أن أنسى تلك الرسائل التي كان لها ولا شك الأثر العظيم على أحاسيسي وبالتالي على اتجاهاتي الأدبية ذوقاً وأداءا؛ وإذن فهل تسمح لي أن أقول بأنك كنت لي أستاذاً دون أن تدرى نعم لقد كنت لك تلميذاً ولكن سرعان ما تمرد ذلك التلميذ فكان لاستاذه زميلا.. اتذكر يا أحمد أن أول مقال كتبته كان عن "الموازنه" بين الشعراء وكيف كنتُ فيه فظاً همجياً وكيف لقنتني فيه درساً من دروس اللياقة وكيف يجب أن يكون الحوار والنقاش وأسلوب الجدل.؟؟

وهل يا تراني انتفعت بذلك الدرس؟

نعم يا استاذي لقد أفادني كثيراً.. ولولاه لاجتاحني "العنف" لأنه وإن كان عنف "الخليل" و "موسى" فطرة وتكوينا فهو جوهر طبيعتي.. لقد ظللت اتذكر تلك المواقف في المواقف التي عنّت لي خلال حياتي الصاخبة أدبياً وسياسياً واجتماعياً، وكنتُ ومازلت وسأظل اجنى من تذكره نفعا "والذكرى تنفع المؤمنين".

يا أخي لقد كنت كريماً جداً حين تفضلت وفتحت باب المراسلة وما أحوج غربتي الموحشة إلى سماع صوتك الرخيم الذي سمعته ينطق في كل كلمة قرأتها في رسالتك وهل تصدقني يا أحمد أنك لا تكاد تبرح خاطرى. وأني ما رأيت شيئاً جميلاً ولا قرأت شعراً بديعاً، ولا أنشأت "قولا" ارتضيه إلا وتمنيت لو كنا معاً لتشاركني متعة رؤية ذلك الشيء الجميل، أو لذة الاستماع إلى ذلك الشعر البديع، أو لكي تكون انت اول من يستمع إلى ما قلته من شعر أو بيان.

من الشعر البديع الذي قرأته مؤخراً قصيدة الشاعر عبدالودود سيف في الكلمة والتي مطلعها :

ذرعتك يا بيد المواجع حافيا أعبك عباً نازفاً . .متتاليا

ومنها وما اوجع وانكى

حزيناً . . اجر الخطو جراً كانني أوارى باعماق الهموم خياليا

انها "معلقة" أرجو أن تبلغ صاحبها تقديري واعجابي. كما أرجو ان تقرئ سلامي للأديب الشاعر الدكتور عبدالعزيز المقالح وكم أنا متفائل حين اخبرتني بانكما ستعملان معاً في معهد أو مركز الدراسات والبحوث اليمنية أن عبدالعزيز اديب كبير وعالم فذّ وهل قد أصدر بحثه عن "الحميني" في كتاب إذا كان قد صدر فارسل لي بنسخة منه مشكوراً.

بالنسبة للزيارة أنا أتطلع إليها قريباً وأنا انتظر تشريف أخي وصديقي الشاعر احمد المعلمي إلى لندن وسأرتب وقتها معه وكم سأكون سعيداً أن أكون ويراعي تحت خدمة المركز" وهل حقاً ستصدرون "مجلة" ومتى..؟ ويا شوقاه أننا يجب أن نضع حداً للفوضى الأدبية التي تجتاح المجتمع اليمني وبارك الله في جهودك وجهود عبدالعزيز وسينضم إليكم إبراهيم وهذا اليراع سيكون تحت أمركم. هل اطلعت على قصيدتي (في مجلة الشعب) لقد نشرتها "الثورة. محرّفة.

وحذفت منها بيتاً مهما وهو : ما كنتُ قاطعةً أمراً" وثيقتنا فادفع بها كل قردٍ دوننا قطعا بعد قولي:

ونحن من عرف الشورى وقننها من قبل ما شيدوا الأبراج والبيعا

والله يشهد أني تخيلت الأخ الدكتور عبدالعزيز المقالح وأترابه من أرباب الفكر حين قلت :

سمعتُ اسماء قومٍ من بني وطني من كل ندبٍ بحب الشعب قد طبعا

سمعت اسماءهم تدوى مجلجلةً فكدت أسمع صوت الشعب مرتفعا

والشعب مقترحا، والشعب مقترعا والشعب مختلفاً، والشعب مجتمعا

وكدت أصغى إلى الدستور معلنـــةً أحكامه العدل والتوحيـــد والورعـا
تقدس "الرأي حـــراً" دونمـا ملـقٍ حتى ولـــو ذهبـوا في أمـره شِـيَعا
في الرأي تصطرع الأفكار عن جدلٍ لا خير في الرأي مصروع ومن صرعـا
والجـزم فيـه لمـن أدلى بحجتـــه "محاورا" ولمـن حـامى ومـن سمعـا

وآخرها

حرية الرأي والتفكير قـــد طبعـت هذا الزمان ومن نـــادى بهـا ارتفعـا
كونوا جميعاً مع الدستور واتحـــدوا في ظله.. والعنوا من خان أو خدعـــا

لقد سررت أن "الثورة" نشرت مقالاتي وأنا أواصل الكتابة وقد جـــاوزت الصفحة الخامسة بعد التسعين وأنوي إصدار البحث في كتـــاب مســـتقل لأنـــه تشعَّب فنوناً ولا أدري كيف كان نشر الثورة وهل اعتنوا بتصحيـــح الألفـــاظ والعبارات. وأنا معك في كل ما قلته ومعظم ما ينشر فيـــها عـــن الأدب كمـــا ذكرت ولكن ما في اليد حيلة فهلا عجلتم إخراج مجلة المركز؟

أكتب هذا على عجل وفي الصدر ما لا يسعه المسطور وسأضطر إلى أن أنهى هذه الرسالة بالشكر من جديد وهل تحب أن أرسل لك القسم الثاني والثالث من "الجناية" لقد أرسلتها إلى "إبراهيم" والقاضي عبدالرحمن وآخرين وأنا على اتصال ادبي بكثير من الأخوان تحياتي تغشاك وتحيات أخي عبدالوهاب وأرجوا أن أسمـــع عنك قريباً والسلام عليك ورحمة.

أخـــوك

أحمد محمد الشامي

بسم الله الرحمن الرحيم

1979/5/14م

1399/6/17هـ

أخي العزيز وأستاذي الكبير احمد بن حسين المروني حفظك الله

تحية طيبة بالأمس بعثت إليك برسالة جوابية "مشتركة" أي عنونتها اليك، وإلى الدكتور الشاعر عبدالعزيز المقالح حفظه الله، وفيها بعض ما في الصدر من الجوى والتوق، وبعثت معها قصيدتي الخيالية إلى، ألطف أحفادي سنة 2000م- وبالمناسبة فسيصادف عام 1420هـ أي وأخوك احمد في سن السادسة والسبعين ميلادياً.. والثامنة والسبعين "وهي سن مولانا الخميني" هجرياً!.. لقد أصبح أخوك أحمد منجماً كبيراً!! أليس كذلك؟ على كل حال أرجو أن القصيدة قد وصلتك ووصلت الرسالة والقصيدة الأخرى"صلاة الغربة" وأرجو أنك مع الدكتور قد غفرتما زلتي بإرسال الصورتين للكتاب المشترك إليكما: فقد كنت بذلك أنانياً.. لأنني أكتب بحثا عن نصيب اليمن من الشعر الوسيط أي العصر الوسيط.. وبعد فراغي من كتابة الرسالة وجدت أني قد اندفعت فذكرت بعض الأسماء والأدلة التي تلزمني ولما أكن قد ذكرتها "فشعبت" أن احتفظ بها مصدراً لي! "ابسر على فعله قد انا مثل "بغلة" فلان العماد الذي قال عنها السيد العلامة يحيى الذاري وهو ينقد أحد الشعراء فقال: أما، فلان فقد اتعبنا يتم يشعر الشعر السخيف ثم يتعبنا بترديده على مسامعنا.. ومثله مثل بغلة عمي "فلان" العماد تتم تروث وبعدا.. ترجع تأكل روثها.." إنها مضحكة.. وقد رويتها كما سمعتها من ابن السيد العلامة يحيى الذاري رحمه الله الأخ محمد بن يحيى رحمه الله وهو يرويها لي مع الأخ العلامة زيد الموشكي رحمه الله بمناسبة هذيان أحد الشعراء الثقلاء الذي كان يحفظ شعره مثلما يحفظ القارئ المجيد كتاب الله.. ويرددده في

كل مكان.. ولا أدري هل لا يزال على قيد الحياة أم لا؟ لكنه قد تاب عن الشعر فلم أقرأ له منذ ثلاثين أو خمسة وعشرين عاماً على كل هذا هو عذري فسامحا..

أرجو أن تهتم بكتابة مذكراتك.. أو الكتاب الذي حدثني إنك تنوي إنشاءه أو كتابته.. أرجو أن تعطيه معظم وقتك الآن.. الآن.. وأنت صاحب القلم الشاعر والبيان الساحر واعتن برسم وتصوير.. والحديث عن تلك الأمور والأحداث التي كنا نضحك منها ونظنها تافهة، ولا تنس "البطة" تحت وسادة الزميل، و "البعسه" أي البعثة ومحمد زباره، و "الأعظمي" ومحي الدين العنسي" ومقابلة "غازي" و "مسهراتنا" ومقابلتنا في بيت الأمير، والسجون. والمنشور المعاكس بعد أن كنت تتعرض للحبس ظنا إنك وحدك "صانع المناشير"، وصورة السلطان عبدالحميد في المنظر حقك المحرفة عن "حية" أو "ثعبان" أو "عنكبوت".. أو مالا أدري.. لقد نسيت، واحتفاءنا بالأخ الشاعر محمد محمود الزبيري.. أنت وأنا والفسيل وعبدالوهاب.. "شغثة" التجديد في صنعاء حينذاك.. والأشعار إذ كانت محفوظة.. وقصيدتك اللطيفة التي كان ينشدها التلاميذ "لا ينقصنا إلا العلم" الخ وهي نقد "مبطن" لا يهتدي إلى مثله إلا الشعراء المخلصون وكنت أنت وحدك حينذاك شاعر الوطنية المخلص لوجهها الحر المقدس. ولا تنس ما قاله "التلميذ محمد خشافة" عندما أدخل في الرواية من الكلام الوطني ما ليس فيها.. وخفت من الحاضرين وكان منهم من هو.. من الوزراء والأمراء الخ فنهرته وقلت له: أنت تشتي ترتبط.. وكان من دوره في الرواية الهادفة أن يربطوه فدخل مربوطاً المسرح- وكان في المدرسة المتوسطة- اعتقد سنة 45-1946م 1375هـ وقال بذكاء ولطف "صدق الحلم يا سيدي الصفي موجها الخطاب إليكم وغطت النكتة ما كنا نخشاه من حقد الوشاة..

اما ما حصل لك قبل ذلك، وفي العراق وما جابهته في الحياة وحصدتـــه في تجارب، فهو يستحق المجلدات.. فهيا.. هيا يا أخي إننا بالانتظار.. وأنت الكـاتب المبدع الشاعر المبين.

قصيدتك "البكاء من بعيد" بديعة وعندما قلت في رسالتك "ارجــو ان تنـال القبول" أنشدت مرتجلاً: أخاطب نفسي:

كيف ترجوا بان تنـــال القبــولا وهي مثل الحسناء تسبي العقــولا؟

إنها مرونية الأصل والفــــرع إذا طاب ليس ينسى الأصــولا

واجتراءً مني– لقربي من قلبك قد قلت "الهول" كان "مهولاً" نعم يا أستاذي لقد غيرت "المهيل" في العجز "الفنا هو لا مهيلا بالمهول لأنه الأصوب "والمـــهيل" وصف لمكان الخوف لكن "المهول" من الهول يعني المخيف وهو ما أردتم. وراجعو "المنجد".. وأخيراً أرجو أن تخبرني اين صديقي احمد المعلمي..؟ لقد انقطعت عــن أخباره وأين إبراهيم الحضراني وكيف نشاطه؟ وما هو رأيك في القافية "الثانيـــة" إنني شخصياً معجب بها.. ولكن "القرد في عين أمه غزال" وإليك مع هذا قصيـدة حررتها جواباً على قصيدة للأستاذ المعلمي، عنوانها رسالة من شهيد علـــى قيــد الحياة ولكني إلى الآن لم أبعثها إليه لأني لا أدري أين هو؟ فإذا كان لديكم فاهدها إليه أو صورة منها.. واطلع الدكتور وبقية الإخوان عليها وقل لي رأيك فيـــها.. إنني أحضر ديواناً، هل يمكن أن تقدمه إلى القراء؟.. وهنا استودعك الله إلى لقـاء في رسالة أخرى والله يرعاك ويحفظك ويجمعنا قريباً في صنعاء والســـلام عليــك وعلى كل من يلوذ بك ورحمة الله وبركاته

أخـــــوك/

احمد محمد الشامي

اخي ما كدت ان افرغ من تحرير الملاحظة المرفقة حتى دق البشير بـــبريدي الأستاذ احمد المعلمي من دمشق ومعه قصاصة قصيدة صبره ورده عليه في البائيـــة التي لا ادري هل ساهمت فيها أم لا.

على كل ساذهب الآن إلى بيت البريد وأصور له نسخة مـــن هـــذا ومـــن القصيدة التي أصلا مهداة إليه وأبعث إليه بنسخة من قصيدة إلى حفيـــدي ســـنة 2000م وكأني بالبريد الأدبي يعود من جديد..

احمد محمد الشامي

1979/5/15م

سيدي الأخ العزيز السيد الأديب احمد بن حسين المروني تحية حب وشـــوق ولهفة إلى اللقاء ولقد تلقيت رسالتكم يا عزيزي المؤرخة 4/24 في 5/6 ذلك لأنمـــا وصلت إلى القاهرة وأنا في سرس اللّيان- المنوفية على بعد أكثر من 65 كيلو متراً وقد تلقيتها بسرور ولهفة وضحكت إذ ذكرتني بقصة "سالم" وأنا اقول لك مقدماً مرحباً بك أنا ذلك الأخ الذي تعرفـــه إلا أني أصبحـــت لا أومـــن بالارتجـــال والتخطيط الموضح المبين هو كل شيء والذي يجب درسه قبل اتخاذ ايـــة خطـــوة وعندما طلبت موافقتك على المجيء إلى هنا كنت أنت بلا عائلة ولا أولاد وبـــلا وظيفة وبلا صديق يقدرك حق قدرك ويعرف نبلك ونفسيتك كما أعرف أنـــا.. وكنت في أزمة خطيرة مررت بها قبلك وقاسيت من الصراع النفسي فيها ربمـــا قاسيته أنت أو أكثر وتحتم علي أن أبدي شعوري حول حالتك وأتصـــرف ولـــو بمجازفة وبدون أي ترو وذلك ما تستلزمه الضرورة فليس من العقل أن تخطـــط لإنقاذ حريق أو غريق لأن الوقت لا يتسع لذلك..سيدي جاءت رسالتك مجملة أنـــت مقيد بعائلة وأولاد والوظيفة وجودها خير ألف مرة من عدمها وأنا أعرف جو عـــدن وكل ما في عدن من سخف وحر وأحقاد وتحاسد وأشياء لا حصر لها مما تجرح الشعور وتسوس العقل الصحيح ووالله يا أخي لا أدري كيف نجوت من الجنون أو لعلـــه بدا لي أني نجوت من الجنون وعلى كل فلو وقفت أشرح لك يا أخي بعض تـــاريخ تشردي لذهلت ولقد كنت أسمع صوتك عندما كنت مذيعاً في صنعاء وأتذكـــر تاريخنا العريض وأيام سجن حجة ونافع وكيف كانت أحلامنا وقصائدنا في الثورة التحررية المصرية. و. و. و.

قلت لك جاءت رسالتك مجملة وقد فهمت منها أنك تريد زيارة القـــاهرة اعني تقضي عطلة الصيف أليس كذلك؟ ومرتب العطلة بطبيعة الحال ســـيكون للأولاد حتى تعود؟ ربما كان فهمي هذا خطأ ولكن ليس من المعقول وصولك مع العائلة. وبالإضافة إلى ما فهمت فالذي جاء فيها واضحا أنك فاقد الإمكانيـــات فلا جواز سفر ولا قيمة تذكرة ولا شيء غير ذلك والباخرة ربما تجنح إلى ميـــناء الحديدة أو تكرر حادثة الفسيل بجدة إذاً فما هو العمل هذا ما لا أستطيع الجواب عليه تفصيلاً. ولكني دعني أوضح لك أن حادثة جدة صار من البعيـــد جـــداً أن تتكرر؟ فعند ذهابي في العام الماضي إلى السعودية ونزولي مدة إقامتي هناك في بيـت وزير سعودي سبقت معرفتي له في شرق أفريقيا أكد لي هذا ومنذ أن التقيت بـــه في شرق أفريقيا أبدى كل أسفه واعتذر وعرفت منه وأنا في السعودية أنهـــا لـــن تكرر وقد كان هاشم بن هاشم سيقع في نفس ما وقع به الفسيل أي أن الســـفارة اليمنية بجدة طلبت تسليمه وقوبل طلبها بالاستخفاف والسخرية وقالوا لن تكـــرر الغلطة التي سببت لنا سوء سمعة، ولن نحسن الظن مرة أخرى فلا تستغلونا ومـــع هذا كله فلن أنصح بالمرور من هناك من باب الأخذ بالأحوط وعلى حـــد قـــول الشاعر:

ومالي أن أطعتك من حياة ومالي غير هذا الرأس رأس

ومن المؤسف جدا جدا أن يكون وضعنا زفتا إلى هذا الحد إن هذا الوطـــن الكريم الذي– من عهد بعيد وهو يأوي الأحرار من كل بلد عربي لن يضيق بـــك ولا بي ولا بألف واحد من أمثالنا وكل يوم لا يزال في تقدم مطرد. إن الجمهوريـــة العربية المتحدة هي وحدها مصدر الإشعاع وهي في سبيل تحرر الوطـــن العـــربي تتحمل ما تتحمل من متاعب مادية ومعنوية ونحن أحرار اليمن ومشكلتنا لـــدى المسئولين معروفة ومعلومة ووضعنا الداخلي مفهوم ولكن أتدري ما ينقصنا؟.. أنه

لا ينقصنا شيئ سوى ( ) ولن أدع لقلمي العنان فيشرح لك كل شيء أنـــا أريد أن تضع نفسك في الواقع المرير ولا تطلب عونا من أحد فلم تكن بهـــذا إلا عاقلاً شريفاً نبيلاً لا تنخدع.. لا تنخدع وعش في حدود مرتبـــك ووظيفتـــك وليت لي كفاءتك التعليمية وملكة جاذبية محادثتك ومحـــاضرتك وتدريســـك لا أمكن أن استقر وأوسع برامجي التعليمية إلى أن يحلها الله، هنا يا ســـيدي ممنـــوع العمل بأجر أو بدون أجر لمن لم يحمل جنسية الجمهورية وإلا لاستطعت أن أزاول أي عمل تجاري أكسب منه عيشي أما في عدن فهي منطقة حرة وقـــد كســـبت خبرة في التجارة ولكن الحر أنه يذيبني كما لو كنت مصنوعا من الزبد أمـــوت أهلك أذوب.

بقى أن أقول لك أني سأنفصل عن مركز التربية الأساسية في 6/30 أي بعـــد أكثر من شهر ونصف وستنقطع المنحة التي أتقاضاها وهي عشرون جنيها شـــهريا وأنا الآن غارق في الأعمال إلى أذني أبيت في القرية يومين بحاله زفت كتابة تقارير متعددة تحرير رسالة لأخذ الدبلوم وأنا متخصص في الصحة ونصف شهر لا بـــد وأن أقضيه في زيارة الهيئات والمؤسسات فأنا في أحرج فترة ولهذا لم أجب علـــى رسالتك الجوابية لأني كنت منشغلاً وحتى تحرير هذا.. أما بعد شهرين فســـأكون في فراغ مطلق وسأكون حاملاً لدبلوم التربية الأساسية "اليونسكو" وأيام تمضـــي ويشعر ببعض وأحاسيس تنقد وأمال ضايعة ومستقبل مجهول بل أكثر من مجهول.

وكل ما أستطيع تقديمه لك يا أخي هو السكن إن كنت ستقضي العطلة هنـــا سواء جئت وأنا هنا أو قد عدت إلى القاهرة وإذا عشنا معا فسنأكل الحاصل وإلا يكفي أن ننام في شقة بتلفون وسريرين لا بأس بهما وحمام ونور المأوى يا ســـيدي للمشرد هو أهم شيء أنني اعتبرني مليونيراً بوجوده ولو كان غالي الإيجار وبقـــى أن أحدثك عن رسالتك إلى الوريث أنها ستبقى بكل صراحة لدي ولن تذهـــب

لأسباب كثيرة قد يكون من اهمها اني خجلان من الوريث إلى حد لا تتصـــــوره فانا مدين له لحماً ودماً وليس هذا وحده فإن وضع العـــرب في شـــرق أفريقيـــا علـــى العموم أصبح لا يحسد عليه فالمستعمرات أصبحت في طريـــق اســـتقلالها وأهلها يضايقون المهاجرين ويطالبون بإلغاء الهجرة ثم هناك الشـــركات الغنيـــة اليهودية تزاحم العرب الفقراء وتسد الأبواب في وجوههم ولولا ذكاء الوريـــث وحكمته وخبرته أنه قد اضمحل وهو يعاني متاعب كثيرة وأعمال كثيرة.

أخيراً تقبل تحياتي ولا تنس أن تسلم على الأستاذ العيني ودمـــت لأخيـــك ولعلي قد أطلت ولكن صدقني أني لم أخاطبك إلا بالمفتوح وبـــدون تكلـــف ولا التواء والسلام عليكم

احمد المعلمي

60/5/12

إذا كنت تلتقي بالأستاذ احمد نعمان فقل له يقول لك احمد المعلمي إن ابـــن أخيه يسلم عليك

72/4/24

الأخ الأديب السيد احمد المروني لك حب وتقدير أخ صادق في مودته طيب المشاعر نحوك دائم الذكر لك هو كاتب هذه الأحرف التي ستستغرب ما الدافع لكتابتها، بعد صمت طويل وكأن كلينا يعيش خارج الكون ولسنا في عصر البريد الجوي ولكنني أؤاكد لك أني وإن لم أكتب فإني استعرض الأصدقاء واحدا واحدا سواء القدامى أو المحدثين والقدامى أكثر فالشاعر يقول..

ثلاثة أجودها العتيق الخمر والإبريز والصديق

أما الدافع لكتابة هذا فهو شيء قد لا تتوقعه ( ) لسخرية الزمن وجدت مذكرات لي يرجع تاريخها إلى أيام سجن حجة وجاء ذكرك فيها كثيراً وكانت مهربة وضايعة في إريان.

وفي المذكرة أشياء مضحكة مضحكة مثلاً الشيخ عبدالحميد بن مقبل يرفع برقية يقول فيها أغيثوني من عكارس والشيخ علي بن محسن بنقلي إلى حبس السنارة أو قطع راسي فيعود الجواب من الإمام إلى النائب بحجة ولا بأس. دون أن يزيد على ذلك شيئاً وعند وصول هذا الرد كانت مراجعة النائب بأنه حين رفع البرقية كان بحالة عصبية وكانت الشفاعة له بعدم إرساله ولا قطع رأسه.

وعثرت على قصيدة أخرى لكم ( ) وهي أيضاً ثمانية وعشرون بيتاً من أجود الشعر نظمت في 12 شهر ربيع الثاني سنة70 أي قبل 22 سنة.. شباب هذا العصر حينما ينظرون إلى أشعارنا التي كنا نجعلها وسيلة للتخفيف عنا أو لإطلاقنا لا يعرفون ما كنا نلاقي ونعاني وأنه لا وسيلة غير ذلك وهم كانوا نائمين هم والشعب فلا مظاهرة ولا احتجاج ولا صحافة ولا منظمات ولا مؤتمرات ولا أية فكرة سوى أن هؤلاء الذين في السجن "دستوريون" خارجون عن ملة الله وملة

رسوله وكافرون بخليفته فوق الأرض. يا أخ احمد أشياء كثيرة في بعض المذكرات التي تمكنت من العثور عليها فهل عندك مذكرات فقد نموت ويموت معنا التاريخ. أخيراً ابتهالاتي بأن يعينك الله على حري بغداد فلها حران شديدان حر طبيعي وحر سياسي والحمد لله الذي أنقذني الله منهما.

أخر أبيات لي تعليقا على صديق كان في باريس فكتب إلي يقول لقد رأيت باريس وشاهدت ما فيها وعدت إلى اليمن أقول بل واتسأل هل نحن خارج الكون. فقلت:

نحن خارج الكون

أين نحن؟ في خارج الكون نحن كلما عندنا قبور وحزن .

(عفواً لا أقصد قبور النجف وحزن كربلاء الخالد). ومنها وهو ما يحضرني الآن

أمم الأرض أدركت فاتمنت وإلى الآن قومنا ما تمنوا

ومنها:

أمن نحن؟ تبا لقوم إذا ما ذكروا ماضي الجدود تغنوا

وآخرها:

نحن روح الفوضى وأجلى معاني الجهل. نحنو وبالمزاعم "نحن"

إشارة إلى المثل نحن نحن ويكسر لك الموقد. واسمع أحوالي هنا مش ولا بد بسبب ضغط الهواء فأديس أبابا أرفع من صنعاء بحوالي ألف ونصف قدم أو أكثر فالأكسجين قليل وجفاف في الحلق كل يوم تقبل تحياتي وبلغها من تريد ولا سيما الصديق الجبشي ودمت لأخيك

احمد المعلمي

71/1/27

الأخ العزيز المهذب في أخلاقه وأشعاره وسلوكه السيد السفير احمد حسين المروني لك يا أيها الحبيب أصدق التمنيات الطيبة والتحيات القلبية من أخ لك يكن لك الذكريات والود والتقدير ولا ينساك في هذا العصر التي انهدمت فيه القيم وانمحت فيه الاعتبارات عند الكثيرين ممن زاملناهم وزاملونا وعاشرناهم وعاشرونا حتى وممن شربنا معهم مر التعذيب في السجون ومن ضمتنا معهم تلك السلاسل والأغلال وظلمة "نافع" وعفن نافع وأهوال نافع أخي: لا تسأل عن قدر سروري برسالتك وأنها لتدل دلالة واضحة على أنك ذلك الأبريز الذي لا يتغير آه وما أحسن هنا من الاستشهاد بقول الشاعر

ثلاثة أجودها العتيق الخمر والأبريز والصديق

نعم إن صداقتنا قديمة وعتيقة ولا يفزعنك ذلك لمدلولها بأنا قد أصبحنا متقدمين في السن ألا تذكر اجتماعنا في تعز في 46 على ما أذكر عند نزولك من صنعاء وكنت مذيعاً.

إنني أنظر إلى تلك الفترة كمن ينظر بمنظار مقلوب مطلا على سهل واسع فيرى الأشياء صغيرة وبعيدة جداً فنحن الآن في عام 71 على كل يا سيدي لا نزال نناضل ولا أزال أنا بلا مأوى في اليمن إلى الآن وحتى البيت الذي بعثه في سني التشرد لن أحصل على دور منه وهذا لا يهم وأمانة تاريخ القضية وتحليلها بتجرد أعتقد أنه على عاتق أفراد مثلك ومثل الأخ محمد الفسيل ومثلي ولكن من أين نبدأ ومتى وكيف تقسم الفترات كل هذا يحتاج إلى دراسة وتبويب وتوزيع العمل على ثلاثتنا مبدئياً أرحب بالفكرة وإني أحرر هذا على عجل كمقدمة لرسالة أخرى.

تقبل تحياتي وتحيات السيد مطهر الشامي والسيد احمد العطاب

أخوك احمد المعلمي

72/5/26

عزيز السيد احمد المروني المحترم لك من أسمى التقدير وافر الحب وأطيب التحية ماذا أقول بعد أن تسلمت رسالتك الرقيقة المفعمة بالجمل الصادقة والتعبير المؤثر والذي يدل دلالة واضحة على وجود شيء من المعاناة النفسية وإليك الرد وهو منك وإليك قصيدة من نظمك في السجن بعنوان: تفاؤل في شهر ربيع الثاني سنة 70 هجرية أي أنه مضى عليها 22 عاماً

أيها اليائس "الكئيب" تبسم ... لا تفق بالحياة لا تتجهم
ابتهج عندما تطل عليك الشمس ... بشرا وأفرح إذا الليل خيم
وانطلق كالطيور في فسحة الجو ... إذا هبت العباد ترنم
نحن مثل الهزار في قفص الأسرى ... وحوم مثل الفراش المرقم
لا تبل إن نزلت جنة عدن ... في أمانيك أم هبطت جهنم
إنما العيش دمعة وابتسام ... غير أن الهنا لمن يتبسَّم
لم تأسى وتحمل القيد إلا ... ما هوهما وفي غد تتحطم
لم يرنو إلى الحياة بنظا ... ر جميل صافي الأديم منظم
أنت إن شئت فالحياة بنتاش ... وهناءٌ وفرحة ليس تفصم
وإذا شئت فهي هم وغم ... واكتئاب ووحشة وتبرم

كن كمثل الياقوت تحرقه النار فيجلى ويقتني ويكرم إنما تشرق السعادة من نفسك إن كنت للحقيقة تفهم إنما النفس منجم قد حوى الإلماس والفجر..

كن كمثل الزهور تعصر أحيا ... ناً فتغدوا شذى بقل باسم

إنما تنزل الخطوب . الزري المهدم

هذا ما اخترته من مذكرات السجن ونقلته كما هو بدون تغيير حتى البيت الأخير الذي لا أدري لماذا قيدته هكذا ولا أدري هل هذه القصيدة لديك وهل العنوان من لديك أم من لدى وحين أكتب هذا أكتبه في زحمة الأعمال.

تحياتي كل من لديكم ولكم

احمد المعلمي الصديق الدائم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ العزيز المصلح الكاتب الأديب الشاعر أحمد حسين المروني المحترم

تحية طيبة مباركة وهنئة بعيد رأس السنة 1991 وإليك يا رفيق دروب الحياة وزميل مسيرها قصيدة بمناسبة هذا العام وحين قلتها كنت على سرير المرض الذي ألم بي وكان ابني يكتب عني ويقول: يا أبي أنت وصلت للمعالجة لم تصل إلى مهرجان شعري وأقول له أكتب أنها أي القصيدة تهويمات مرضية هذيان مرض وخيالات مرض وكنت أتصور أن عام 91 قد أطل بينما كان في أواخر شهر 90/11 وكانت أمريكا عندما اسعفت إلى أحد مستشفياتها في نيويورك تحتفل بعيد الشكر وتستعد للأحتفال بعيد الميلاد ورأس السنة فاختلط عليّ الأمر والمرض كان سيودى بالحياة ولا أزال أشعر أن على عاتقي مسئولية تاريخية لم أحققها والاشتغال بالحاضر ينسي وينسى وأنك يا صديق العمر لمن العظماء في اليمن إذا لم تكن أعظم شأناً وأحفلهم تاريخاً وأنظفهم سلوكاً وأروعهم قدراً وها أنا أبعث إليك بترجمة كتبتها بقلمك ونحن في السجن عندما كنا مهددين ومنا من قضى نحبه ومنا من ينتظر وأنك لخامس خمسة كتبوا تراجمهم ولا أدري هل احتفظت لنفسك بمسودة أم لا؟ وعلى كل حال أني لا أزال احتفظ بالشي الكثير وكان سيدركني الموت قبل أن أحقق ما أريد نشره ومن الغريب أني ولدت في نفس السنة التي ولدت أنت فيها. تأمل ما كتبت عن نفسك تجده الصفاء الروحي والصدق مع الحياة ومع الناس لقد أعدت قراءة الترجمة ولو شرحت وعلقت لأطلعت كتاباً كاملاً عليها ولعلنا لا نجد إلا الموتى ولا نحب أن نقرأ إلا عنهم. أخي معذرة أني أكتب هذا وأنا في دور النقاهة بعد العملية وهي ناجحة. وقد كتبت كتابا "سميته يوميات مريض" فيها كما أعتقد طرافه أرجوا أن أتشرف بتسلم ردٍ منك على هذه الرسالة وتقبل تحياتي وللعلم فأني طلبت من اليمن

"كُدَم" من حق المجندين ووصلت وطلبي لها هو إعلان غير مباشر يدل على وافـــر الصحة وان الشهية مفتوحة وبلغوا كل الأصدقاء تحياتي والله يرعاكم.

أحمد عبدالرحمن المعلمي

1990/12/16م

سيدي الأخ الأستاذ أحمد المروني

أشواقي الحارة للقاء في ميادين العمل

مع هذا خطاب للسيد رئيس الجمهورية أرجوا أن تتكرم بتقديمه لسيادته، والحث على الرد وإرساله إما برقياً أو كتابياً فإن الإسفاف الذي طلع به البيان يسيء إلينا أكثر مما يسيء للغير.

يا أخي

نحن محتاجون لمتحدث من تهامة وآخر من تعز وثالث من المشرق ورابع من صنعاء في برامج متفقة مع عقليات ونفسيات هذه المناطقة.. إذ ليس يكفي أن يكون المكرفون قوياً، دون أن تكون الكلمات حية فعالة.

مرة أخرى لك اشواقي وقبلاتي،

أخوكم

محمد أحمد نعمان

1962/11/16

برن في 72/5/2

سيدي واخي العزيز الأستاذ أحمد حسين المروني

منذ تسلمت رسالتك المؤرخة 4 يناير سنة 72، وأنا أقرؤها وأعيدها إلى الـــدرج بانتظار الجو النفسي الملائم والمتلائم مع الرسالة للرد عليها..

واليوم وأنا في برن، عاصمة سويسرا، بلاد الله حقاً وصدقاً، وقبل توجهي لتقـديم أوراق الاعتماد بساعة واحدة، قعدت أقرأ الرسالة التي استصحبتها معـــي مـــن باريس لأرد عليها.

لقد جنيت يا سيدي جناية كبيرة عليَّ.. جناية متكررة.. إذ عمـــــدت في كـــل ردودك السابقة على عدم الإفصاح عن الحقيقة، بأنك لم تـــثر موضـــوع ثمـــن السيارة، مع الخارجية أساساً، وتركتني آخذ وأرد معك مازحاً وجاداً، وأنـــــت تجعلني أراك غير من أعرفك.. ثم جئت في نهاية المطاف لتفزعني بالحقيقـــة الـــتي طويتها عني فحملتني على ما لا يحمل من الحس تجاه علاقاتنا.

لقد آلمتني لألمك أكثر وأكثر، وماذا الذي استطيع أن أقوله لك بعد كـــل مـــا جرى: ليس غير أن نطوي هذا الحديث، للنقاش العسير المرير عندما نلتقي..

أنا في أوربا، أحاول وأحاول استثمار الانفتاح، وكل يوم يمر بي يؤكد لي حـــاً عجيباً، هو أن الذنب في العزلة السابقة ليس راجعاً إلى سوء قصد الحكام، بـــل إلى عدم حاجة الآخرين لنا.. لقد كانوا مستغنين عنا فلم يأتوا إلينا.. وكل مـــن احتاجوه قهروه لم نكن أقوى من غيرنا فنمنعهم، ولكنا كنا أقل إغراء.

ولا يزال الحال كما كان . .

أما كيف نمارس حياتنا هنا فإننا مع القائل:

ووقفت أنتظر القطار

عمري انتظار

باريس من حولي تجاذبني الحوار

وهيب بي، والليل جن بصدرها العاري وثار

إشرب على ألم الدنى ،

وأخلع بغربتك العذار

باريس أقبية وبار
نور ونار
باريس حبلى بالمجانين الصغار وبالكبار
هذا القطيع الحالم المجنون
يلهمه الجنون فلا يطيق الانتظار
باريس تابى الانتظار
من عين الدنيا تراودها، وثانية لها
في الأفق تستبق الدمار
ووجمت عبر ترددي
ومضى القطار
مضى القطار
وبقيت أنتظر القطار
الذكريات تشدني وتهينني
وتحط بي عبر الديار
والاحتقار،
يجتر أحلامي ووجداني فاشعر بالدوار
الخوف
والغثيان
والروح البوار
والاثم
والقلق المريض
وشهوتي للانتصار
مستنقعي كبرت طحالبه بأورقة الشنار
وترعرعت في غابتي وحلاً وعار
مالي وهذه الذكريات تشدني

وتهينني ، وتحط بي فوق المطار؟
طيارتي صلبت على صدر المطار
لا . .
لا أريد أعود يصرعني الونى
لتموت في صدري المنى
فأموت في وضح النهار
أنى كرهت الاحتضار
والموت في وضح النهار.. .
باريس لا تدري بأني هاهنا
أجتر تاريخي، واستجدى الفرار
دوامتي اتسعت وعمّقها الاسى والاجترار
دوامتي التهمت وجودي
كيف أقتحم الجدار
عمري اجترار وانتظار
لا . . لن أعود
تسمري يا أرجلى ، وتشبثي
مر القطار
مر القطار
وحدي كأحلام الرصيف هناك
تنبض بالغبار
مثلى أنا
سأمان، مل الانتظار
والموت في وضح النهار
تاريخه المشدود للتاريخ موصوم الازار
وطأته أقدام الزمان فما تحرك واستجار

الموكب العشرون ضل ، وتاه في أفق المدار
وأنا انتظار
الموكب العشرون أدركه الخوار
ومواسم الامل الذبيح
تطل من صدرى الجريح
تصيح لي
مر القطار
مر القطار

إلى اللقاء
أخوك العاتب
محمد نعمان

تعزية شعرية:

بعث الشاعر العربي الكبير الأستاذ سليمان العيسى بالتعزية التالية إلى صديقه واستاذنا المناضل الكبير الأستاذ أحمد حسين المروني مشاطرة له في الأسى برحيل شقيقه العزيز:

لحسين . . تزرع في هذي الدجى لمعا
من الضياء .. وتطوي البيد ظمآنا

لحسين . . لم تنهب قط عاصفة
وأنت في قلبها . . بقيا سجايانا

جناحك البكر . . يرميه الردى فاذا
بالحزن . . تنسجه صبرا وايمانا

ماذا أقول ؟ ؟ سجايا من نحبهم
على المدى . . لم تكن إلا رزايانا

يا شاعري. . نحن حلم الضوء . . في غسق
مرّ . . وأقسم . . ما أشجاك أشجانا

1992/6/27م

بسم الله الرحمن الرحيم

أستاذي الكبير المناضل احمد حسين المروني حياكم الله

تحية طيبة

وصلتني رسالتكم العبقه بروح المحبة في تاريخ 80/5/8 وهأنذا أكثر من مـــرة أقرؤها بشوق عظيم وأغوص في الصدق الذي يتفجر من كلماتها وكيف لا أفعـل ذلك والرسالة قد وصلتني من أب حقيقي أب مناضل عملاق، أستاذي الكـريم لم تذهبوا من لدينا ففي كل مكان من المركز تطل طلعتكم البهية ولا يذهب يـــوم دون ان نلهج بذكراكم منذ ذهبتم حاول أن يتطاول أكثر وأن يتحـدث في سيرتكم لكنه لم يلق إلا البوار فقد تصدينا له وسوف نتصدى له حـــتى يذهـب مدحوراً وبدون رجعه ويحتاج ذلك إلى توصية من قبلكم للدكتور عبدالعزيـــز.. لقد قرأ الدكتور رسالتهم إلي وأفاد أنه أرسل رداً على رسالتكم أستاذي الكبـير لا أستحق إطرائكم الصادق وثناءكم القريب إلى القلب فلست إلا واحـد مـن جيل ترعرع في شاطئ جيلكم الهادر الجليل الذي مهد للثورة. أرجو أن تكونـوا بخير وأن تتاح الفرصة لزيارتكم حتى نتمكن من الجلوس على بيادق الشـــطرنج مرة أخرى، أي خدمة لك أنا تحت الاستعداد وسأظل كما كنت أبنا وفيا لكـــم ودعمكم لي لا أشك أنه سيعمل على تكويني الأدبي والنضـــالي ولـك خـالص شكري وتحياتي وجميع الأخوة عبدالباري وفؤاد وعبدالله علوان يهدونكم تحيـاتهم وسلام الله عليكم.

ابنكم المخلص

إسماعيل الوريث

استاذي الكبير المناضل احمد حسين المروني الأكرم

تحية صادقة طيبة

ببالغ الشوق استلمت رسالتكم الكريمة بعد أن تاخرت حوالي الأسبوع في منزل الأخ عبدالله عبدالواحد الشرفي. إنني يا أستاذي أعذركم كثيرا لانشغالكم في تنظيم عملكم الجديد ومع ذلك فقد كان لكم قصب السبق فأنتم الذين ذكرتم ابنكم أولاً وأرسلتم تلك الرسالة الصادقة: أشكركم على متابعتكم لما أكتبه خاصة في اليمن الجديد وكنت قد كتبت عن ندوة ذكرى أبي الأحرار في جريدة التصحيح وتعرضت لذكركم في عدد سابق في تلك الجريدة لا أدري هل وصلتكم أم لا سيدي سأحاول في هذه الرسالة أن أرد على استفساراتكم برسالتكم الأخيرة حول المركز، الحقيقة إننا حتى الآن لم نخط خطوة مجدية منذ تركتمونا إلا أن الأمل كبير في الدكتور عبدالعزيز إلا أنه تم حتى الآن تغيير طفيف فقد عين الأخ عبدالباري طاهر مديراً عاماً للشئون المالية والإدارية بصورة مؤقتة وأنا أعمل إضافة إلى علي مساعداً للرئيس للشئون المالية والإدارية ولا ادري هل يكون ذلك بصورة مؤقتة أم دائمة لا يهم إلا أننا هنا جميعاً مستعدون لأن نعمل فوق طاقاتنا خاصة مع الدكتور عبدالعزيز الذي هو بحق خير خلف لخير سلف بالرغم من الفراغ الذي خلفتموه لنا بفراقكم فقد كان المركز بوجودكم أنتم والدكتور عبدالعزيز إضافة إلى عمله كمركز إشعاع محطاً لعاشقي الأدب والفن والفكر إلخ ومع ذلك فكما ذكرت لكم يبقى لكم في المركز حضوراً دائم فالفضل يعود لكم في تأسيسه وأنتم الذين عانيتم كثيراً من أجل استمراره ووجوده، أستاذي عاد الأخ عبدالرحمن الأمير مع رفيقه العماد إلا أن عودتهما جاءت غير موفقة: انشغل العم عبدالرحمن بسيارته الجديدة في الحديدة وأرسل المعدات على موتر نقل فتحطم أهم ما فيها آلة التصوير ولهذا ولعدم

معرفته الكاملة بأمور الشئون المالية تم نقله إلى إدارة البحث والتحقيق مع الأخ الشعيبي الذي يتواجد الآن في سوريا لطباعة كتاب "الثناء الحسن": سيدي إنكم لا ترغبون في الرسائل التي لا تغني ولا تسمن من جوع أو على حد رأيكم المقتصرة على المجاملة تأكدوا يا أستاذي أنني لا أراسل أحداً ولا أهتم بالمراسلة على الإطلاق وجاءت رسالتكم الأولى فشجعتني على الدخول في حكاية المراسلة وعلى أساس طرحكم في رسالتكم الثانية كنت أتمنى وأنتم موجودين في صنعاء هذه الأيام فالناس يتعطشون إلى الوحدة والجو يعبق برسيس من نفحات الديمقراطية إلا أن شعبنا وهو الذي قدم أغلى التضحيات يريد حقه كاملاً يريد الحرية والمساواة والسيادة سأبلغ تحياتكم للأخ عبدالله علوان، الدكتور عبدالعزيز يهديكم تحياته وكذا الأخوة عبدالباري، وفؤاد وعبدالله الشرفي أنا تحت الاستعداد لأية خدمة وأرجو أن أكون دوماً عند حسن ظنكم وإلى رسالة قادمة إنشاء الله.

المخلص إبنكم

إسماعيل الوريث

80/6/15م

61/3/3

والدي العزيز الأستاذ احمد المروني

تحية من القلب

أيها الوالد العظيم- شكرا لك على رسالتك التي أحسست فيها معاطفة الأب الرفيق.. لقد بعثت في روما أكثر تفاؤلاً وأدعى أملاً في مستقبل وطننا العزيز التعيس.

أما عن أخي فقد طمأنتني إلى أن لم يضع ولن يحقق آمال اليوم التي ننعي الخراب الذي أحدثته أماينها في كومة من الآلام تركتها العصور في ذلك المستودع الرهيب للاستعباد والاستغلال، ونحن وقد فتحت عيوننا تلك الشموع المحترقة التي يتجسد في اسم احمد المروني أحدها وقد آلينا على نفسنا أن نكون الجمود أو اللاهية التي لن تصير رماداً إلا بعد أن تحقق غرضها من إبادة الظلام وفي دفن الظلم تحت أكوام رمادها..

كلما أريده هو أن تذكر مع الآخرين طورا كانت الشموع تعد بالأصابع.

نعم: لقد أديتم واجبكم وكان النصر في مراحله الأولى أكبر من كل تضحياتكم هذا حق- والنصر أغلى أثمان التضحية- وإني أود أن تقارن بين الماضي والحاضر بتجرد من كل الآلام كل منها إن صيحاتكم لم تذهب عبثاً لقد سمعت بالصدفة عن طريق الإذاعة نبأ وصول وفدٍ إلى عدن لمساومة المشائخ الكبار هناك. ولا أدري نتيجة ذاك العمل الجبان إلا أني انتظر عكس ما أراده البغاة.

أبعث إلى أخيكم العزيز أجمل التحيات والتمنيات إلى الشيخ الكبير سنان وكل رفاقكم المنضرين وإليكم كل تقدير وحب وسلامي إليكم..

المخلص ولدك

حسين العيني

أخي الشاعر الكبير والصديق الحبيب أحمد حسين المرواني المحترم

حفظك الله وأبقاك رسائلك حلوة الانفاس عطرة الحروف شذية السطور تنبت بالكرم الصافي، والخلق الجم والأدب الرقراق. ملأت نفسي بالرضا وجوانحي بالحبور ولئن تركت بغداد وأهلها فقد بقيت آثارك وبصماتك في قلوبهم وحناياهم وهل ينسى الشاعر العزيز والأديب الرائع البيان.

ياسيدي وحبيبي ما أقسى ما نمر به من أحداث وما أشرس هذا الظرف وأقساه. فعسى أن يفرج العرب بأنفسهم عن أنفسهم كربهم ويلموا شملهم ويرأبو صدعهم.

لا تحرمني من أخبارك وطيب رسائلك ففيها رائحة العمر في جديب العمر.

الدكتور يوسف عز الدين

أمين عام المجمع العلمي– بغداد

1983/1/1م

صـــــور

المكتبة التاريخية اليمنية
www.yemenhistory.org
رفع وتصوير
مختار محمد الضبيبي

اخذت هذه الصورة في حفلة ذكرى ميلاد الرسول الكريم في ساحة المدرسة العلمية يوم الأربعاء ١٢ ربيع الأول ١٣٧٦هـ وقد ظهر إلى اليمن من صورتي الأستاذ أحمد جابر عفيف وظهر في الخلف الحاج عبدالرحمن الأنسي

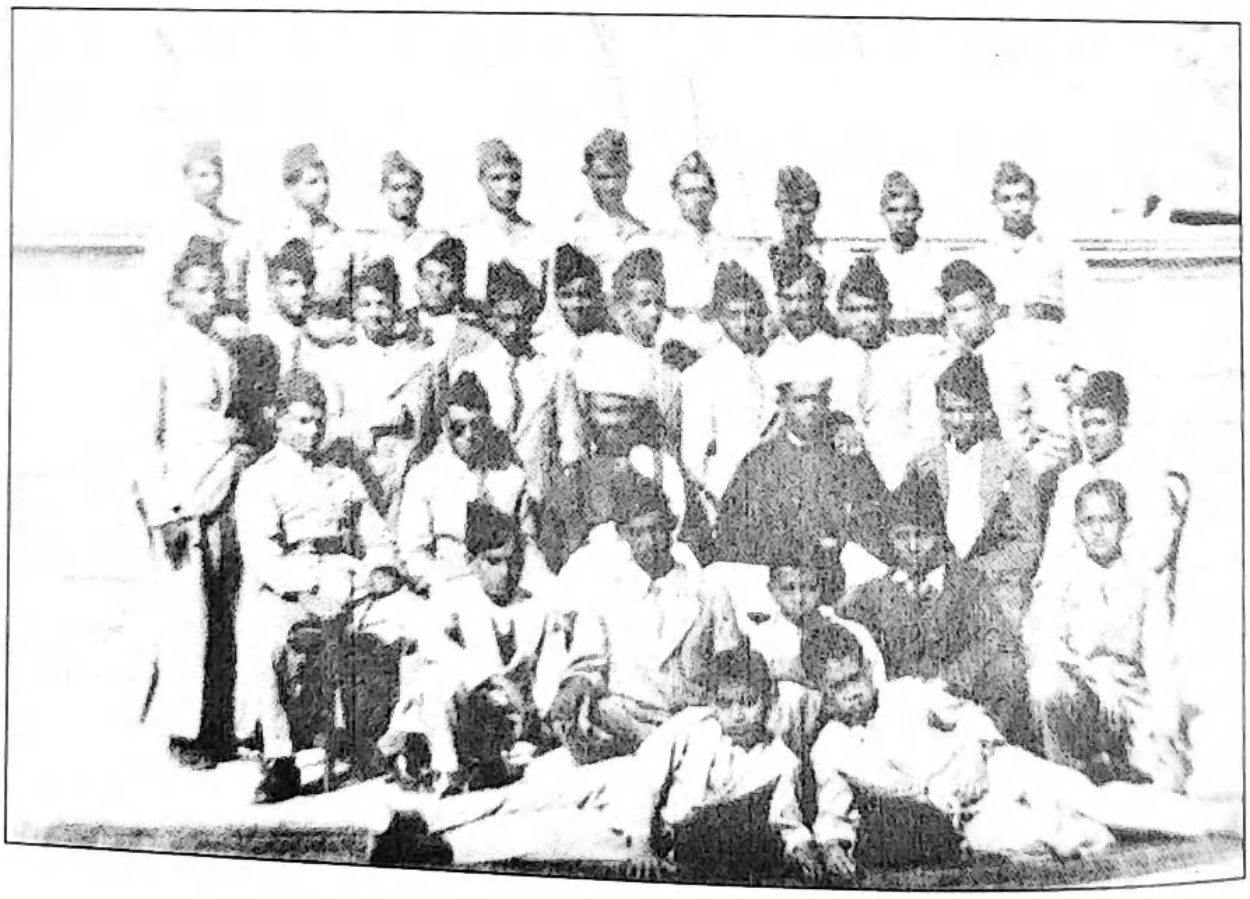

تم تصويرها في عام ١٩٣٧م

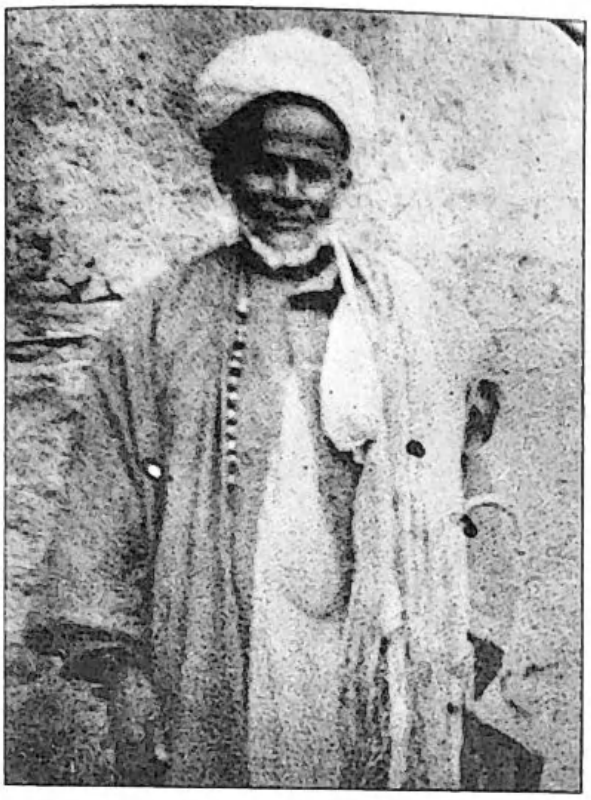

صورة والدي أخذت عام ١٩٧٢م

السيد حسين بن صالح الحبشي
أخذت عام ١٩٨٠م

مع والدي بعد خروجي من السجن ١٩٥٥م

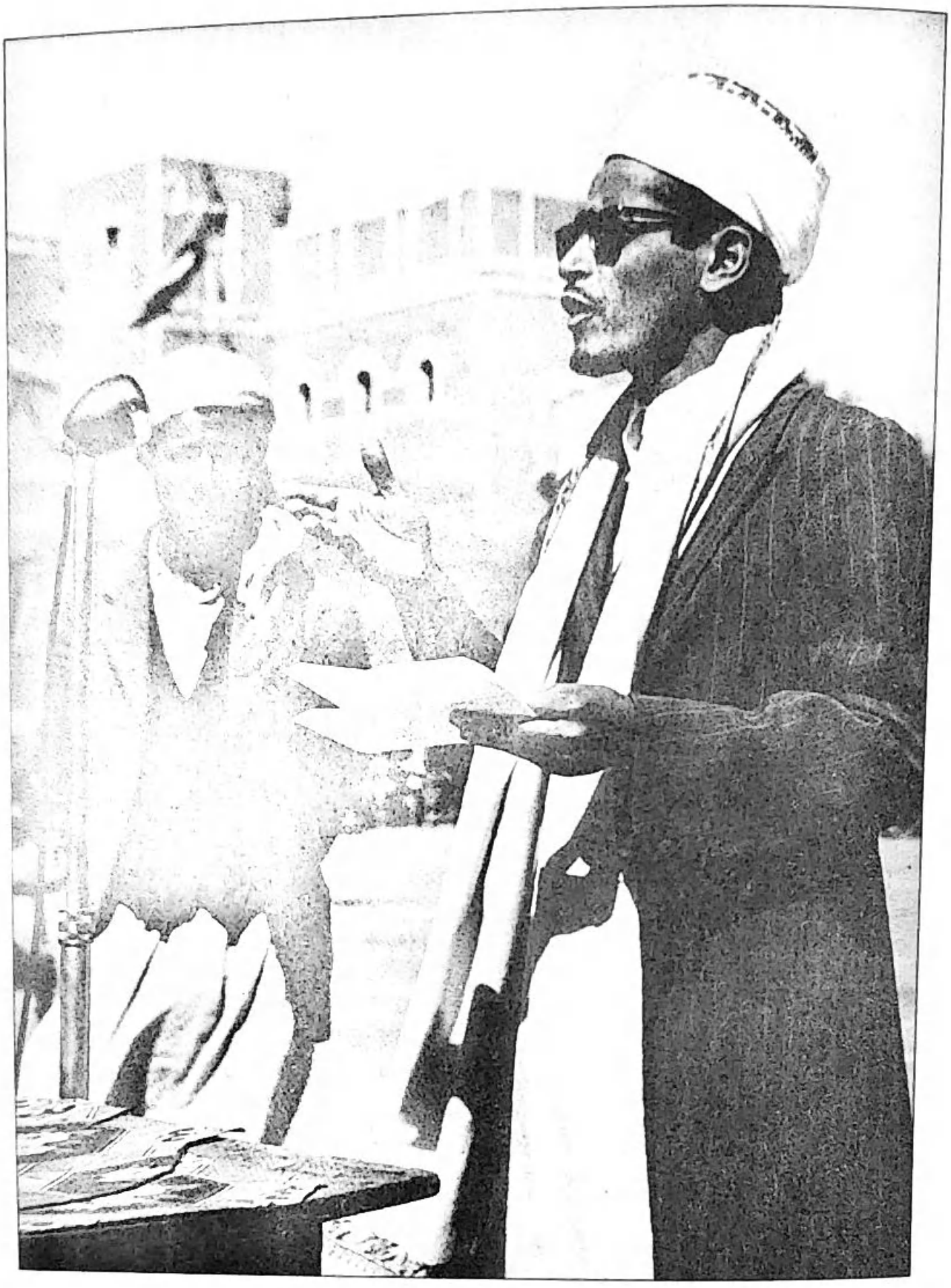

المؤلف مع الشهيد/ علي عبدالمغني ١٩٥٧م

صورة البعثات اليمنية الى بغداد سنة ١٩٣٦م وفي الصف الخلفي من اليسار الى اليمين الملازم حسن حسين العمري والملازم احمد علي الآنسي والملازم احمد حسين المروني والملازم عبدالله السلال والملازم احمد طاهر والملازم محمد حجر والملازم احمد الحق والملازم محمد الريدي والملازم محمد العلفي وفي الصف الثاني الطالب علي الآنسي والملازم حمود الجائفي والملازم احمد يحيى الثلايا وفي الوسط الملازم محمد عاكر والاستاذ زيد عنان والقاضي عبدالله السرحي والاستاذ يحيى النهاري وفي آخر الصف كاتب ناجي الحوثي

في الفندق الكبير في كندا حيث انعقد المؤتمر ال٧٤ لإتحاد البرلمانات الدولية ٣٠ سبتمبر ١٩٨٥م

التقطت الصوره في سوريه للبعثة أثناء زيارتنا للأستاذ جميل البارودي عام ١٩٣٨م

في القاهرة عند احتفال بالمجمع اللغوي في هلتون ١٥/٣/١٩٦٤م

في الصورة الدكتور طه حسين يتوسط زوجته واسماعيل الأكوع وأنا على يسار زوجة الدكتور
وعلى يساري أحمد المعلمي وبجانبة أحمد عقبات
القاهرة - مارس ١٩٦٤م - في فندق الهلتون - الإحتفال بالمجمع اللغوي

في مؤتمر خمر ١٩٦٥م

مع الرئيس القاضي عبدالرحمن الارياني في المدرسة الثانوية وتخرج دفعة من تلاميذها ١٩٦٥م

هذه صورة إلتقطها المصور في إحدى حدائق البيضاء ويرى فيها المؤلف وعلى يمينه الشيخ سالم الحميقاني وعلى يساره الأخ عبدالقادر بن محمد بن حسين والضابط ابراهيم الحمدي الذي كان يرافق الفريق حسن العمري عند زيارته للبيضاء كما ظهر النقيب جبر بن جبر ١٩٦٤م

مع الأستاذ مصطفى أمين ١٩٦٣م

في مطار بكين يوم ١٩٦٤/٩/٢١م

مع نائب رئيس الوزراء في بكين ١٩٦٤/١٠/١٥م

إحتفالات ذكرى مرور ألف سنه على تأسيس بغداد
١٩٦٢/١١/١٥م ويرى الأستاذ ساطع الحصري وزوجته
وتوجه الوفود إلى قاعة الإحتفال

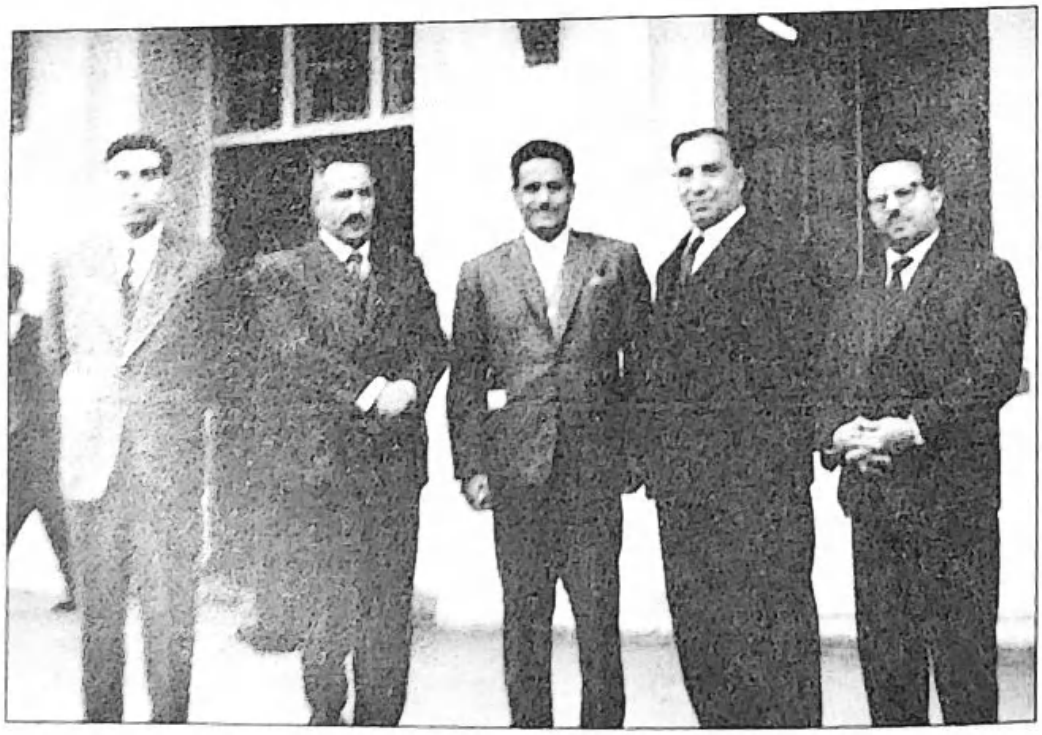

هيئة البعثة السياسية في بغداد منهم الأستاذ هاشم طالب
والأستاذ حسين المقبلي والمرافق

مع الرئيس أحمد حسن البكر رئيس الجمهورية العراقية وكنت أحمل إليه رسالة من رئيس المجلس الجمهوري القاضي عبدالرحمن الإرياني ١٩٦٥م

في قصر الرئاسة أثناء تقديم أوراق إعتمادي إلى الرئيس جودر سوناي كسفير غير مقيم ١٩٧٢م تركيا

أثناء زيارة رئيس المجلس الجمهوري للعراق ويرى في الصورة القاضي عبدالرحمن الإرياني
والرئيس أحمد حسن البكر ١٩٧٢م

المقدم ابراهيم الحمدي وبعده القاضي عبدالله الحجري
أثناء زيارته للصين ١٩٧٣م

مع سمو الشيخ زائد رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة
أثناء تقديم أوراق اعتمادي ١٩٨٠م

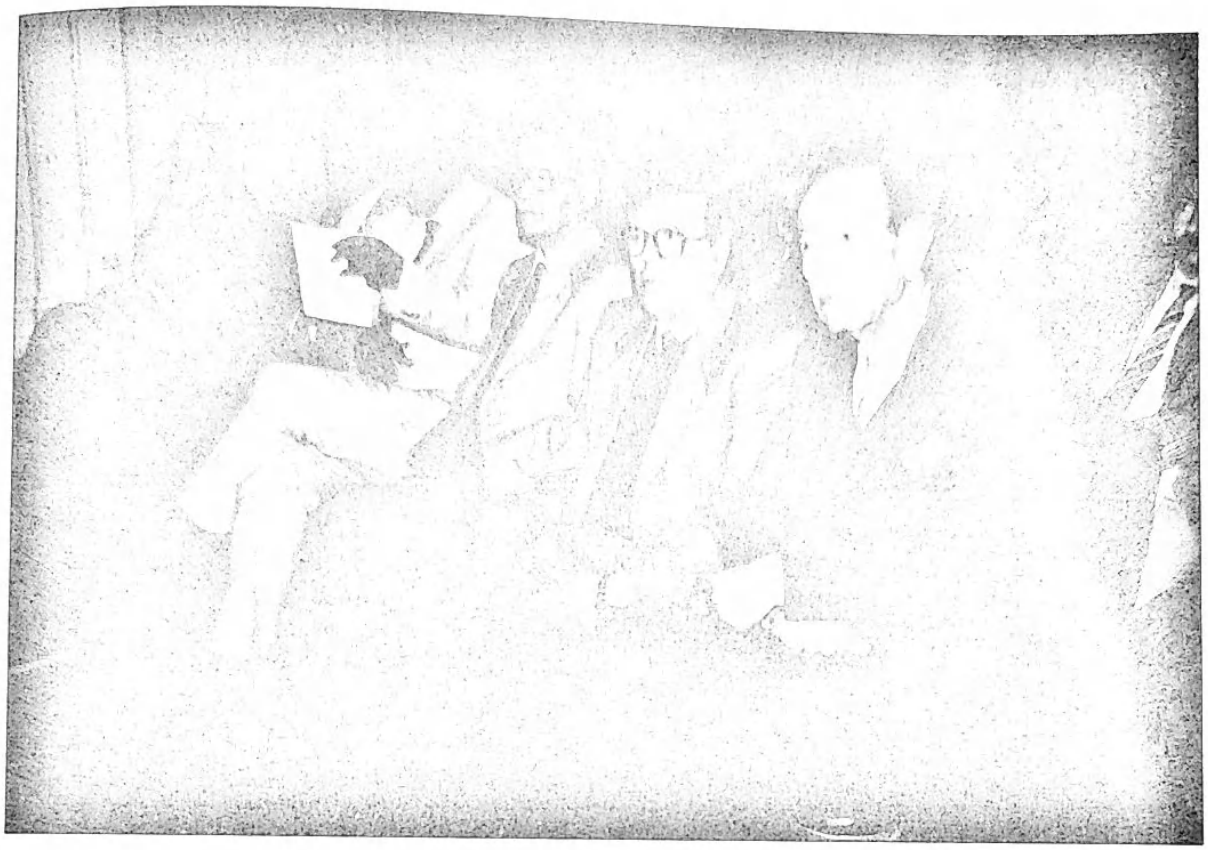

في منتدى الصداقة اليمنية المصرية ١٩٨٥م

حفل تكريم الأديب المناضل/ أحمد حسين المروني

الذي أقامته مؤسسة العفيف الثقافية

بمشاركة

عبدالسلام صبره
د.عبدالعزيز المقالح
أحمد جابر عفيف
محمد الفسيل
محمد الشرفي

العفيف يكرم المربي الكبير المروني

الفهرس

الموضـــــــوع	الصفحة
- المروي الجوهرة المضيئة أ. عبدالسلام صبره	5
- تقديم د. عبدالعزيز المقالح	8
- إشارات أ. احمد جابر عفيف	13
- المقدمة	17
- الفصل الأول:	23
- الميلاد والنشأة والابتعاث للدراسة في العراق	23
- الميلاد والطفولة الأولى	24
- الالتحاق بمكتب الأيتام	25
- البعثة التعليمية إلى العراق	29
- مغادرة البعثة وامتعاض الإمام	31
- الانتظار في تعز لأمر الإمام بالسفر إلى عدن	35
- وصولنا عدن والعودة للانتظار مجدداً	39
- على ظهر الباخرة بهويات من الإدارة البريطانية	43
- دخول مضيق هرمز وبداية المتاعب	46
- من دبي إلى ميناء السيبه العراقي	48
- التوجه إلى البصرة	50
- قرار الإمام ونجله الذي سبقنا إلى بغداد	52
- التحاقنا بالكلية الحربية ومدرسة الإشارة	57
- بعثتان آخريان وموفدان لاستطلاع سلوك المبعوثين	60
- اندماجنا في المجتمع العراقي والأسئلة المحرجة	62
- قصتنا مع البريد	65
- الذاكرة ومنغصات أيام الدراسة	68
- تحصيلنا العلمي ووعينا الوطني	74
- الفصل الثاني:	79
- العودة إلى اليمن وبدايات العمل التنويري والوطني	79

- قرار أرعن بتعجيل عودتنا 80
- ترتيب سفرنا ودمشق محطتنا الأولى 82
- في بيروت بجيوب شحاذين وقلوب ثائرين 86
- مرورنا بفلسطين ومصر 89
- باخرة لحمل الحيوانات تنقلنا إلى جيبوتي 93
- مواقف وخواطر في الطريق إلى صنعاء 96
- مقابلة الإمام وحكاية تصويبنا للبنادق عليه وحاشيته 103
- وشاية خبيثة ونقل للعمل في وظيفة مدنية 106
- ضيق من الوظيفة واستقالة تقود إلى السجن 109
- التظلم إلى الإمام وتوقيع يثير غضبه 112
- تهديد ووعيد وخروج من السجن بشروط 115
- البعثة العسكرية العراقية إلى اليمن 119
- انطلاقة حذره للنضال وعودة أخرى للسجن 122
- **الفصل الثالث:** 127
- مع التجمع الوطني في مسيرة ثورة 1948م وسنوات من السجن 127
- أرضية ظهور التجمع الوطني 128
- رسالة مؤثرة من زعيمي الأحرار 131
- فوق خرائب الجوف 136
- قصيدة أمام الفضيل الورتلاني وحماس علني للتغير 140
- هروب السيف إبراهيم إلى عدن 142
- فشل جهود الفضيل الورتلاني الإصلاحية واقتناعه بموقف الأحرار 147
- انكشاف مخطط الأحرار وقيام ثورة 1948م 152
- السيف احمد وقميص عثمان لإجهاض الثورة 159
- السجن المؤقت بتعز وتمارين الأحرار على قطع الرأس 161
- مظاهرة صاخبة في طريقنا إلى حجه 164
- تحت رحمة الموت في مستنقع نافع 165
- الانتقال إلى سجن القاهرة 169
- قيام حركة 1955 وإطلاق سراح بقية الأحرار 176

- تحذير من نوايا الطاغية ومغادرة صنعاء للإقامة بعدن 177
- **الفصل الرابع**: 179
- ذكريات عن الثورة السبتمبرية ومحطات حياتي اللاحقة 179
- عرض يؤمن الرجوع إلى صنعاء ومعايشة فجر الثورة السبتمبرية 180
- الأيام الأولى للثورة وما تسببه قدوم البيضاني 184
- موقف عبدالناصر من البعث والبقاء لفترة تحت الإقامة الجبرية بالقاهرة 189
- نكسة 1967 والعودة إلى اليمن 195
- بين صنعاء وبغداد وقصتي مع المقدم إبراهيم الحمدي 197
- حتى حط الرحال بمركز الدراسات والبحوث اليمني 200
- **الملاحق** 203
- **الفهرس** 294

المكتبة التاريخية اليمنية
www.yemenhistory.org
رفع وتصوير
مختار محمد الضبيبي

- ولكننا لانستطيع مهما حاولت أن تتصور عظيم فرحتنا وأغتباطنا بنجاتك ليس لأنك نجوت بحياتك كأنسان عظيم ولكن لأنك قوة وطنية كبرى شدت في أزرنا ورفعت من رؤوسنا وسدت ثغرة في تجمعنا وتكتلنا ماكانت لتسد إلا بك.

الأستاذ/ محمد محمود الزبيري

- أطلعت على بعض حلقات مسلسلكم، في سبيل الدستور والذي أرجوه هو أن يستمر التسلسل بأسلوبكم الصافي الوافي حتى ثورة ٢٦ سبتمبر ثم يجمع ويصدر في كتاب ليكون مرجعاً لمن يريد ان يعرف كيف كنا وكيف اصبحنا.

القاضي/ عبدالرحمن الإرياني

- لقد كنت ياسيدي الصائح المحكى بحق وكنت اللسان المعبر عن كل من يريد الاصلاح الحقيقي ويريد الخير والسعادة لليمن

الأستاذ/ أحمد محمد نعمان

- كان الاستاذ/ أحمد حسين المروني ومايزال من أبرز اساتذة الأجيال التي تلاحقت وصنعت التغيير الشامل الذي يكبر ويتعمق ويتجسد بالعطاء الخصب المتلاحق.

د. عبدالعزيز المقالح

- لقد تنقلت بين مدارس لبنان ومصر وفرنسا .. ولكنني أقسم بالله أن أحداً من اساتذتي لم يحتل في نفسي المكانة التي يحتلها السيد أحمد المروني.

الأستاذ/ محسن العيني

- هذا المناضل العملاق يمثل لهذا الجيل وللأجيال القادمة قدوة ومثلاً أعلى من حيث الفكر والثقافة والسلوك والموقف الوطني والتمسك بالمبدأ، ورفض الظلم والاستبداد والتخلف والصدق مع النفس ومع الآخرين، والايمان بحتمية التغيير.

الأستاذ/ أحمد جابر عفيف

- وكنت أنت وحدك حينذاك شاعر الوطنيين المخلص لوجهها الحر المقدس.

الأستاذ/ أحمد محمد الشامي